

• شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

• تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب

التبعية يجب أن تسقط

للأستاذ محمد أحمد كنون

فلسفة سياسة الملوك العلويين

محمد الفاسي

محمد صلى الله عليه وسلم ملتزما

د. م. ع. الحبابي

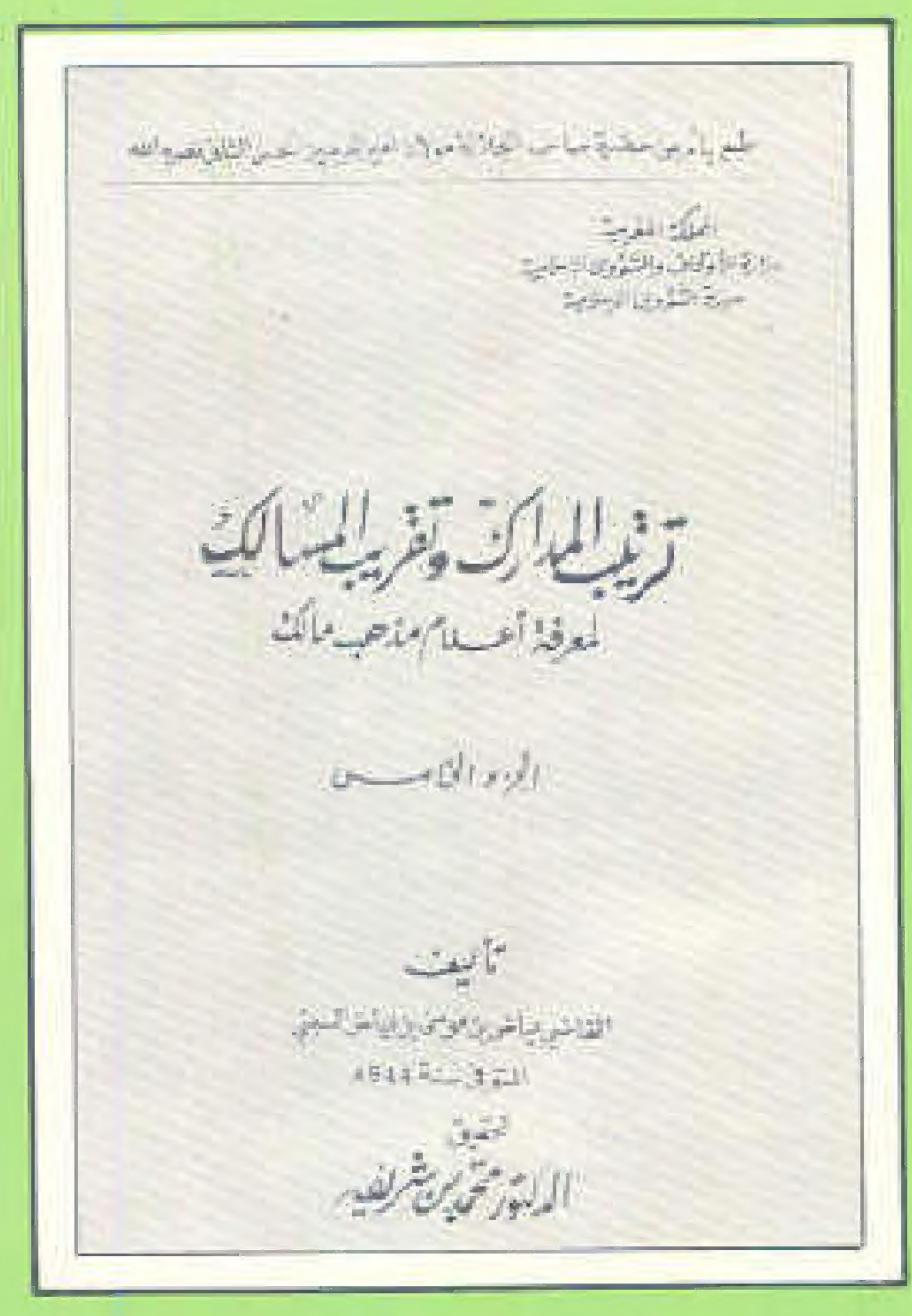
عيد العرش تأكيد للأصالة والتحديث

للأستاذ محمد الخطيب



العدد 2 السنة 22 • جمادى الثانية 1401 / أبريل 1981 • الثمن 5 دراهم





من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

تاريخ
الطب العربي

للدكتور لوسيان لوكليرك

الجزء الأول

أعادت طبعه
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية
الرباط - 1980

تاريخ
الطب العربي

للدكتور لوسيان لوكليرك

الجزء الثاني

أعادت طبعه
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية
الرباط - 1980

بيانات ادارية :



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة «دعـوة الحـق»

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب، الهاتف، 03 - 627 و 04 - 627

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهماً للداخل و 67 درهماً للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر.

• السنة 8 أعداد . لايقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة.

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

• **لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر** •

العدد 2 جمادى الثانية 1401
السنة 22 أبـريـل 1981

فهرس

العـدد 2 السـنة 22

الصفحة

الثمن : 5 دراهـم

بسم الله الرحمن الرحيم



●● تتضاعف مسؤولية المفكر المسلم في عصر الصحوة بقدر ما تتجدد المشكلات وتشتد التحديات التي تواجه الامة الاسلامية بشراسة وضراوة وعنف . ان رسالة الفكر الاسلامي تنبع اساسا من جوهر هذا الدين ، وليست افرازا لظروف وملابسات طارئة ، على أساس ان الاسلام يجعل الجهاد في مقدمة المهام التي ينهض بها المسلم سواء بسلاحه او بلسانه او بقلمه أو بقلبه . فالرسالة اصيلة اصالة الدين وحتمية وضرورة لا تقوم للمسلمين قائمة الا بالقيام بها .

بيد أن مقتضيات الصحوة الاسلامية تلقى على المفكر المسلم مسؤوليات جسيمة، يمكن رصدها ــ ولا نقول حصرها ــ فى الاوليات التالية :

اولا : الاسهام بالفكر والجهد العلمي فى استنباط الحلول للمشكلات القائمة استنادا الى تعاليم الدين واقتباسا من شريعته السمحاء .

ثانيا : المشاركة في تطوير أساليب التفكير والتحليل والارتفاع بهما من المستوى التنظيمي الى المستوى العملي الذي يخرج بالعمل الحضاري والفكري من دائرة رد الفعل الى ساحة الفعل المجسم لارادة الامة وتطلعات ابنائها .

ثالثا : الدفاع عن كرامة العقل الاسلامي بالوقوف في وجه الطغيان والجبروت والظلم والقهر ، وذلك بافساح المجال للمجتهد أن يجتهد ، وللمجاهد ان يجاهد ، وللعامل أن يعمل ، ولكل ذي رأي وفكر ان يفكر بعقله الذي وهبه الله . وهذا الضرب من المقاومة العقلية يعتبر اليوم اكثر المهام الحاحا بالنظر الى ما يسود المجتمعات الاسلامية من أنظمة ديكتاتورية تقمع الفكر وتضطهد المفكرين ، وما يروج في أوساط المسلمين من مذاهب فاسدة وايديولوجيات ضالة وعقائد باطلة .

رابعا : قيادة الرأي العام بصياغة فكره وفق العقيدة الدينية وتشكيل وجدانه على نمط لا يتنافى مع حقائق الايمان ــ وهي مهمة شاقة ، تقع بالدرجة الاولى على عاتق رجال الاعلام الاسلامي والعلماء المتنورين والدعاة المتفتحين ، الذين يرغبون في الدين ولا يرهبون ويشيعون صورا منحرفة ومشوهة عن الاسلام ورجاله وأعلامه وتاريخه وتراثه .

إفتتاحية

والصّحـوة

خامسا : بث الثقة في النفوس ، واحياء الامل ، وحمـل النـاس على التفـاؤل والاطمئنان والاقبال على الحياة . وذلك بمناهضة كل الافكار اليائسة التـي يحتـرف اصحابها التحريض على الفوضى الفكرية والدعوة الى استخدام اساليب غوغائية واللجوء الى وسائل قاصرة عن بلوغ أهـداف الاسلام النبيلة المتمثلة في اقامة مجتمع اسلامي تسوده الحرية والعدالة الاجتماعيـة واحترام كرامة الانسان من حيث هو انسان وكفى .

●● من هذا المنطلق الفكري وعلى اساس هذه الركائز العقائدية يمكن للمفكر المسلم أن يضطلع بمهمته التاريخية في الصدع بالحق والجهر بالحقيقة ومحاربة الزيـف والمسخ بالعلم لا بالجهل ، وبالحجة لا بالشعوذة ، وبالايمـان لا بالشرك ، وبالتسامـح والمحبة لا بالتعصب والكراهية . وتلك هي الاسس الثابتة التي يقوم عليها بناؤنا الفكري الشامخ باذن الله .

● ان على المفكر المسلم – ولا نقول الاسلامي ، لان الصفة الاولى ادق واصح – ان يرود الصحوة ، ويقود حركتها الفاعلـة ويعطي من فكره المستنير وعقلـه الواعـي وتصوره السليم كل ما يمكن أن يسهم به في تعزيز مسيرة الاسلام في عصرنا الراهن . وان الذين ينفرون ويبعدون النـاس عن ساحة الاسلام بدعوى من هذه الدعاوي التي لا تقوم على اساس ، انما يسيئون الى امتهم من حيث يعلمون أو من حيث لا يعلمون .

●● رسالة المفكر المسلم في عصر الصحوة هي التبشير لا التنفير ، والدعوة لا الدعوى ، والصدق لا الزيف ، والجهـاد لا الفساد ، والحب لا البغض ، لان الصدق هو وحده الوسيلة المؤديـة الى الغايـة الشريفـة ، اما الصرع والشطط والانحـراف والغواية والضلال وما الى ذلـك من ضروب الخلل العقلي فلن تؤدي الى نتيجة ، اللهم الا المزيد من التردي والسقوط . وليس في الدنيا مسلم صادق في اسلامه يرضـى أن ينتهي مصير هذه الصحوة المباركـة الى ذلـك .

عبد القادر الإدريسي

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في خطاب هام بمناسبة عيد العرش المجيد :

• إخترنا منذ الاستقلال الكرامة والحرية والوحدة والبناء الحضاري الشامخ

●● استوعب جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في خطاب العرش الخطوط العريضة للمرحلة الراهنة من معركة التحدي التي يخوضها شعبنا المؤمن بربه ، المخلص لمقدساته ، الوفي للمشروعية المتمثلة في مكونات وجودنا الحضاري وكياننا الاسلامي والوطني .

لقد اشتمل خطاب العرش على توجيهات سديدة ونصائح قويمة من خلال تحليل سياسي وفكري عميق الدلالة لابعاد السياسة المغربية منذ انطلاق مسيرة الاستقلال ، التي اكملت اليوم سنتها الخامسة والعشرين . وبذلك يعتبر خطاب العرش لسنة 1981 ميثاق عمل للاجيال الحاضرة والمقبلة لما احتوى عليه من تفسير حضاري سليم لفلسفة الاستقلال والحرية ، ولمسيرة المغرب في عهده الجديد .

●● واذا كان جلالة الملك حفظه الله قد اكد ـ بوعي ومسؤولية وامانة ـ ان المغرب اختار منذ مطلع الاستقلال الالتزام باصالته التاريخية والانحياز الى جانب المشروعية ، فان الواقع يثبت استمرار هذا الالتزام على هدي من الدين وبصيرة وادراك لمسؤوليات المواجهة الجديدة مع القوى المناهضة للتقدم والتحرر من التبعية وحماية المكتسبات الاسلامية والوطنية .

وننشر فيما يلي النص الكامل لخطاب العرش :

الحمد لله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

في هذا اليوم المتالق بالمسرة ، المشرق بالاعتزاز ، الحافل بذكريات متتاليات ، الجياش بصور متلاحقات ، نحتفل بعيدين كلاهما بهي الطلعة وضاح الجبين ، ونخلد ذكريين كلتاهما علم راسخ من اعلام الطريق ، وصفحة وضيئة باقية من صفحات التاريخ .

وما احتفاؤنا بهذين العيدين ، وتخليدنا لهاتين الذكريين الا اعتراف منا بما اضفى الله علينا من مترادف النعماء ، وحمد لما حشد في رحابنا من متواصل الالاء ، وشكر لما خصنا به من خير عميم وفضل كريم .

((ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)) .

لقد من الله منذ خمسة وعشرين عاما على جلالة والدنا محمد الخامس رضي الله عنه وارضاه ، وعلى شعبه الذي أرى ملكه من اخلاصه ووفائه ، واعزازه وحبه ، آيات بعد آيات ، بنعمة حرية البلاد واستقلالها بعد نضال شديد وكفاح مديد وتضحيات فادحة ، وانتهاء عهد الاستعمار والاحتلال ، تفتحت الابواب وانداحت الافاق ولاحت تباشير الصباح ، عندئذ تيسرت الممارسة التامة للسيادة المستعادة ، وعاد التصرف الكامل في مختلف شؤون الوطن المحرر الى اربابه واهله .

وشاءت ارادة الله ، ولم يمض على اشراق طلعة الاستقلال الا خمسة أعوام ، ان نخلف والدنا نور الله ضريحه ، على عرش اسلافنا المقدسين ، فكان بيننا وبينك ذلك اللقاء المحفوف بالخير واليمن، اذ القى الله الينا زمام امرك ، وعهد الينا بالسهر عليك ، والرعاية لك ، والتيسير لاسباب اطمئنانك وسعادتك ، فتوثقت الاسرة الواصلة بين القلوب ، وتاكدت الالفة الشائعة في السرائر ، وتاثلت الثقة الوارفة في الضمائر ، وتوطدت العزائم التي انطلقت وما زالت منطلقة بحمد الله ، متظاهرة متآزرة الى ميادين الابتكار ورحاب العمل البناء بالتاسيس والانشاء .

وما من امة شعبي العزيز ، كتب الله لها ان تنشط من عقال الاحتلال وتستمرىء نعمة الاستقلال الا وجدت نفسها في لحظة الاقبال على ممارسة سيادتها مدعوة لاختيار طريق لمسيرها ، ونظام لحياتها ، ومصير لكيانها ، ولم تكن بدعا من هذه الامم التي دعيت الى الموازنة بين سبيل وسبيل والمقارنة بين مصير ومصير ، الا اننا لم نطل التفكير غداة الاستقلال ، ولم نتردد كثيرا بين اختيار واختيار واتجاه واتجاه لماذا ؟ لانه كان من ورائنا قبل الاحتلال عصور اشتهرت على مداها امتنا بما كان لها من سمات ظاهرة ، وملامح واضحة ،، وتقاليد عريقة واخلاق وآداب ، وعادات واعراف ، ومفاخر وامجاد ، تكاثفت جميعها عهودا بعد عهود واحقابا بعد احقاب فبرزت على آثارها شخصية البلاد متميزة ، وحقيقتها ناصعة، وعبقريتها واضحة بين الاصالات والحضارات .

ولم يكن عهد الاستعمار فيما يتصل بنا الا حادثا من تلك الحوادث العارضة التي تصاب بها بعض الامم حين تتالب عليها اسباب قاسية وظروف عاتية فيعتريها من اجل ذلك الضعف والوهن وتنكل عن المدافعة والمقاومة ، وتفقد الناصر الذي يعصمها من المكاره والخطوب .

بيد ان هممنا ما لبثت ان اخذت تصحو بعد الغمرة ، وتنهض بعد الكبوة ، وسرعان ما استعادت النفوس وعيها واستبصارها ، واسترجعت العزائم صلابة عودها ، وحد سنانها ، فلم يمض الا ظرف قصير ، حتى بلغت فضائل البلاد ومناقبها ، غاية ما كان يشتد حوله الحرص ، وتسمو اليه الامانة ، فتكسرت الاغلال والقيود ، وتهاوت الحواجز والعوائق واظل البلاد من الحرية عهد ناضر بهيج ، ووقف الملك المنتصر ، والشعب المنتصر ، على عتبة العهد الجديد ، متضافرين متكاتفين ، يهيب بهما الوضع الواعد السعيد ان يختارا للوطن من السبل ما يلائم التطلعات ويستجيب للرغبات ، وقد كانت مطامح والدنا جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه ، واضحة كل الوضوح ، وأهدافه جلية لا يلابسها غموض ، واغراض الشعب ومقاصده ، مطابقة موافقة لاغراض الملك الرائد ومقاصده ،

وأول ما تعلق باهتمامه واستأثر باعتنائه أن تستعيد البلاد سابق عزها ، وتسترجع سالف مجدها ، ولادراك هذه الغاية كان يرى لزاما عليه أن يعيد للبلاد شخصيتها التي كادت أن تضمحل ، ويرد اليها أصالتها التي أوشكت أن تنقرض منطلقا في ذلك من منطلق السلف الصالح من أجداده ، فقد اجتهد الاستعمار أيما اجتهاد لقطع الصلة بيننا وبين ماضينا، واستئصال ما كان لبلادنا من تقاليد صحيحة وعادات سليمة وسمات نختص بها من دون غيرها من الاقطار والامم ، فلم يقنع بحرماننا من الحرية ولا باغتصاف السيادة وانما رام أن يطفيء شعلة اليقين الوقادة من أعماقنا ولولا اباء جدنا المقدس المولى يوسف وشهامته لسدد لقوة العقيدة ضربات عارمة وما اكثر ما كان ساسة الاستعمار ودعاته ومؤرخوه يسعون الى شحن نفوسنا بالشعور بان ما تعلقنا به قرونا متوالية وأحطناه بالاحترام والتقديس أجيالا متلاحقة ليس خليقا بغير الاستخفاف ، وليس جديرا الا بالزراية والامتهان ، وتجاوزوا هذا الحد فساقهم الكيد لمقدساتنا والتآمر على شخصيتنا واصالتنا الى ان حاولوا تصديع صفوف الامة وأصابة الكيان الموحد تحت راية الاسلام وبالانفصام والانكسار بيد ان محاولتهم هذه باءت بالفشل الذريع والخسران المبين لما عورضت به من مقاومة وصودمت به من استبسال ، فانبرى والدنا جلالة محمد الخامس اجزل الله له الاجر والثواب في مستهل الاستقلال يمحو آثار الاحتلال ويعيد لذاتيتنا الاصيلة ما كان لها من وجود وحياة ، فتم له من هذا الامر يوم عاجلته المنية جملة صالحة مما كان يتوخاه ويبتغيه، وفي الوقت الذي استبان فيه ضرورة العناية بهذا الجانب ، كان يحظى من اهتمامه جانب آخر لا يقل شانا ولا وزنا ، ذلك ان همته ، رحمة الله عليه ، كانت تتوق الى ان تسلك البلاد من المسالك ما يؤهلها لان تكون دولة مطبوعة بطابع العصر مسايرة للاقطار الناشدة للرقي في مجالات الثقافة والاقتصاد والاجتماع فاتجهت عزيمته الوطيدة الى تشييد الدعائم التي لا غنى عنها للدولة الحريصة على سلامتها واستقلالها ، وتصدى لمختلف المرافق ، فتناولها بالاصلاح والتحديث ، فلما التحق بالرفيق الاعلى بعد السهر الطويل والجهد الجهيد ، والعمل الدائب المرهق ، كانت الدولة قد قطعت في ظرف خمسة اعوام مرحلة خصبة ، وامتازت بالتنظيم والتشريع ، اقيم خلالها من جملة ما انشيء واقيم المؤسسات العلمية والمعاهد التربوية والمدارس التكوينية والنظم القضائية ، وفي أثناء هذه المرحلة تم وضع ميثاق الحريات العامة ، وصدر قانون المسطرة الجنائية ، وانصب الاهتمام على شؤون الاقتصاد والاجتماع ، وبدأ التفكير في استكمال الوحدة الترابية .

وصار – شعبي العزيز – زمام أمرك الينا ، فاخذنا على نفسنا يومذاك ان نطوي أشواطا بعد أشواط في كل ميدان من الميادين الكفيلة برغد حياتك وطمأنينة بالك وبال الاجيال الشاخصة من ابنائك وابناء ابنائك .

فما هي الاهداف والغايات التي توخيناها حينذاك لانجاز ما التزمنا به ، وتحقيق ما أعربنا عنه من وعود وآمال ، وما هي المحاور التي اتجه فيها القصد وتقرر على ضوئها المسار ؟

لقد كان علينا أول الامر أن نستمر سائرين على النهج الذي أوضحه والدنا رضوان الله عليه وأوضحناه معه ونحن اذ ذاك ولي عهده ومساعده الايمن ونجيه فيما كان يتصوره ويفكر فيه من خطط ومشاريع ، فكان لزاما علينا ان نصون شخصية البلاد وأصالتها ونبقي على كل ميزة تضفي عليها الطابع الذي تفردت به على مر العصور والاجيال ، وكنا الى هذا راغبين في أن يستمر سعينا وتتوالى خطانا في كل مجال من مجالات تثبيت اركان الدولة وتنظيم المرافق وسن القوانين واسباغ زي المعاصرة على كل منحى من مناحي الدولة يستوجب هذه المزاولة ، بيد ان طموحنا لم يكن محدودا في نطاق ما سلف من حدود، ولا مقصورا على المحافظة والابقاء ولا مرهونا فيما يتصل بالاساليب وطرق المواجهة باقتناء الآثار والاكتفاء بالاستمرار ، وانما كان طموحنا يترامى الى توسيع آفاق المباشرة ، وتحقيق ما لم يتحقق ، وابتكار الوسائل لا لتدارك النقص ورأب الصدع وسد الثلل فحسب ولكن لمد الاسباب الضامنة للرخاء والازدهار ، ونمو الافراد والجماعات وظهور الوطن بالمظهر الذي يجعله قبلة الانظار ومناط التقدير والاعجاب والاكبار .

وهكذا عمدنا الى تراثنا الضخم الثري المكتوب منه والمسموع والمشيد ، فتوليناه بالصيانة والحماية ، وأفرغنا ثوبا قشيبا على آثارنا بعد

استنهاذ منا لهمم المهرة من صناعنا الذين جددوا ما اصابه البلى ورمموا ما مني بالتلاشي ، واعادوا بناء ما تقوض واندثر ، وتواصلت جهودنا ، وامتد التحريك والتنشيط الى كل جانب من جوانب ثقافتنا، والى كل نحو من انحاء اصالتنا فانشانا المساجد والمعاهد الدينية ، وأولينا كتاب الله العزيز بالغ عنايتنا فاعددنا وما زلنا نعد الوسائل لحفظه واستظهاره بالقراءات كلها ، كما أولينا سنة نبيه ورسوله الاعظم صلوات الله عليه وسلامه عناية مماثلة فاحدثنا معهدا متخصصا ياوي اليه الطلبة الراغبون في اكتشاف أسرار القرءان المجيد ، والاحاطة بالسنة النبوية الغراء وادراك مقاصد الشريعة ، وحرصا منا على ان يظفر شبابنا باوسع حظ من العرفان ، وأكبر قسط من التكوين ، انشانا في مختلف جهات مملكتنا كليات وجامعات ، يلقن فيها الفقه واللغات ، والعلوم التجريبية والعلوم الانسانية ، والطب والصيدلة والادب ، ومعاهد ومدارس لتكوين أطر الفلاحة والتجارة والاشغال العمومية والمعادن والامن والدفاع ، ويسرنا الاسباب للراغبين من طلبتنا في اقتناء الوان شتى من المعرفة في كليات العالم ، ومعاهده وجامعاته ، وبفضل التدابير التي اتخذناها للاحياء والتجديد ، والحث والتشجيع وفتح العديد من المجالات ، واتاحة الكثير من الفرص ، اشتد الاقبال على مختلف العلوم والتقنيات ، وازدهرت الفنون والاداب ، وأمرعت حقول الابداع والتاليف ، وتألقت صناعات الزخرفة والتنميق والتزيين ، وجابت اصالتنا الثقافية ، العدد الكثير من الاصقاع والامصار ، ووردت على بلادنا في اطار التبادل والتعاون ، ثقافات متنوعة ، متنت أواصر التواصل والتعارف والاخاء والصداقة ، وكان من نتائج هذه الجهود وجهود أخرى بذلناها تسهيلا لاستقبال الزائرين لبلادنا ، وترغيبا للمثقفين من الاشقاء والاصدقاء في الحلول بها من اجل المشاركة والاسهام في مؤتمرات وندوات علمية وادبية كثيرة ، وعروض ومهرجانات متعددة ، كان من نتائج هذا كله ، أن اصبح وطننا العزيز ، مثابة الوافدين عليه من السياح والعلماء والادباء واصحاب المواهب الفنية على اختلاف اصنافها ، ولم تكتف بلادنا باسترجاع ما كاد يضيع من أصالتها ، ويغيب عن عبقريتها ، وانما استانفنا مسيرتنا الحضارية ووثقنا بيننا وبين مشارق الارض ومغاربها ضروبا من العلاقات والصلات، تعددت بتعدد مجالات التعامل والارتباط .

وانطلاقا من حرصنا الاوكد على ان نواكب نهضتنا الفكرية والعلمية ، نهضة تنتظم الاقتصاد والاجتماع ، احدثنا بادىء ذي بدء الانعاش الوطني ، وتوخينا من احداثه تعبئة الطاقة البشرية لانجاز اكبر عدد ممكن من المشاريع الاقتصادية والاجتماعية، التي لا تحتاج الى تقنيات كبيرة ،، ثم تولينا بعناية خاصة الفلاحة والفلاحين والصناعة والتجهيز وتشغيل اليد العاملة ، وترامت مطامحنا الى تامين الاكتفاء الذاتي واغزار الانتاج والتصدير ، فاتجه عزمنا الى سقي المزارع بتشييد السدود وبسط القنوات ، والى مباشرة اصلاح زراعي خليق بان يدر على المستفيدين منه المكسب المغري والربح المحقق، كما اتجه الى تنمية استغلال ثرواتنا المنجمية ، وبث الصناعات على اختلاف انماطها ، وانشاء الموانىء على طول سواحل التراب الوطني ، وبناء الطرق وتوسيعها وحفر الابار وتوليد الطاقة الكهربائية ، وتمديد شبكة المواصلات وتحديثها وتكثير المطارات وأحداث ما يضاهي منها المطارات الغربية المرموقة، ولم تعزب عن بالنا أوضاع عمالنا فاعرناها اهتمامنا وطفقنا نصدر من القوانين ما جعلها الآن في طليعة الاوضاع ، والى هذا كله فقد استرعى انتباهنا ما بين الفئات الاجتماعية من فوارق ، فحفزنا عزائم وزرائنا بموالاة التوجيهات قصد تقريب الشقة الفاصلة والعمل على التقليل من التفاوت والتباين ، وفي هذا الاطار اصدرنا أوامرنا للشركة الوطنية للاستثمار باتخاذ التدابير الكفيلة بحصول ذوي الدخل اليسير الذين يقتنون قراطيس مالية ، على مردود مربح .

واذا كنا ــ شعبي العزيز ــ قد اتجهنا منذ جلوسنا على عرش اسلافنا المقدسين في اتجاهات شتى قصدنا من وراء كل واحد منها الى ان يخطو وطننا تلك الخطى الواسعة التي يقودها تطلع فسيح وطموح رحب ، فقد أملى علينا اقتناع شخصي واعتقاد متوغل في القلب ، ان نقيم نظام الملكية الدستورية ، ونقر الحريات العامة ، ونخولك ــ شعبي العزيز ــ وأنت من انت كفاية واقتدارا ، ووعيا واستبصارا ، حقوقا تؤدي من طريق التسيير والتدبير الى اخذك بحظ وافر من التجديد والتطوير ونصيب ظاهر من البناء والانشاء ، فلم تمض الا فترة وجيزة على تسلمنا لمقاليد أمورك حتى استفتيناك في اول دستور وضعناه وقرننا به نظام الملكية

الدستورية ، فتلقيته بالابتهاج العظيم ووافقت عليه بما يقارب الاجماع ، ثم تناولناه بالتعديل والمراجعة ابتغاء تكميل مضمونه وجعل بعض احكامه أكثر تعبيرا عن روح الديمقراطية الحق ، فانتهى الى صيغته الحالية ، وها هي مؤسساته تضطلع بما اناط بها من ادوار ، وها هي المجالس التنفيذية المختلفة والسلطات الحكومية المختلفة تتعامل مهتدية بارشاداتنا ، على اساس الحوار ، وتجتهد ساعية الى القيام بالمهام ، وتحمل المسؤوليات ، وما دمنا لا نقنع الا بالكمال او بما يدنو من الكمال ، فاننا نؤمل ان تتلاحق الاعوام مضيفة كسبا الى كسب وخبرة الى خبرة ، وتصبح الممارسة الديمقراطية الجادة التي نريدها لبلادنا التزاما شائعا وعقيدة راسخة ، مثالا ينسج على منواله ونموذجا يسعى الى احتذائه .

شعبي العزيز :

ان الانجازات التي باشرناها ، والمكاسب التي احرزناها ، كانت حرية بان تظل ناقصة لولا اننا عززناها بالمكسب الجليل الذي واصلنا المساعي ، ولاحقنا الجهود ، من اجل الظفر به وتحصيله ، ذلك هو استرجاعنا لصحرائنا ، ولقد كان علينا بحكم استخلاف الله لنا ان نصون تراث اسلافنا المقدسين ونسترد منه ما تطاولت عليه يد الاستلاب ، فلجانا ، كما نعلم ، في المطالبة بحقوقنا الثابتة الضائعة ، جريا على سنة المجادلة بالتي هي احسن ، الى كل وسيلة كفيلة في آن واحد بان تقي العلائق الودية كل مكروه ، وترضى ما كان لنا من مطلب ومطمح ، ولما استنفدنا وسيلة المفاتحة المتكررة ، وتبين لنا ان التخاطب والتحاور لم يفضيا بنا الا الى طريق مسدود ، استقر راينا وراي خصمنا آنذاك على ان نحتكم الى أسمى هيئة قضائية دولية ، وصدر حكم هذه المحكمة مؤيدا لوجهة نظرنا ، ومعلنا بيننا وبين صحرائنا من روابط البيعة والقانون فدعوناك - شعبي العزيز - عند ذلك الى القيام بمسيرة خضراء تتسلم بها حقا مشروعا سلب ، وترابا مغربيا غصب ، وتسترجع بها وحدة نزل بها فترة من الزمن ، خطب التفريق والتمزيق ، واستجبت - شعبي العزيز - للنداء ، استجابة وعي وحماسة ، فكانت مسيرتك الكثيفة السلمية الرائعة التي قادها الايمان وحماها القرءان ، وامتازت بالجدة التي اثارت الاعجاب ، وبالتراقة التي دوت أصداؤها في الافاق ، وانتهت مسيرتك بان دخلت أرض الصحراء دخول واصل للارحام ، مشتاق الى لقاء العشيرة ، فتلقاك اهلك واخوانك بالترحيب الحار ، والمسرة التي يفجرها التحرير ، والانشراح الذي يشيعه الاطمئنان الى الحسن المصير .

الا ان المطامع لم تلبث ان ازاحت عن وجهها النقاب ، وكشفت عن حقيقتها الحجاب ، فانطلقت العصابات من ارض الجزائر مدججة شاكية السلاح ، وأخذت تتطاول بالعدوان على أرضنا المستعادة ، واخذنا من جهتنا نواجه الاستفزاز ونصد المعتدين ، وتكاثف العدوان ، واتضحت المؤامرة ، كما اتضح الاصرار عليها ، فتصدينا لكل اعتداء غاشم ، وتطاول منكر ، بالدفاع الذي احبط كل محاولة ، وبالبطولة التي اجهضت كل خطة ، وباشرنا من احكام الاعداد والتنظيم ، ما ساعد على تطهير صحرائنا ورص قواتنا وتحصين ترابنا بسياج من جيشنا متين .

وخلال هذه الحرب التي تدور رحاها منذ أكثر من خمس سنين ، أهبنا بالجزائر ان تضع حدا للاعتداء ، وبسطنا لها يد التفاهم وما زلنا لها باسطين، واملنا ان يتم لقاء في المستوى الاعلى عسى أن يفضي التحادث الى حقن الدماء ، وانهاء التوتر السائد في المنطقة واحلال الامن بها والسلام ، وتفضل عدد من الاشقاء والاصدقاء الكبار فسعوا مستهدفين هذه الاهداف سعيا محمودا مشكورا الا ان ما ابديناه من حسن الاستعداد وما رغب فيه الاشقاء والاصدقاء من احلال التفاهم مكان التطاحن كل ذلك لم يكن له الاثر المطلوب .

ان استرجاعنا للصحراء - شعبي العزيز - امر تم وانتهى فالصحراء صحراؤنا ، ولسنا مستعدين للتخلي عنها ، واذا كنا نرحب بكل تفاهم من شانه ان يضع حدا للصراع ، فاننا لا نقبل بوجه من الوجوه ان يكون هذا التفاهم على حساب جزء لا يتجزا من ترابنا الوطني .

شعبي العزيز :

هذه جملة من الميادين ملاناها من اشراق فجر الاستقلال ، الى اشراق طلعة هذا اليوم ، باسباب مسرة واعتزاز وتفاؤل واستبشار ، واذا كنا قد

صنعنا الكثير فان طموحنا الواسع يقتضي ان نظل في حركة دائبة لا تفتر ، وعمل متصل لا ينقطع .

اننا قد اتخذنا التنمية الشاملة شعارا لنا ، وطفقنا على مدى أعوام ننتقل من مرحلة الى مرحلة ونغذ السير نحو المقاصد التي حددناها ، الا ان الظروف الاقتصادية العالمية وما لها من انعكاس وأثر ، والحرب التي نخوضها دفاعا عن ترابنا الوطني كل هذا ان حال دون المضي في سبيل التنمية بالايقاع المرغوب فيه ، فانه لم يصرفنا عن الاهتمام بالقطاعات التي تؤثرها مخططاتنا بالاختيار وهي قطاعات حيوية بالنظر الى حاضرنا ومستقبلنا .

لقد فرغنا من وضع المخطط الخماسي الذي سيجري به العمل ابتداء من السنة الحالية ، وأصدرنا اوامرنا بان يخرج في اقصر الآجال ، الى ساحة التطبيق والتنفيذ .

وبالاضافة الى هذا ، فاننا نامل ان يتالف من القرارات التي اتخذناها او نتخذها تكميلا لنتائج المناظرتين الوطنيتين الخاصة احداهما بالتعليم والاخرى بالاقتصاد الفلاحي ، ومن تلك النتائج نفسها ميثاقان نستطيع ان نهتدي بهما في الممارسات التعليمية أو الفلاحية .

من فضل الله على بلادنا ، ـ شعبي العزيز ـ ان تتبوأ في الوقت الحاضر منزلة ملحوظة مرموقة ، فقد يسر الله لها هذا المقام بما استثمرته من جهود واكتسبته من تجربة واقتنته من عرفان والتزمت به في علائقها وصلاتها بالامم والشعوب من مبادىء مثلى وقيم عليا ، وها هي في المجال السياسي كما هي في المجالات العلمية والادبية والفنية ذات روابط بغيرها متينة تعاونا واخاء ، ومودة وصداقة ، فكان من آثار هذه الاواصر ان كثرت الزيارات المتبادلة ، وتردد المسؤولون الى العواصم وجرت المحادثات المثمرة وتمت اللقاءات وانعقدت المؤتمرات ، ورحب مضمار التعارف والتعاطف بين القادة والقادة والساسة والوفود .

وان آخر مؤتمر قمة شاركنا في اعماله هو المؤتمر الذي انعقد بالمملكة العربية السعودية الشقيقة تحت شعار فلسطين والقدس الشريف ، وقد افتتح في رحاب بيت الله الحرام حيث ساد الاخبات والخشوع ، وتواصلت أعماله بمدينة الطائف .

وهذا المؤتمر الذي تابعت اعماله ـ شعبي العزيز ـ بما هيأته وسائل الاعلام ، قد أشاع في نفسك لا محالة ، الشعور بان تحولا قد وقع ، وان عهداً جديدا قوامه الجد والرصانة ، والثبات والاقدام ، والروية والمسؤولية قد انبثق وتألق ، ففي رحاب بيت الله الحرام ، وفي مدينة الطائف بجوار هذا المكان الطاهر ، اجتمعت كلمة المسلمين ، وأكدوا تضامنهم ووقفوا من المواقف واتخذوا من القرارات ، ما اظهرهم في صحوتهم المباركة ، وفي اصرارهم على الحق ، قوة جديدة ضخمة لا يسع العالم الا ان يقيم لها الاوزان .

وقد اقر عيننا وأثلج صدرنا ، مصادقة مؤتمر القمة الثالث على وثيقة قدمتها لجنة القدس التي اناط بنا اخواننا المسلمون شرف رئاستها ، وسمعنا بمناسبة تجديد اختيارنا رئيسا لهذه اللجنة تعبيرا من اخواننا الملوك والرؤساء عن مشاعرهم الودية الخالصة ، كان له في نفسنا ابعد الوقع وأبلغ الاثر ، فلهم الشكر الجزيل منا ومن شعبنا مجدداً ومؤكداً .

وأوجز ما يمكن ان يوصف به هذا المؤتمر ، أنه اعظم لقاء اجتمع فيه الاخوة المسلمون ، واعظم لقاء بما اتخذوا فيه من قرارات ، وأعظم لقاء بما يسرت المملكة العربية السعودية وشعبها لاعمالهم من تنظيم محكم ، وما بذلاه للمؤتمر من حفاوة بالغة ورعاية سابغة .

شعبي العزيز :

هذه نبذة موجزة من تاريخ كتب والدنا جلالة محمد الخامس صفحاته الاولى ، ووصلنا بعد وفاته الكتابة بالكتابة والتحبير بالتحبير ، ولم نرد من هذه النبذة التي هي الظل بالقياس الى الحقيقة الا التذكير في هذه المناسبة العزيزة ، بمعالم السيرة الشجاعة المقدامة التي سرناها نحن وإياك ، على هدى من زعامة ملكنا الراحل بطل الحرية والاستقلال ، وبطل العروبة والاسلام ، واننا لنضرع الى الله في هذا اليوم الذي ترفرف فيه روح اب الامة وتهيمن علينا كاقوى وأكرم ما تكون الهيمنة ، أن يتغمده الله بواسع رحمته ، ويجازيه الجزاء الاوفى ، ويثيبه بما اعطى

واسدى ، ويكافئه بجنات المأوى ، ويلحقه بالذين انعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا .

شعبي العزيز :

ترابط قواتنا المسلحة الملكية وقوات الدرك والامن والقوات المساعدة ، في هذه الظروف على طول صحرائنا وعرضها ، مستعدة للتضحية بانفس واغلى ما يمكن ان يضحي به الانسان ، وانه ليسعد ملك البلاد ، والقائد الاعلى لهذه القوات المسلحة ، ان يعرب بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن المواطنين كافة ، عما يخالج النفوس من مشاعر الاعتزاز والتقدير والاكبار ، ويسعده كذلك في هذا اليوم المجيد ، ان ينوه بشجاعة قواتنا التي صارت تضرب بها الامثال ، وببطولتها التي ما فتئت تسري مثل النور الساطع الوهاج ، والى الله العلي القدير نتوجه بالدعاء ان يكتب النصر الدائم لقواتنا التي تحارب الباطل وتقاوم العدوان ، ويوسع لشهدائنا الابرار الرحمة والرضوان .

شعبي العزيز :

ان امتنا ، والحمد لله ، مرصوصة الصف ، وثيقة البنيان تمضي في الطريق اللاحب ، والمحجة البيضاء ، والمسلك القويم ، لا يعتريها ضعف ولا ينتابها كلل ، لانها مطمئنة الى مقاصدها وغاياتها معتزة بقيمها الحضارية التي جعلت منها على مدى العصور والاجيال امة متميزة الذات واضحة الشخصية ، حاملة عبر التاريخ لرسالة الامن والسلام ، والمحبة والوئام ، لقد حباها الله من الشمائل والفضائل ، ومن القوة الكامنة في طوايا نفوس ابنائها ، ما اتاح لها تذليل العقبات وقهر الخطوب والملمات ، فليس لنا اى وسيلة تساعد على الاسراع في السير ، وتحقيق الخير ، وامتلاك ناصية الازدهار والارتقاء سوى وسيلة الوفاء لاعراقنا واخلاقنا ، والاخلاص للمبادىء والمثل التي تلقيناها من كتاب الله العزيز ، وسنة نبيه الغراء ، والاستمساك بالعروة الوثقى التي تؤلف بين القلوب وتشحذ العزائم ، وتنير سبل النجاح .

فزد اللهم هذه الاصرة الموشجة بيني وبين شعبي متانة الى متانة واستحكاما الى استحكام ، وادم اللهم في اقوالنا وافعالنا شكر ما اضفيت علينا من نعمة التوفيق والهداية .

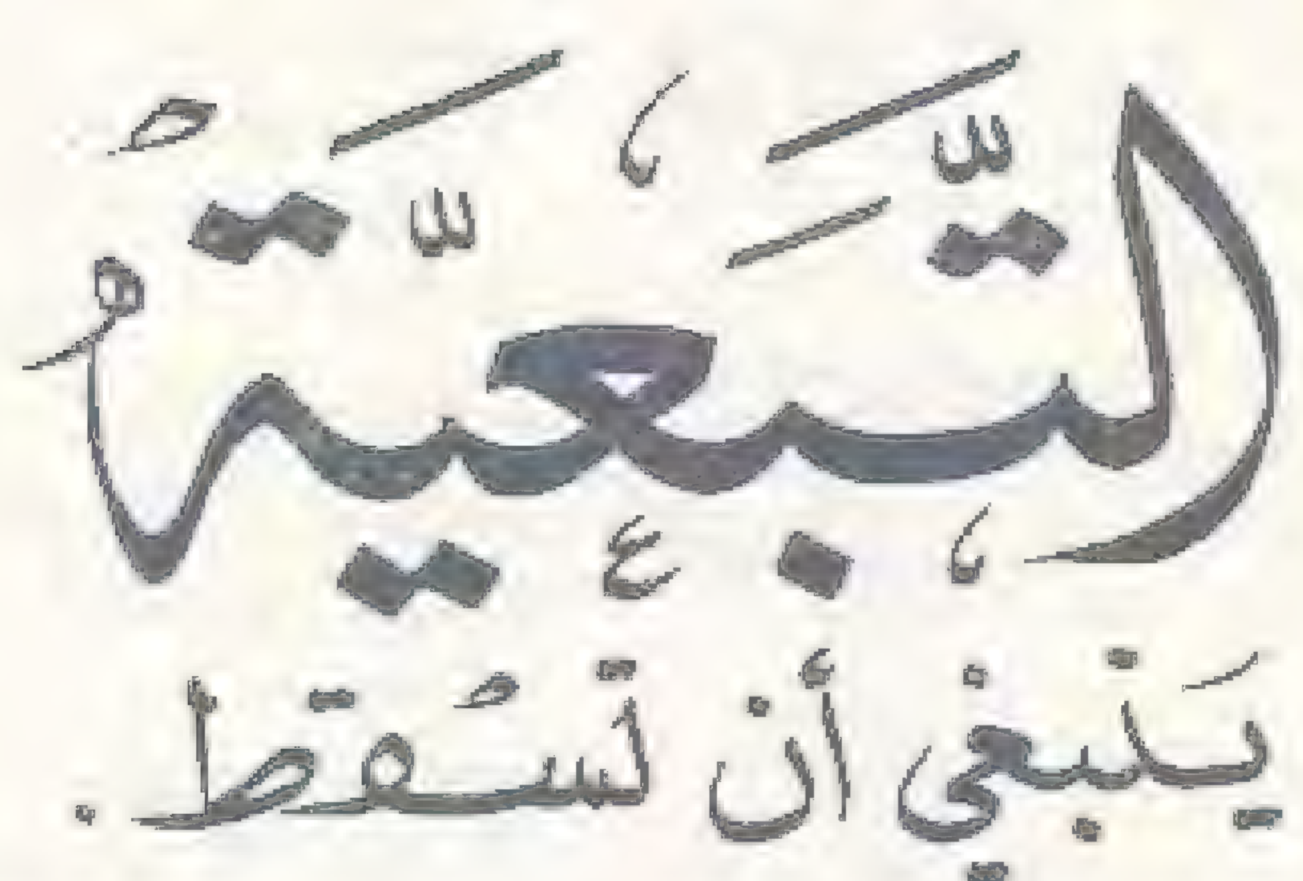
« رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين » .

صدق الله العظيم ..

والسلام عليكم ورحمة الله .



في مطلع القرن الخامس عشر الهجري:



للأستاذ عبد الله كنون

اجتاز المسلمون في القرن الرابع عشر الهجري الـذي ودعنـاه ، امتحانا عسيرا لم يسبق لهم ان عرفوا مثله في تاريخهم الطويل ، فقد تمت أثناءه السيطرة على بـلاد الاسلام وسقطت العواصم العربية الكبرى مثل دمشق وبغداد ومصر وتونس وفاس فى قبضة الغزاة الاوربيين ، وانهارت الخلافة العثمانية التي كانت تجمع شمل المسلمين وتقيم لهم كيانا دوليا مهيبا في العالم على ضعفها وتخلفها ، وزرع في جسم العالم العربي عضو غريب عنه كان كالسرطان الخبيث الذي لا عـلاج له فاشاع فيـه الادواء والعلل من وهن وضعف وتخلخل وتخالف ، وهو دويلة اسرائيـل التـي استولت على أرض فلسطين ، وحاربت الدول العربية مرارا وهزمتها في كل مرة حتى فى المرة التي قيل ان هذه الدول انتصرت عليها ، ولم تكتف بما اقطعه اياها الغرب المسيحي والشرق الشيوعي من ارض فلسطين ، بل وضعت يدها على ارض مصرية وسورية واردنية وهي تعمل على ان تنقص لبنان من اطرافه ، واخيرا ضمت اليها مدينة القدس واعلنتها عاصمة ابدية اليها وعطلت بذلك على المسلمين الرحلة الى المسجد الاقصـى ثالـث المساجد التي لا تشد الرحلـة في الاسلام الا اليهـا .

هذا في الناحية السياسية ، في الاقتصاد لم يكن الحال باحسن من السياسة بحكم تبعية الاقتصاد للسياسة ، فقد تنازل المسلمون عـن انظمتهـم وتجهيزاتهم الاقتصادية والمالية واصبحوا يدورون في فلك الاقتصاد الغربي ، وانتهبت خيراتهم وثرواتهم الطبيعية بكيفية تبيا كل الغبن عليهم واضمحلـت الصناعة والانجازات الضرورية في العالم الاسلامي ، وصارت البلاد الاسلامية كلها سوقا مفتوحة لتصريف المنتجات الاجنبية ابتداء من الخيـط والابـرة الى المدفع والطائرة ، والادهى من ذلك كله ان المسلمين

نسوا رسالتهم فخضعوا للمعاملات الربوية المحرمة في قانون الاقتصاد الاسلامي تحريما باتا ، ذلك القانون الذي جاء باصلاح عظيم في هذا الباب انقذ الانسانية في وقت ما ، من تحكم ارباب رؤوس الاموال واستغلال صيارفة اليهود ، فعوض ان يقف المسلمون في وجه التيار استسلموا له وبات كثير من قادتهم يعتقدون انه لا نمو ولا ازدهار الا باصطناع نظام الفائدة والربا المحرم .

وفي الحياة الاجتماعية وقع تفكك كبير في نظام البيت والاسرة ، وضعفت العلاقات بين الابناء والآباء وسائر القرابات ، وقل الاحترام وانعدم التعاون وانتشر الانحلال الخلقي وعم التبرج والسفور السفيه ، وشربت الخمر علنا وتناولها الآباء والابناء مجتمعين ، وصار المسلمون من منتجيها وبائعيها ، وفتحت المواخير في اكثر من بلد اسلامي بله المراقص والملاهي ، واقتبست القوانين الاجنبية وحلت محل القوانين الشرعية ، ومنها قانون الحريات العامة الذي عطل قاعدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وابلح كثيرا من المفاسد حتى الردة والطعن في الدين وسائر المقدسات ، واحيلت اللغة العربية على التقاعد في التعليم والادارة واعطيت الاسبقية للغات الاجنبية وصار البعض يدعو الى كتابة العربية بالحرف اللاتيني بدعوى قصور الحرف العربي عن القراءة الصحيحة.

موجة المستعمر

واذا كانت هذه سلبيات القرن او اهمها على الاصح ، فالانصاف يقتضينا ان نذكر بالمقابل ايجابياته ، فلا ننسى ان حركات تحريرية عظيمة قامت في البلاد الاسلامية لمواجهة المستعمر ، وخاضت معارك ضارية ضده تارة بالقلم واخرى بالسلاح ، ونتج عنها استقلال معظم الشعوب العربية وغيرها من العالم الاسلامي في افريقيا وآسيا ، فملكت امرها وانتصبت فيها حكومات نهضت بالتعليم والصحة والعمران ، واخذت من وسائل الحضارة الحديثة ما لقحت به حضارتها القديمة ، والانجازات التي حققتها في هذا المجال مما لا يستهان به ، ولكن روح القومية الضيقة التي تمكنت من هذه الشعوب فرقت بينها وجعلت بعضها عدوا لبعض ، فلم تستفد الاستفادة الكاملة من نهضتها وتحررها من سيطرة الاجنبي ، وجاء الغزو الفكري فمكن للفرقة اكثر مما فعلت القوميات المختلفة ، وصار ولاء البلاد الاسلامية تابعا للمبادىء والافكار والايديولوجيات التي تتبناها وتحكم بمقتضاها ، فمن مشرق ومن مغرب ، ومن مذبذب بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ولكن ولاءه قطعا ليس للاسلام ولا لعقيدته ولا لشريعته ، وما كان يجمع بين الشعوب الاسلامية من عرب وغير عرب الا هذا الولاء للاسلام وعقيدته وشريعته ، وذلك الى الامس القريب جدا اي الى نهاية الحرب العالمية الاولى واوائل العشرينات ، حين فشلت الثورة العربية الكبرى في اقامة دولة موحدة لها ، والغت تركيا الخلافة الاسلامية التي كانت هي سر عظمتها .

وهكذا كانت الايجابيات التي اشرنا اليها من مكاسب القرن لا تقاوم السلبيات المتجذرة فيه ولا اثر لها في انقاذ الوضع الذي نشا عنها .. ومع ان الالقاء بانكلترا في البحر اي انهاء وجودها في العراق ومصر والسودان وهي في عنفوان قوتها امر ليس بالهين ، وازاحة السيطرة الفرنسية عن سوريا ولبنان والمغرب العربي ، وفرنسا هي ثالثة انكلترا في القوة والنفوذ ، عمل يدعو الى الاعجاب ، الا اننا نجد انفسنا اليوم ، ونحن اكثر وعيا واشد قوة عاجزين عن انهاء استهتار امريكا بنا وتحكمها فينا ، ونخاف من مواجهتها كما واجهنا الدولتين انفتي الذكر ، ولا اذكر اسرائيل فهي اخس من التفكير فيها لولا امريكا بل ان عجزنا اكثر تمثلا في تجرؤ الاتحاد السوفياتي على اكتساح افغانستان ، ومن حولها ثلاث دول من اعظم الدول الاسلامية ، ايران وتركيا وباكستان ، لم تحرك ساكنا ولم تبادر بما يجب عليها من حماية جارتها بل حماية نفسها قبل ان يطبق الدب الروسي عليها مثل الاسد والثيران الثلاثة الذي يقال فيه : اكلت يوم اكل الثور الاسود .

والخلاصة اننا نخرج من القرن الذاهب بمشاكلنا ونستقبل القرن القادم وحالنا على ما كان عليه بل اسوا ، فالغرب المسيحي ممثلا بامريكا ما زال يتصرف بمصائرنا بالرغم منا ، والشرق الشيوعي بزعامة روسيا يقطع اواصرنا حتى لا تقوم لنا قائمة ، واحسن القوم منا موقفا من يقول لم امر بها ولم تسؤني ، .. ودولنا الناشئة عاجزة عن أن ترفع راسنا عاليا وتخرج بنا من دوائر التخلف ، لانها دول متعددة وليست دولة موحدة ، وما تعده من قوة توجه اولا وبالذات الى القمع الداخلي والتنازع

فيما بينها ، على أن بعضها لم يستنكف أن يكون أداة للشغب والتحرش بجيرانه وقومه حسبما توحي به اليه الجهات المختلفة التي تصطنعه وتحركه ، ومنها اسرائيل وبا للخزي والعار . وان من شر ما تبتلى به الامم والشعوب أن يكون حكامها على غير عقيدتها فيحفروا بينها وبينهم هوة لا تردم ولا توصل بجسر مهما تكن قوته ، فالعرب والمسلمون يريدون ان يكونوا اخوانا والحكومات تفرقهم وتخالف بينهم ، ويريدون ان يبقوا مسلمين والحكومات تفرض عليهم مذاهب وانظمة غير اسلامية ، وهم لن يقاتلوا في سبيلها الا اذا راجعت نفسها وعلمت انها صاحبة دعوة وحاملة رسالة ، عليها قبل كل شيء ان تعمل بها في نفسها وتجتهد لتبليغها الى غيرها كما تفعل الدول التي تغري باتباعها وترضى ان تكون ذيلا لها من شرقية وغربية .

ان جميع المجهودات التي تبذل من اجل التطور واللحاق بركب الدول المتقدمة ، تذهب سدى ما دام الصف غير موحد والكلمة مختلفة ، ولن يرضى المسلمين بغيرها ما كان لهم من مكانة في الماضي ، او على الاقل بكونهم قوة ثالثة في مقابل القوتين العظيمين ، وهذا لا يتاتى بالتفرقة والخلاف. فعلى الحكومات الاسلامية ان تتخلى عن التبعية لاى معسكر اجنبي شرقيا كان او غربيا ، وتنبذ ما تتخذه من انظمة ومذاهب مستوردة وتحل مشكلة اسرائيل على ارضها وترغم السوفيات على الانسحاب من افغانستان ، عليها ان يكون هذا همها الاول وشغلها الشاغل ومطلبها الذي يجب ان يتحقق بجميع الوسائل والطرق . كيلا تبقى مصنفة في دول العالم الثالث ، ولا سبيل لذلك الا بالتحامها بشعوبها وتفاهم قادتها وتقارب بعضهم من بعض ، وادراكهم ان ما اصاب بلادهم من نكبات وانتكاسات انما هو بخروجهم عن الجماعة ، فان الذئب انما ياكل من الشاة القاصية كما في الحديث .

رفض التبعية

واعظم ما يجب ان ينبذه الحكام المسلمون من اذهانهم ويستبعدوه من سياستهم هو فكرة الاستتباع، فليس هناك شعب يقبل ان يكون موضع تجربة لسيطرة جديدة بعد ان نفض عنه غبار الخمول ورفض الاستعمار بجميع أنواعه ، لكن العمل على اعادة الخلافة الاسلامية وانشاء الولايات المتحدة الاسلامية امر مرغوب فيه وحتمية حضارية وبرنامج واحد ، يجب ان تتكتل الجهود وتحشد الطاقات لابرازه للوجود باي شكل من الاشكال التي يقتضيها العصر ولا تتصادم بالمعوقات المعروفة ولا يفرضه ماض ولا كثرة ولا اى اعتبار آخر الا العمل والاخلاص والتضحية ونكران الذات ، وبهذا يتمكن المسلمون من اداء رسالتهم وانقاذ البشرية مما تتخبط فيه من ظلم وظلام ، وتعود الحضارة الشرقية الاسلامية سيرتها الاولى من المزاوجة بين الروح والمادة والدين والعلم والدنيا والآخرة ، ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله، ويومئذ يعلو الحق ويزهق الباطل ، ويومئذ يحل السلام في الارض وتعم السعادة الناس .

هذه نظرتنا المستقبلية الى القرن الخامس عشر الهجري الذي بدت طلائعه بما تحمله من تحديات لنا نحن المسلمين هي في جوهرها تحديات القرن الماضي ، واكثرها فيما نرى تعود الى السياسة ومن السياسة تكونت وذلك كان راي السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله وما يمليه واقع المسلمين ، فشوقي حين كان يعكس في شعره سياسة الباب العالي واحداث الاستانة كان العالم العربي كله يردد شعره ويخلع عليه حلة امير الشعراء ، والمسلمون فى الهند الذين كانوا كلما تحرشت بريطانيا العظمى بدولة الخلافة تحركوا فكبحوا جماحها ، اعظم شاهد على ما نقول ، فلما انحرفنا عن هذا الخط لم نحسن سياسة ولم ننم اقتصادا ولم نحم عرينا ولم نفسح عارا ، بل جعلنا الاقوياء يفكرون في العودة وينفذ بعضهم الفكرة ويهدد بعضهم بالتدخل .

ونجعل ختام هذه الكلمة قوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا » .

(صدق الله العظيم)

طنجة : عبد الله كنون

فلسفة سياسة الملوك العلويين

للأستاذ محمد الفاسي

ان أكثر الدول المغربية قامت على دعـــوة دينيـــة كالادارســة والمرابطين والموحدين والسعديين . اما الدولة العلوية فان الداعي لقيامها هو ما كان عليه المغرب من تدهور وتجزئة مما دعا مولاي علـــي الشريف وابنه مولاي محمد لان يهبا لتوحيد القطر المغربي ومقاومـــة الفتـــن في كل أطراف المغرب من جهـة وتطهيره من الاحتلال الاجنبـي الانكليـــزي والبرتغالي من جهة أخرى . وبقيت هذه ميزة هذه الدولة منذ من الله بها على بلادنا في أحرج اوقات تاريخنا الى عهد محمد الخامس طيب الله ثراه وعهد وارث سره الملك العظيم الحسن الثاني نصره الله .

ومن يتصفح تاريخ هذه الدولة المشرق يقف على مواقف مجيدة في التعلق بوحدة التراب ومواجهة كل ما يمس هذه الوحدة . ومن المميزات البارزة ايضا في هذا التاريخ الوفاء والعناية بالعلم ونشره وايثار المصلحة العامة على كل اعتبار . وتلك كانت ولا تـــزال فلسفـــة سياسة الملـــوك العلوييـــن الاشاوس .

ويحكي لنا المؤرخون اولا ان هذه الفضائـــل راجعة الى صراحة نسبهم الشريف وصحته عنـــد أهل المغرب قاطبة بحيث تجاوز حد التواتر مـــرات كما قال صاحب الاستقصا مستشهدا بأقوال اكابـــر العلماء حيث قال : « وعن شيخ الجماعة ابي محمد عبد القادر الفاسي رحمه الله انه قسم شرفاء المغرب الى خمسة اقسام ومثل للقسم الاول المتفـــق على صحته بأصناف منهم هؤلاء السادة السجلماسيون . وقال الشيخ ابو علي اليوسي رحمه الله : « شرف السادة السجلماسيين مقطوع بصحتـــه كالشمس الضاحية في رابعة النهار » وعن الشيخ ابي العباس احمد ابن عبد الله معن الاندلسي انه كان يقول : « ما

ولي المغرب بعد الادارسة أصبح نسبا من شرفاء تافلالت » (1) .

ويقول كذلك المؤرخون عن المولى الحسن الداخل ابن قاسم انه لما طلب أهل سجلماسة من المولى القاسم بن محمد ان يبعث معهم الى بلدهم للتبرك به احد ابنائه الثمانية اختبرهم هذا الوالد الحكيم بسؤال كل واحد منهم على انفراد قائلا : « من فعل معك الخير فما تفعله معه انت فاجابوا جميعهم افعل معه الخير . ثم سالهم ومن فعل معك الشر فما تفعله انت معه ؟ فاجابوا كلهم افعل معه الشر سوى ولده الحسن اذ قال افعل معه الخير فزاد والده قائلا : « فيعود ذلك بالشر » فقال : « فأعود له بالخير الى أن يغلب خيري على شره » قال صاحب الاستقصا : « فاستنار وجه المولى قاسم وداخلته اريحية هاشمية ودعا له بالبركة فيه وفي عقبه فاجاب الله دعوته » (2) .

وهكذا استمرت هذه المنقبة وهذه الاخلاق الانسانية في ذريته مما نرى له امثلة لا تحصى . وناهيك بسيرة المولى علي الشريف بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل جد العائلة العلوية وهي معروفة ؛ ومن أبرز اخباره انه توسل اليه أهل الاندلس وهو اذ ذاك يقطن بفاس بحومة جزاء ابن عامر ان يقدم عليهم لجهاد عدوهم وقد تنمر عليهم ورجوا من علماء فاس ان يلحوا عليه في ذلك وكان سبب تلكئه ما كان يعلمه من نيتهم في عرض الملك عليه وهو يأبى ذلك ليبقى جهاده لوجه الله . وقد استجاب لطلبهم وعبر الى الاندلس ومعه جماعة من الغزاة المجاهدين . ويرون انه كان له أيضا جهاد في ناحية اكدج من السودان ورزق الظفر والفتح . اما عن توحيد البلاد والقضاء على الثوار والمدعين الملك فقد كان لمولاي محمد ولمولاي الرشيد فضل كبير حيث قضيا على السملاليين الذين كانوا مستولين على سوس ودرعة وعلى الدلائيين الذين كان لهم ملك جبال الاطلس المتوسط وفاس وسلا وعلى الخضر غيلان وقد كان مستوليا على الشمال الغربي من البلاد وعلى أتراك وجدة وكانوا استغلوا تدهور الاحوال في آخر الدولة السعدية ودخلوا هذه المدينة على الحدود المغربية الجزائرية في محاولة الاستيلاء على المغرب كما استولوا من قبل على كل البلاد العربية شرقا وغربا ؛ فأوقفهم المولى محمد بل بعد ما اخرجهم من وجدة تقدم في القطر الجزائري وبايعته كثير من قبائله .

وهكذا تم توحيد المغرب وبقيت المراسي المحتلة في قبضة الانكليز والاسبان والبرتغاليين حتى قيض الله لها المولى اسماعيل فحرر المعمورة المسماة اليوم المهدية وطنجة والعرائش واصيلة وحاصر سبتة وبادس . وأما مرسى الجديدة فقد كان تحريرها من نصيب حفيده سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله الذي اخرج البرتغاليين منها وجددها.

وبكل هذا نرى أن ملوك الدولة العلوية وفوا لاول مبدأ من المبادىء التي بنوا عليها سياستهم وهو توحيد المغرب سياسيا والحفاظ على وحدة ترابه حتى أن المؤرخين قالوا عن سيدي محمد بن عبد الله انه كان لا يقر له قرار من أجل مشاركة البرتغال له في قطعة من أرضه . ومرة اخرى اقول ان فكرة المحافظة على الارض هي ابرز ميزة الملوك العلويين وهي مفتاح معرفة سياستهم . وكان لزاما عليهم لبلوغ هذا الهدف ان يعتنوا بالتجهيز الحربي برا وبحرا . لذا نرى ايضا اهتمامهم بذلك بارزا في سياستهم الداخلية والخارجية حيث يبعثون السفراء لبلاد اوربا لاصلاح السفن وشراء معداتها واقتناء كميات كبيرة من البارود زيادة على ما كانوا ينتجونه في المغرب والمدافع النحاسية . ومن ذلك سفارة الحاج التهامي المدور الرباطي الى السويد ايام سيدي محمد بن عبد الله وسفارة الرئيس ابي عبد الله محمد العربي المستيري الى انكلترا في عهده أيضا .

والوفاء الذي هو من خصائص الملوك العلويين يتجلى زيادة على اخلاصهم للبلاد في اخلاصهم للمبادىء الاسلامية والدفاع عن حوزة الاسلام والعناية بشؤون المسلمين سواء كانوا من رعاياهم أو من بلاد اسلامية اخرى . ومن انصع الصفحات في هذا المجال ما ذكره المؤرخون من ان سيدي محمد بن عبد الله بعد ان افتدى كل أسرى المسلمين عند الاسبان بقي عند

---

(1) الاستقصا ط. الدار البيضاء ج 7 ص 4 .
(2) نفس الكتاب ج 7 ص 6 .

هؤلاء نحو ستمائة والف من الاسرى الجزائريين فامتنعوا من تسريحهم وقالوا بأن لنا أسرى عند صاحب الجزائر نريد أن نفاديهم بأسراهم وطلبوا منه أن تكون هذه المفاداة على يده . فبعث سيدي محمد الى داي الجزائر وديوانه يتوسط في ذلك فامتنعوا وعاود الطلب مرة اخرى وثالثة ووعظهم وخوفهم عقاب الله فعند ذلك قبلوا فوجه لهم سفيره الغزال وكتب لملك اسبانيا يعلمه بذلك ويطلب منه ان يبعث بمن عنده من اسرى الجزائريين ففعل وتمت المفاداة على يده بواسطة الغزال وكتب الله اجر ذلك في صحيفته كما قال الناصري في تاريخه (3) . ومن هذا القبيل تدخله في افتداء اسبانية وقعت في أسر اتراك الجزائر . وهي من قرابة ملك اسبانيا فطلب منه أن يشفع له في فدائها ففعل ولكن أصحاب الجزائر امتنعوا فكتب سيدي محمد للسلطان عبد الحميد فما كان منه الا ان كتب لهم يوبخهم على رد شفاعة سلطان المغرب ، ومن جملة ما ورد في كتابه لهم : « ولو طلب مني سلطان المغرب الف نصرانية لبعثتها اليه وحتى الآن نأمركم أن تبعثوا اليه بهذه النصرانية ولو كانت هي الملكة . ولا تقبضوا فيها فداء . أو ما رايتم ما افتكه ملك المغرب من اسرى الترك من كل جنس حتى لم يبق في اسر الكفار مسلم ؟ » (4) . ولخص هذه المواقف لسيدي محمد في افتكاك الاسارى صاحب الاستقصا بقوله : « أما ما انفقه من الاموال في فكاك اسرى المسلمين فأكثر من ذلك كله (5) حتى لم يبق ببلاد الكفر أسير لا من المغرب ولا من المشرق » (6) .

وهذا الوفاء يتعدى المبادىء الوطنية والاسلامية الى الوفاء لمن قدم معروفا لبلاده ولعرشه مما يمتاز به هؤلاء الملوك العلويون . وقد ذكر المؤرخون اكنسوس في الجيش وصاحب البستان ونقل ذلك عنهما الناصري في الاستقصا ان المولى المامون بن اسماعيل كان منحرفا عن الوزير اليحمدي فقال يوما لوالده : « يا مولاي ان اليحمدي ينقصك ويزعم أنه الذي علمك دينك ؟ » فقال له السلطان : « والله ان كان قال ذلك انه لصادق فانه الذي علمني ديني وعرفني بربي » . وهذا الوفاء المنقطع النظير يتحلى به في الدرجة الاولى ملكنا المفدى الحسن الثاني جازاه الله خيرا عن الوفاء لدينه ووطنه وجميع رجالات الحركة الوطنية الذين ما من واحد منهم الا ونالته منه عناية خاصة خصوصا في مرضهم او حلول عجز بهم .

كل هذا جعل لهم في قلوب رعاياهم محبة خالصة وتشبثا عميقا ظهر في امثلة كثيرة حيث نرى مثلا بعض القبائل تثور على عمال الملوك وتمتنع من اداء الزكوات فتقوم بينهم وبين جيوش المخزن حروب ويقع أن تندحر هذه الجيوش أمام الثوار ولكن اذا وقع وتم لهم الاستيلاء على معسكر المخزن وتمكنوا من السلطان كما وقع للمولى سليمان وهو من اكبر السلاطين عدلا وعلما فانهم لما عرفوه اركبوه واخذوه الى حلتهم فاقبلت نساء الحي من كل جهة يفرحن ويضربن بالدفوف وجاء رجال الحي فاعظموا حلوله بين اظهرهم واجلوه وسعوا في ما يرضيه من وطاء ومطعم ومشرب واظهروا له غاية الخضوع والاستكانة حتى انهم كتفوا نساءهم وقدموهن اليه مستشفعين بهن في العفو عنهم وهم الذين كانوا يقاتلونه او قل يقاتلون عماله ورجال دولته . وهذه ظاهرة لم يشاهد لها مثيل لا في دولة المغرب ولا في غيرها . وهذه الحادثة ابرز عنوان عن تعلق المغاربة بملوك الدولة العلوية المجيدة .

أما عن العناية بالعلم ونشره وبأساليب التدريس وهذا من مميزات سياسة الملوك العلويين فهو نابع من كون الملوك الاولين كانوا من المقبلين على العلم خصوصا المولى الرشيد الذي درس بالقرويين ولما بويع بنى بمدينة فاس اكبر مدرسة لايواء الطلبة وهي مدرسة الشراطين التي اخذت لها اسم مؤسسها لما كنت مديرا لجامعة القرويين فسميتها المدرسة الرشيدية . وقد كان كثير من هؤلاء الملوك من العلماء مثل سيدي محمد بن عبد الله ومولاي سليمان

---

(3) ج 8 ص. 39 .

(4) ج 8 ص. 58 .

(5) يعني ما انفقه في الجهاد على رؤساء البحر وما صيره على المراكب الجهادية وغير ذلك من الشؤون الاجتماعية ونحوها .

(6) ج 8 ص. 70 .

ومولاي عبد الحفيظ وملكنا الحسن الثاني المتبحر في فنون العلم المتنوعة أيده الله ونصره .

ومن مآثر سيدي محمد بن عبد الله في هذا الميدان ما أمر به من تحبيس الكتب الاسماعيلية التي كانت بدويرة الكتب بمكناسة الزيتون على مساجد المغرب كلهم وكان عددها اثنى عشر الف مجلد وزيادة . وكان مجلس هذا الملك العالم مجمع العلماء والادباء وكان له اعتناء كبير بنسخ كتب العلم الغريبة وكتب الادب ، قال الناصري في الاستقصا : « وكان كثيرا ما يبعث باشعاره ومخاطباته لاهل عصره وادباء وقته من الفاسيين والبكريين والقادريين » (7) .

وقد كان لسيدي محمد هذا نظر في طريقة التعليم وهي الرجوع في العلوم الى الامهات المبسوطة الواضحة والعدول عن المختصرات ويعتبر الاشتغال بها تضييعا للاعمار في غير طائل . وذكر انه وضع في هذه الطريقة كتابا مبسوطا اظن انه يعتبر ضائعا . وله تآليف اخرى من اهمها « الفتوحات » في الحديث وهو مطبوع .

وقد كان المولى سليمان رحمه الله مثله في هذه السيرة التي تمتاز بتعظيم العلماء . وقد ذكر المؤرخون انه كان « يرفع مناصبهم على سائر رجال دولته ويجري عليهم الارزاق كما قال الناصري ... حتى لقد تنافس الناس في ايامه في اقتناء العلوم وانتحال صناعتها لاعتزاز العلم واهله في دولته » (8) وقد كان من وفائه لشيخه محمد بن عبد السلام الفاسي ان الف تاريخا لبيته سماه « عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي بني الجد » وهو مطبوع بفاس رحمه الله واجزل ثوابه .

وان ملوكنا من العلويين يمتازون فوق كل هذا بايثار المصلحة العامة وتقديمها على كل اعتبار والامثلة على سياستهم هذه في كل اطوار التاريخ العلوي كثيرة ولكن انصعها وادلها على تمسكهم بخير الامة ولو على حساب مصلحتهم وان كانت مشروعة هو ما خلده المولى سليمان من فضيلة تقديمه المولى عبد الرحمن ابن اخيه على أولاده من صلبه لتولي الملك من بعده وقد ترك في ذلك وصية نختم بها هذه العجالة ، قال رحمه الله :

« واراد أن يترك امر الناس لابن اخيه المولى عبد الرحمن ابن هشام وهو يتخلى لعبادة ربه الى ان ياتيه اليقين ، قال ذلك غير مرة وتعددت فيه رسائله ومكاتيبه . فمما كتبه في ذلك هذه الوصية التي يقول فيها : « الحمد لله لما رايت ما وقع من الالحاد في الدين واستيلاء الفسقة والجهلة على أمر المسلمين ، وقد قال عمر أن تابعناهم تابعناهم على ما لا ترضى والا وقع الخلاف ، وأولئك عدول وهؤلاء فساق ، وقال عمر : فبايعنا أبا بكر فكان والله خير ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق ابي بكر يابى الله ويدفع المسلمون ورشحه بتقديمه للصلاة اذ هي عماد الدين ، وقال ابو بكر للمسلمين : بايعوا عمر واخذ له البيعة في حياته فلزمت وصحت بعد موته ، وقال عمر : هؤلاء الستة افضل المسلمين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم العبد صهيب ، وقال ابو عبيدة امين هذه الامة ، وقال : ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابي ذر ، وقال في ابي بكر وعمر اكثر من هذا ، فصار المدح للتعريف واجبا ، ولاظهار حال الرجل ليتبعوه فاقول جعله الله خالصا لوجهه الكريم : ما اظن في اولاد مولانا الجد عبد الله ، ولا في اولاد سيدي محمد والدي رحمه الله ، ولا اولاد أولاده أفضل من مولاي عبد الرحمن بن هشام ولا اصلح لهذا الامر منه لانه ان شاء الله حفظه الله لا يشرب الخمر ولا يزني ولا يكذب ولا يخون ، ولا يقدم على الدماء والاموال بلا موجب ، ولو ملك ملك المشرقين ، لانها عادة صبيية ، ويصوم الفرض والنفل ويصلي الفرض والنفل وانما اتيت به من الصويرة ليراه الناس ويعرفوه ، واخرجته من تافيلالت لاظهره لهم لان الدين النصيحة ، فان تبعه اهل الحق صلح امرهم كما صلح سيدي محمد جده وابوه حي ، ولا يحتاجون الى ابدا ويغبطه اهل المغرب ويتبعونه ان شاء الله وكان من اتبعه اتبع الهدى والنور ومن اتبع غيره اتبع الفتنة والضلال ، واحذر الناس اولاد يزيد كما حذر والدي ، وقد راى من اتبعه او اتبع أولاده كيف خاض الظلمة ونالته دعوة والده وخرج على الامة ، واما انا فقد خفت قواي ووهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ، حفظني الله في اولادي والمسلمين آمين ، نصيحة ووصية سليمان بن محمد لطف الله به ام » .

(7) ج 8 ص. 52 .

(8) ج 8 ص. 170 .

من أمجاد الاسلام في المغرب :

المنصور بن ابي عامر

للأستاذ سعيد أعراب

— انتظم جنده من المغاربة ، فكان سيفا لا يقهر !

— غزا (57) غزاة ، لم تنتكس له فيها راية !

— جالت جيوشه في قشتالة وليون وآرغون .. الى جنوبي فرنسا ؟

في غمرة الاستعدادات للاحتفال بالذكرى العشرين لتربع جلالة الملك الحسن الثاني على عرش اسلافه المنعمين ، والعيد الفضي لاستقلال بلادنا التي تصادف هذه السنة ـ مطلع القرن الخامس عشر الهجري ـ مر بي شريط من الامجاد : من طارق ابن زياد ، الى البطل الخالد محمد الخامس ، فاحببت ان اتحدث في هذه السطور ، عن شخصية المنصور ابن ابي عامر ، والدور الذي لعبه الجنود المغاربة في فتوحاته ، التي وصلت الى مجاهل لم تطأها قدم مسلم من قبل ، واكتسحت جيوشه اراضي قشتالة، وليون ، واراغون ... الى جنوبي فرنسا ، وكانت غزاوته سبعا (1) وخمسين غزاة ، لم يفل له فيها جيش ، ولم تنكس له راية ، ولا أصيب له بعث ، ولا هلكت سرية ، وهو امر لم تحظ به اية دولة من دول الاسلام في عصورها الزاهية ، بل هو من غرائب التاريخ الذي لا يعرف له نظير !

اسمه ونسبه :

هو ابو عامر محمد بن عبد الله (2) بن عامر بن ابي عامر : محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري (3) ، لقب بالحاجب ، واشتهر بالمنصور ، وجده عبد الملك هو الذي دخل مع طارق الى الاندلس ، وكان له في فتحها اثر جميل ، وكان

---

(1) حسب رواية البيان المغرب 2 / 301 ، وتشير اليه عبارة ابن الخطيب في اعلام الاعلام : (في نحو سبع وخمسين من الغزوات) ، ج 1 ، ص 58 .

(2) في البيان المغرب 2 / 256 ، والحلة السيراء 1 / 168 ـ زيادة (بن محمد بن عبد الله) .

(3) اضاف في المعجب ص 28 (القحطاني) .

عظيما في قومه ، نزل الجزيرة الخضراء لاول الفتح ، فساد اهلها ، وكثر عقبه بها ، وتكررت فيها النباهة والوجاهة ، واتصل بالخلفاء جماعة منهم ، من بينهم ابو عامر بن الوليد الذي عرف به آل عامر ، وساد بعده ولده عامر ، فولي الولايات والاعمال ، ومات بقرطبة ، وباسمه نقش المنصور السكك ، ورقم الاعلام ، وكان عبد الله – والده – من اهل الدين ، والزهد في الدنيا ، والبعد عن السلطان ، سمع الحديث ، وادى فريضة الحج ، ومات عند منصرفه بطرابلس الغرب (4) ، واصهر التميميين المعروفين بقرطبة ببني برطال ، فتزوج بريهة بنت يحيى بن زكرياء ، فولدت له محمدا (5) المنصور (مترجمنا) فجمع الشرف من طرفيه ، والتحف بمطرفيه (6) ، ولذا قال فيه ابن دراج القسطلي :

تلاقت عليه من تميم ويعرب
شموس تلالا في العلى وبدور
من الحميريين الذين اكفهم
سحائب تهمي بالندى وبحور (7)

مولده ونشاته :

ولد ابو عامر بقرية طرش على نهر آروا من اعمال الجزيرة الخضراء، سنة (327 هـ – 938 م) (9) ونشا ظاهر النجابة ، معما مخولا في الفضل والنباهة (10) ؛ قدم قرطبة حدثا ، وبها درس وتثقف ؛ سمع الحديث على أبي بكر بن معاوية القرشي – رواية النسائي – وغيره ، وقرأ الادب واللغات على ابي علي القالي ، وابي بكر بن القوطية ، وسواهم (11) ؛ وكان آية في الذكاء ، طموحا الى المعالي .

طموحاته :

وكانت طموحات ابن أبي عامر لا تقف عند حد ، فهو سيملك العدوتين (الاندلس والمغرب) ، ويقود الجيوش ، ويقهر الاعداء ، ويعيد للاسلام عزته وصولته ، ويضرب على ايدي العابثين والمفسدين ، ويعيش الناس – في كنفه – في ارغد عيش ، وأمن وامان ... وكل هذه الاماني تحققت ، فكانت كفلق الصبح ! (12) .

ومما كان يمني به نفسه ، أن يجعلها خلافة اسلامية ، تضم المشرق والمغرب ، وتخفق فوقها راية واحدة :

منع العين ان تذوق المناما
حبها أن ترى الصفا والمقاما
لي ديون بالشرق عند اناس
قد احلوا بالمشعرين الحراما
عن قريب ترى خيول هشام
يبلغ النيل خطوها والشاما (13)

قربه من السلطان :

عندما انهى ابن ابي عامر دراسته بقرطبة ، جلس بدكان قرب باب القصر ، يكتب لمن يعن له ان يكتب من الفتيان، والخدم المرافقين للسلطان (14) ؛

---

(4) ترجمه في التكملة 1 / 437 ، رقم : 1251 .
(5) انظر البيان المغرب 2 / 257 .
(6) البيان المغرب 2 / 274 .
(7) انظر الديوان ص 252 .
(8) انظر المعجب : 28 ، والنفح 1 / 399 ، وفيه (تركش) .
(9) انظر الحلة السيراء 1 / 272 .
(10) انظر اعمال الاعلام 1 / 59 .
(11) انظر البيان المغرب 2 / 258 .
(12) انظر جذوة المقتبس ص 73 ، والمعجب 28 – 29 .
(13) انظر النفح 1 / 406 – 407 .
(14) نفس المصدر .

الامور أحسن سياسة ، وداس الخطوب باخشن دياسة ، فانتظمت له الممالك ، واتضحت به المسالك ، وانتشر الامن في كل طريق ، واستشعر اليمن كل فريق (26) .... ولما مات الحكم ، بويع هشام الملقب بالمؤيد ، وتولى ابن أبي عامر دعوة الناس لذلك ، فلم يتخلف عن البيعة احد ، وكان لذلك اثر كبير في اعلاء شأنه ، وبعد صيته ، ولم يمض يومان على بيعة هشام ، حتى قلد جعفر ابن عثمان المصحفي حاجبا لدولته ، كما نصب محمد بن أبي عامر وزيرا ، وجعله رسيلا لحاجبه جعفر في تدبير شؤون الدولة، ثم التزم جعفر سياسة تقوم على الاستيثار بالاعمال، واحتجان الاموال ، وعارضه ابن ابي عامر في تلك السياسة ، فكانا على طرفي نقيض : فقد استبدل بالبخل جودا ، وبالاستبداد اثرة ، وباقتناء الضياع ، اصطناع الرجال ، وابن أبي عامر يسكر به ، ويضرب بين حسدته ، ويناقضه في اكثر ما يعامل به الناس، ويستميلهم بالبذل وقضاء الحوائج ، ويتقدم من المعالي الى ما يحجم جعفر عنه ، يستضم الرجال ، وجعفر يدفعهم (27) ...

ويحدثنا ابن خلدون في هذا الصدد فيقول : (... ثم اصابت الحكم العلة ، فلزم الفراش ، الى أن هلك سنة (366 هـ – 976 م) وولي بعده ابنه هشام صغيرا مناهز الحلم ، وكان الحكم قد استوزر له محمد بن أبي عامر ، نقله من خطة القضاء الى وزارته ، وفوض اليه في أموره ، فاستقر وحسنت حالته عند الحكم ، فلما توفي الحكم ، بويع هشام ، ولقب المؤيد ... ثم سما محمد بن أبي عامر المتغلب على هشام – لمكانه في السن ، وثاب له راي في الاستبداد ، فمكر باهل الدولة ، وقتل بعضهم ببعض ... وحجب هشاما وغلب عليه ، ومنع الوزراء من الوصول اليه ، الا في النادر من الايام ، يسلمون وينصرفون ، وارخص للجند في العطاء ، واعلى مراتب العلماء ، وقمع اهل البدع ... (28) .

اختيار جنده من المغاربة ، وصرف همته الى الجهاد :

ظلت بطولات المغاربة معروفة ومشتهرة في الجزيرة الايبيرية – منذ عهد طارق بن زياد ايام الفتح ، ومر بنا أن عبد الملك – الجد الاعلى للمنصور – كان ممن قاتل الى جانب طارق .

وكان خلفاء بني امية – اذا دهمهم أمر ، او احدق بهم خطر – اتجهت انظارهم الى عدوة المغرب ، فتتحرك اليهم فرسان الهيجاء ، وابطال الكريهة ، واعلام السمرة من فرسان الغرب :

واذا الشهر ابدى ناجذيه لهم
طاروا اليه زرافات ووحدانا

وكان الحكم المستنصر استقدم افواجا منهم ، تولوا وظائف عليا في جيشه (29) ، وكان لهم دورهم الفعال في حروبه مع الشيعة – العبيديين – وكان الحكم يعجب – بوجه خاص – بفروسيتهم : (حسن عنده زيهم ، واستنبل تخفيفهم في مراكبهم ، وانكماشهم في ثقلهم ، ورأى أن اخذهم بذلك في آلتهم ، اليق بصناعتهم ، وارفق بخيولهم ، حتى انه ظل ايام علته يشرف عليهم من قصبة دار الرخام ، ويتطلع على فرسانهم – اذا تحركوا للعب – شاخصا اليهم ، معجبا بهم ، يقول لمن حوله : انظروا الى انطباع هؤلاء القوم على خيولهم ، فكأنهم الذين عناهم الشاعر (المتنبي) بقوله :

فكأنما ولدت قياما تحتهم
وكأنهم ولدوا على صهواتها

ما اعجب انقيادها لهم ، كأنها تفهم كلامهم !) (30) .

(26) البيان المغرب 2 / 259 .
(27) انظر الذخيرة ق 4 – 1 / 43 .
(28) العبر 4 / 318 – 319 .
(29) المقتبس ص 192 .
(30) نفس المصدر .

وقد أورد ابن حيان وصفا رائعا للاستقبال الذي أعده الحكم لرؤساء الجنود المغاربة الذين حققوا نصرا ساحقا على العبيديين بالمغرب ، وكان ابن ابي عامر على رأس بعثة الشرف التي وجهها الخليفة للترحيب بهم ، وكانت المسافة بعيدة ، وتحركات الوفد وئيدة ، استغرقت خمسة عشر يوما ما بين الذهاب والاياب ؛ وقد بالغ الخليفة في الاحتفال بهم ، وقدم اليهم هدايا سنية ، وانزلهم فى القصور الفخمة ، واجرى عليهم جرايات ضخمة ، وكان دخولهم الى قرطبة يوما مشهودا (31) .

اما المنصور بن أبي عامر ، فانه لما سيطر على الحكم ، واستولى على مقاليد الملك ، رأى من الضروري ان يكون الى جانبه جيش قوي ، يضمن للبلاد سلامتها وامنها ، يرهب اعداءها ، ويعز دينها ؛ فاختار جنده من المغاربة ، وكان قد عرف عنهم ما عرف في حروبهم مع الشيعة ــ العبيديين ــ ايام ولايته قضاء القضاة بالمغرب ، وكان شرف هو بنفسه على هذه الحروب ويمولها ، ويراقب سيرها واتجاهاتها ؛ فكان في النهاية الظفر ، والنصر المؤزر لانصار السنة والجماعة ؛ وقد تلقى ابن أبي عامر دروسا قاسية في هذه الحرب ، تعلم منها كيف تعبأ الجيوش ؟ وكيف تكون مواجهة العدو ؟ وما هي الوسائل التي يتذرع بها المحارب حتى ينتزع النصر من خصمه ؟

فوجه النداء لاستقدامهم من عصم الجبال ، ومن معاقل ثكناتهم في السهول والوهاد ؛ فانثالوا عليه من كل حدب وصوب ، (وما زالوا يتلاحقون ، وفرسانهم يتوافرون ، يجيء الرجل منهم بلباسه الخلق على الاعجف ، فيبدل له بلباس الخز الطرازي وغيره ، ويركب الجواد العتيق ، ويسكن قصرا لم يتصور له في منامه مثله ، حتى صاروا اكثر اجناد الاندلس ، ولم تزل طائفة البربر خاصة ابن ابي عامر وبطانته ، وهم اظهر الجند نعمة ، واعلاهم منزلة ...) . (32)

فاستظهر بهم على أعدائه ، وخاض الدياجير فى حياته (33) ؛ فلم يعرف ــ دائما ــ الا الظفر والنصر في كل حروبه ، وسائر تحركاته ؛ وفي هذا يقول ابن خلدون : (... ثم لما خلا الجو من أولياء الخلافة ، والمرشحين للرياسة ، رجع الى الجند ، فاستدعى اهل العدوة ، من رجال زناتة والبرابرة ، فرتب منهم جنده ، واصطنع اولياء ، وعرف عرفاء ، من صنهاجة ، ومغراوة ، وبني يفرن ، وبني برزال ، ومكناسة ، وغيرهم ؛ فتغلب على هشام وحجزه ، واستولى على الدولة ، وملا الدنيا ــ وهو في جوف بيته ــ من تعظيم الخلافة ، والخضوع لها ، ورد الامور اليها ، وترديد الغزو والجهاد ؛ وقدم رجال البرابرة زناتة ، واخر رجال العرب ، واسقطهم عن مراتبهم ؛ فتم له ما اراد من الاستقلال بالملك ، وردد الغزو بنفسه الى دار الحرب ، فغزا (56) غزوة في سائر ايام ملكه ، لم تنكسر له فيها راية ، ولا فل له جيش ، ولا اصيب له بعث ، ولا هلكت سرية) (34) .

وينوه ابن الخطيب ببطولات الجنود المغاربة في حروبهم التي خاضها الى جانب ابن ابي عامر :

(... صرف سعيه الى الجهاد ، وتمهيد البلاد ؛ فاستظهر بفرسان الهيجاء ، وابطال الكريهة ، واعلام السمرة ، من فرسان الغرب وزناتة ، الواردين على بابه ؛ فارتاش منهم باجنحة وافرة ، لم يستظهر قبله ملك بمثلها ... وانتقى الرجال ، فكان لا يلحق في ديوانه ، الا من تقرر غناؤه ، وتحقق نفعه ، وكرم موقفه ، ودرت الفتوح .. والح على ملوك قشتالة بالغزو والاضاقة ، يوالي عليهم الصوائف والشواتي ، حتى اذعنوا من خطط الخسف لما لم يذعنوا قبله ، ولا عرفوه في زمن تقدمه) (35) .

---

(31) وقد استغرق وصف ابن حيان لهذا الاحتفال (16) صفحة ، ص : 41 ــ 56 ، وفيه ان الشعراء انشدوا بهذه المناسبة عدة قصائد ، منها قصيدة ابن شخيص التي مطلعها :

بأيمن اقبال واسعد طائر ... تباشير محتوم من الامر واقع

(32) البيان المغرب 2 / 278 .

(33) انظر المقتبس ص 193 .

(34) العبر 4 / 319 ــ 320 .

(35) اعمال الاعلام 1 / 66 .

وأمام هذا الحشد الضخم من الجنود المدربة، التي أثبتت كفاءتها وقوتها في الحروب الظافرة التي خاضتها مع العدو، أصدر المنصور بن أبي عامر أمره بإعفاء الناس من إجبارهم على الغزو، اكتفاء بعدد الجيش المرابط، وقرأ الخطباء ذلك المرسوم على الناس إثر قراءة كتب الفتح، وترك باب التطوع مفتوحا لمن أراد الجهاد في سبيل الله: (... فمن تطوع خيرا فهو خير، ومن خف اليه فمبرور ومأجور، ومن تثاقل فمعذور ...) (36).

ويلاحظ أن انتقاء ابن أبي عامر جنده من المغاربة، وتقديمهم على من سواهم، وتأخيره للجنود العرب – أهل البلد، وإسقاطهم عن مراتبهم؛ مما أثار حفيظة الكتاب الأندلسيين – إذا استثنينا ابن الخطيب، فإنهم أقاموا الدنيا وأقعدوها، ونادوا بالويل والثبور، ورموهم بعظائم الأمور، وجردوهم من كل فضيلة، وألبسوهم كل نقيصة ورذيلة، ولعل أكثرهم حنقا، وأشدهم ثلبا، هو ابن حيان، مؤرخ الدولة العامرية؛ فقد أرخى العنان لقلمه في الازراء بهم، والتثريب عليهم (37)؛ وكذلك الفتح ابن خاقان، الذي ضرب على هذا الوتر في أكثر كتاباته: (... وأذل قبائل الأندلس بإجازة البرابر، وأخمل بهم أولئك الأعلام الأكابر، فإنه قاومهم بأضدادهم، واستكثر من أعدادهم، حتى تغلبوا على الجمهور، وسلبوا منهم الظهور، ووثبوا عليهم الوثوب المشهور ...) (38).

ومهما يكن، فإن بطولات الجنود المغاربة، ظلت مضرب الأمثال في الأندلس على مر العصور والأحقاب، وإن الفتوحات التي خاضها بهم المنصور ابن أبي عامر، كانت من مفاخر الإسلام، وسنتحدث عن بعضها – بشيء من التفصيل – في أعداد قادمة بحول الله.

تطوان: سعيد أعراب

---

(36) نفس المصدر ص 68.

(37) انظر المقتبس ص 189، 191، 192.

(38) انظر البيان المغرب 2 / 274، والنفح 1 / 405 – 406.

الشيخ محمد المكي الناصري
عضوا في أكاديمية المملكة المغربية

اختار جلالة الملك الشيخ محمد المكي الناصري عضوا في أكاديمية المملكة المغربية. وقد اعتبر هذا التعيين تقديرا لمكانة الشيخ الناصري ودوره في الحياة العلمية والفكرية بالمغرب، فبالإضافة الى تولي سيادته لمنصب وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في مطلع السبعينات، فقد تقلد في مناصب متعددة، وساهم بحظ وافر في تطور المسيرة الفكرية لبلادنا، ويعد بحق أبرز رواد النهضة في المغرب الحديث، اذ عمل في حقل التعليم والصحافة والتأليف والكفاح الوطني منذ أوائل العشرينات. ومما يسجل للشيخ محمد المكي الناصري أنه أوفد أول بعثة تعليمية الى المشرق.

(دعوة الحق) تهنيء الشيخ محمد المكي الناصري على الثقة المولوية الكريمة وتتمنى لسيادته وافر النشاط وسابغ العافية لإتمام الرسالة الإسلامية التي نذر نفسه لها منذ نعومة أظفاره.

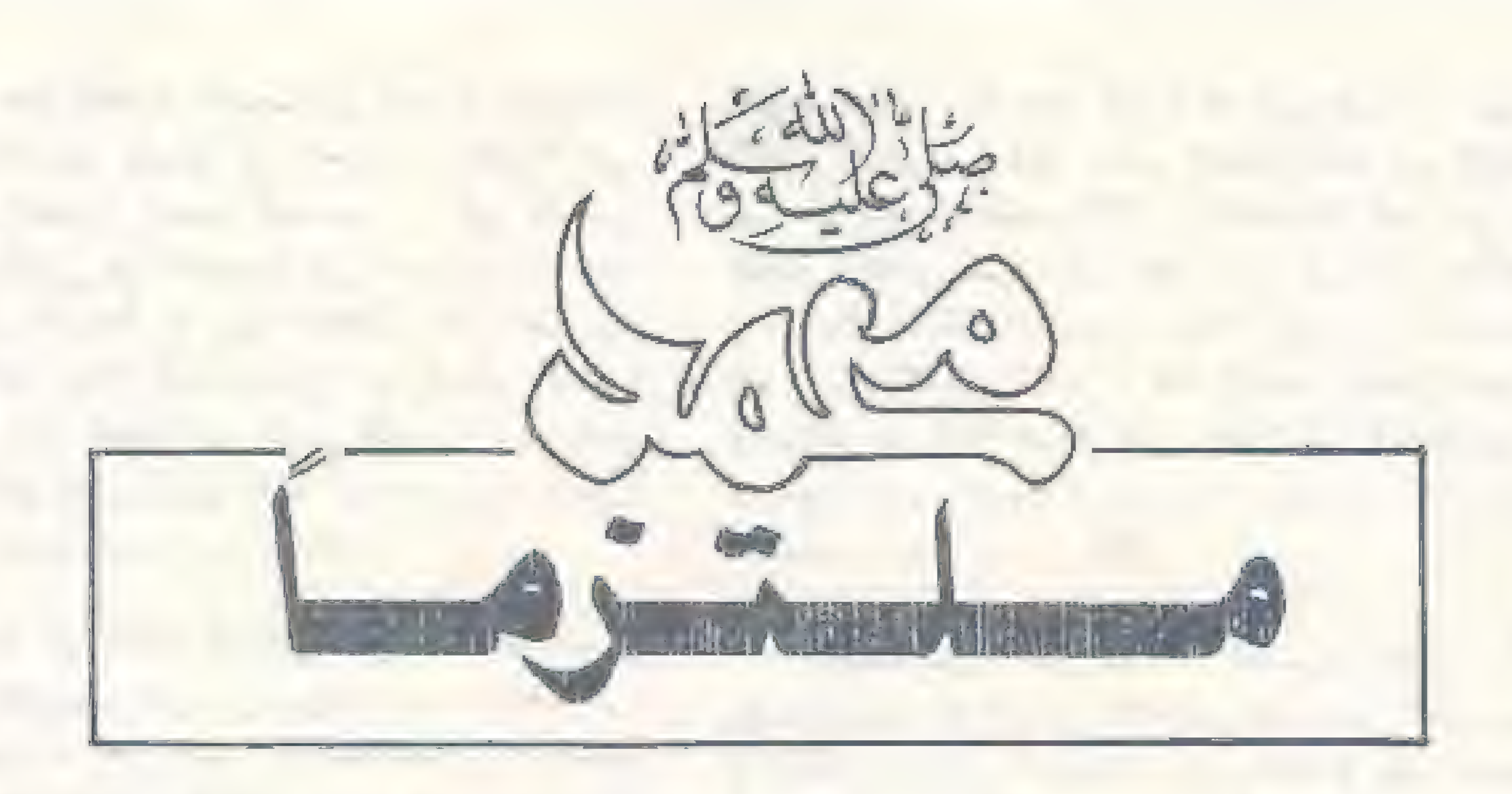
فوصف للحكم المستنصر ، فاستخلفه على قضاء كورة رية (15) — مالقة واعمالها ، فكان مثال القاضي العدل ، والحاكم النزيه ، ثم قربه اليه وجعله وكيلا لزوجته صبح ، ينظر في اموالها وضياعها (16) ، وتذكر بعض الروايات (17) ان اول وظيف شغله ابن ابي عامر — داخل القصر — تعيينه مشرفا على املاك الولد البكر للحكم ، الذي اسماه عبد الرحمن ، وخدمة والدته صبح ، فبيره مضاؤه ، وابدى من النصح وحسن النظر ما عرف له ، فاسند اليه النظر في دار السكة ، والخزينة المالية ، ثم قدمه على المواريث ، وقضاء كورة اشبيلية (18) ، وبلدة واعمالها (19) ، فاضطلع بهذه المسؤوليات كلها ، واداها على خير وجه ، ولم يلبث ان توفى الولد البكر عبد الرحمان ، فصرف الى وكالة هشام ولي العهد ، ثم اسند اليه الشرطة الوسطى (20) ، وكانت سياسة خلفاء بني امية ترمي الى القضاء على نفوذ الفاطميين بالمغرب الاقصى ، فتحالفوا مع بني خزر امراء زناتة ، فارسل الحكم جنده الى المغرب، لتقاتل معهم جنبا الى جنب ؛ وعين ابن ابي عامر قاضي القضاة (21) هناك ، وجعله امين المال (22) في هذه الحرب ؛ وامر قواده وعماله ان لا ينفذوا شيئا دونه بمشورته ، فحمدت سيرته وصحب حينئذ وجوه العسكر ، واشياخ القبائل وملوكهم ؛ فكانت تلك الحرب اول ظهوره ، ولم يزل يزداد نبلا ، ويرتقي منزلة ، الى ان اضاف اليه الحكم ، النظر في الحشم — آخر ايام حياته (23) . قال في البيان المغرب : (... فاجتهد وبرز في كل ما قلده ، واضطلع بجميع ما حمله ... ولم يزل الحكم يقدمه ويؤثره ، الى ان ولى العهد ابنه هشام ، فزاد مقداره لخاصته بولي العهد ، ومكانته من السيدة والدته ؛ فاحتاج الناس اليه ، وغشوا بابه ، فاناهم من سلف من اصحاب السلطان : سمة اسعاف ، وكرم لقاء ، وسهولة حجاب ، وحسن اخلاق ؛ فعرض جاهه ، وعمر بابه ، واتسع بناء داره بالرصافة ، واتخذ الكتاب الجلة ، واستصحب سراة الصحابة ؛ وكانت مائدته موضوعة لمن ينتاب داره ، وهمته تترامى الى وراء ما يناله (24 ...) .

سيطرته على الحكم وقضاؤه على الفساد :

لما اعتل الحكم وتوجس خيفة من اخوته أن يثبوا على كرسي الخلافة من بعده ، كاشف ابن ابي عامر بهذا التوجس ، لانه كان مستشاره الامين ، فاقترح عليه التعجيل بالبيعة لهشام ، فامر على الفور باحضار الوزراء والعلماء ووجوه قرطبة ... فتمت له البيعة ، واصبح الوريث الرسمي للخليفة (25) .

وعندما اتصلت العلة بالحكم ، واوجف الناس بموته ، اشار ابن ابي عامر باستركاب ولي العهد هشام في الجيش ، فركب ركبته المشهورة — ومحمد بن ابي عامر بين يديه ، قد كساه الخز ، ونقله الى اكبر اعلى الخدمة ، وامر ولي العهد في ذلك اليوم باسقاط ضريبة الزيتون الماخوذة من الزيت بقرطبة ، وكانت للناس مستكرهة ، فسروا بذلك اعظم سرور ، ونسب شأنها الى ابن ابي عامر فاحبوه لذلك ... ولم تزل النعمة تحدوه ، والجد يحظيه ، والقضاء يساعده ، والسياسة الحسنة لا تفارقه ، حتى قام بتدبير الخلافة ، واقعد من كان له فيها انافة ، وساس

(15) انظر الذخيرة ق 4 — 1 / 43 .
(16) جذوة المقتبس ص 73 ، والذخيرة ق 4 — 1 / 43 ، والحلة السيراء 1 / 268 .
(17) انظر البيان المغرب 2 / 251 .
(18) انظر المقتبس ص 41 — تحقيق حجي ، والذخيرة ق 4 — 1 / 43 ، والبيان المغرب 22 / 251.
(19) البيان المغرب 2 / 247 .
(20) المقتبس 72 ، والذخيرة 43 ، والبيان المغرب 2 / 251 .
(21) اعمال الاعلام 1 / 59 .
(22) نفس المصدر .
(23) البيان المغرب 2 / 251 ، واعمال الاعلام 1 / 59 .
(24) ص 257 — 258 .
(25) منصور الاندلس ص 544 .



للدكتور محمد عزيز الحبابي

كثر الحديث ، منذ النهضة الاوربيـــة ، عـن الاسلام ، والحقت به كل نعوت الازدراء والتحقيـر ؛ جهلا من المتحدثين ، والله يعلـــم انـه تجـن على الحقيقـــة .

لكن ، « وظلم ذوي القربى اشد مضاضة ... »: لقد اخذ بعض المسلمين معلومات مشوهة ، واحيانا مفرضـــة من الغرب عن الاسلام ، فاستقـرت في آذانهم . وكلما حاول احد مناقشتهم في الموضـوع اعرضوا عنه بزهو المقتنع .

فمـــا مرجـــع ذلـــك ؟

نظن ان التعريف بالاسلام على حقيقتـــه ، في الاوساط المعادية له ؛ يحتاج الى منهـج جديـــد . فالذين يمارون في مبادىء الاسلام صنفان ، معارضون عن جهل ، ومعارضون عن سوء نية . فلا بد اذن من منهجين ، كل واحد خاص بصنف ؛ فطريقة الوعـــظ والارشاد لا تلائم لا هؤلاء ولا اولئك .

لذا ارتأينا ان تكون الطريقة الجديـــدة هـــي الحوار ، خصوصا وانها طريقة محمدية . كان النبي عليه السلام يجلس في المسجد فيرد عليه المؤمـن وغير المؤمن ويسألونه فيجيب .

كما ان القرءان يحاور ويدفع الى الحـــوار : « واذا سألك عبادي عني ، فاني قريب » (2 ، 186).

والحوار الاسلامي مقيد بادب المجادلة ؛ اذ يأمر القرءان : « وجادلهم بالتي هي احسن » .

* * *

قد اخترنا ، في هذا الحديث ، طريقة الحوار المباشر ؛ اما المقصد فهو أن تظهر ان الاسلام لـــم يفته الركب الحضاري ، كما يروجه خصومه ، وانه صالح لكل الاجيال ، ويماشي ارقى الثقافات واكثرها معاصـــــرة .

سنفترض أن عالما امريكيا يـود الاطـــلاع على الاسلام ليعرف هل هو حقا قابل لحيـــاة القـــرن العشريـــــن .

* * *

لم يتعود القراء على الطريقة التي سنتبعها في هذا العرض ، لكنا اجتهدنا ، ولنا ثواب الاجتهـــاد . والله ولي التوفيق .

* * *

قـــال الـــراوي :

خلال مكالمة هاتفية من الولايات المتحـــدة ، الح مخاطبي وهو يتحدث من مخبـــر بأحد مراكـــز

البحث العلمي ، بان اعطيه نظرة موجزة عن الاسلام ؛ فاستغربت ذلك الالحاح ؛ واكدت له ؛ ما ياتي :

« عفوا ، سيدي الاستاذ الجليل ، لو اردنا ان نتحدث عن (شيكسبير) أو عن كثير من اضرابه الذين برزت عبقريتهم في ميدان من ميادين الفن او المعرفة لهان الامر ؛ لان دراستهم تسير على خطاطة محدودة تعود الناس عليها : « شيكسبير اديب عظيم ، ولد في ... ومات في ... والف كذا من المسرحيات الرائعة ... » ثم تلخص بعضها مع تقييمها ومقارنتها بروائع ادبية عالمية اخرى . عندئذ تنتهي المهمة . قد يطول عدد الصفحات او يقصر ، ولكن الخطاطة العامة واضحة . اما اذا أردنا ان نطبق تلك الطريقة على الذين غيروا مجرى التاريخ البشري تغييرا جذريا ، فانها تغدو بلا جدوى .

فموسى وعيسى ومحمد ، عليهم السلام ؛ يصعب تصنيفهم في أية خطاطة مسبقة ، فلو فعلت لقلصت ابعاد شخصيتهم تقليصا يحرف الواقع . ان عملهم يتخطى النطاق الادبي والثقافي عامة ؛ اذ رسالاتهم خلقت نموذجا انسانيا ذا نظرة خاصة عن الكون والحياة والمعاملات بين الناس ؛ كما ابدعت اخلاقية جديدة تقوم على قيم شمولية غير مسبوقة وتفتح للحضارة ميادين لا تحصى من المفاجآت التاريخية والتقدمية » .

ويضيف الراوي :

« هكذا لفت نظر مخاطبي بانه من قبيل المحال ان اقدم له صورة كاملة ؛ عن الاسلام في دقائق معدودات ؛ لان محادثة هاتفية لا تعطي حتى الحد الادنى . وبما ان الامريكي يشترط الا يحتج عليه باقوال القدامى والمحدثين ؛ بل بما جاء في المنبعين الاساسيين ؛ القرءان والسنة ؛ اقترحت عليه ان يتوجه الى المدينة المنورة ليكون الحوار مباشرا مع صاحب الرسالة ، عليه السلام » .

* * *

توقفت المكالمة ، بعد ان اتفقا ان يلتقيا بعد شهور يقضيها العالم الامريكي في قراءة دراسات عن الاسلام ، ما ينصفه من بينها وما يهاجمه .

* * *

قال الراوي :

« حللت بالمدينة المنورة في الوقت المتفق عليه ، واتجهت نحو المسجد النبوي فوجدت العالم صاحبي ينتظرني قرب الباب . مددت له يدي مصافحا، فقال : « هاو اريو ؟ » (كيف انت) . فاجبت : « السلام عليكم » .

يظهر عليه التعجب ؛ فاضيف ان تلك هي التحية الاسلامية : ان تتمنى لكل احد السلام « اى الاطمئنان » والسلم (لان الحرب مدمرة للافراد والشعوب : الحرب تقضي على الحياة) .

يضحك الامريكي مستبشرا ، ويصيح :

« فيري كود ! » (جيد جدا جدا) لقد شاركت في ثلاث حروب ، آخرها في الفيتنام ؛ ولهذا ان اغلى ما يمكن ان اتمناه هو السلم . واني من بلاد تعاني القلق والسأم ؛ لذلك ان الاطمئنان النفسي هو خير ما يتوق اليه مجموع الامريكيون . والآن ؛ حدثني عن المشروع الذي من اجله جئت الى هنا .

— يا عزيزي ، ان كنت ما تزال مصمما على ان تأخذ معلومات اسلامية من رأس العين ؛ ادخل المسجد وحاور النبي الرسول نفسه .

فيبادر العالم الوقور مطالبا :

— ارجوك ان تنصحني كيف افعل . سأقف امام رجل عظيم ، واود ان اعلم ، منذ البداية ، كيف اعامله :

اهو سياسي ماهر ؟

اهو رجل دولة داهية ؟

هل اكتفي بان اعتبره مرشد او مؤسس دين وفاتحا عسكريا ؟

اهو محرر العرب ؟

— لا ! يا سيدي ؛ ان رسالته لم تأت لتحرير العرب وحدهم ؛ ولكنها رسالة الى الانسانية جمعاء . ثم ان كل الخصال التي ذكرتها تتناغم في شخصيته . انها شخصية تبهر بحضورها الموضيء

الموجه في كل الميادين . لقد امتدت ضخامة شخصيته على المدى الانساني الشاسع بما أحدث من هزات اخلاقية وروحية وتاريخية في المعمورة طولا وعرضا ، وفي أعماق الناس على اختلاف الاجناس . لقد كان دائما رجلا ملتزما واعيا وثابتا في مواقفه .

فلادعك معه ليتحدث مباشرة هو نفسه ، عن رسالته (1) .

* * *

« ويدخل الامريكي المسجد . فلنستمع الى الحوار » .

وسكت الراوي .

* * *

كان الرسول (صلعم) جالسا محاطا بجمع من الصحابة عند ما اقترب منه الزائر وبعد تبادل التحيات ، شرعا في الحوار :

* * *

— س — سيدي ، قيل انك رسول من الله، اوحي اليك . فمن اية طبيعة انت ، هل لك طبيعة مزدوجة ، كما لعيسى بن مريم ؟

— ج — انما انا ابن امراة كانت تأكل القديد (2) . وقد امرني الله ان اؤكد : « انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد » (41 ، 6) .

— س — اذن ، انت انسان كبقية الناس ، من الناحية البشرية !

— ج — هو كذلك ، انما انا انسان اختاره الله ليبلغ رسالة الى الناس .

— س — فما هو الجديد الذي اتيت به رسالتك من اجل رقي الانسانية ؟

— ج — يمكن تلخيص ذلك في اربعة اسس : **عبادة الله الاحد ، المساواة بين جميع عباد الله ، والعدل ، والحرية .**

— س — عجيب ان يقوم الاسلام على هذه المبادىء ، ان الدول الراقية تلوح اليوم بالمساواة والعدل والديمقراطية ، الا انها لم تنجح عند التطبيق ؛ لانها تستعمل تلك المبادىء كشعارات لا تتجاوز الديماغوجية .

— ج — المبادىء الكفيلة بانقاذ الانسانية هي التي تختلج باعماق الناس : بايمانهم .

— س — سؤالي الآن : ما هو جزاؤك انت في تبليغ هذه الرسالة الثورية العظيمة ؟

* * *

المساواة

— ج — لقد لخصه القرءان عند ما امرني :

« قل : لا اسألكم عليه اجرا ، الا المودة في القربى » (11 ، 51) .

— س — معنى هذا انك تعطي مكانا خاصا لاهلك ؟

— ج — ان لفظ « قربى » في الآية القرآنية ، لا يعني القبيلة او عصبية العشائر . فالاسلام يأمرنا بأن نمقت الروح القبلي حيث تسود عصبية الدم . لقد بعثني تعالى لمجموع البشر ؛ وهذا يستلزم القضاء على المفاضلة بالانساب وعلى تفضيل الاخلاف . فان كان للمرء شرف فهو شرف اكتساب بالاعمال الصالحات والتجند لخير المجتمع

---

(1) س = اسئلة (الامريكي) .
ج = اجوبة (محمد صلعم) .
المراجع : القرءان ، وكتب الصحاح وسيرة ابن هشام .

(2) حديث رواه ابن ماجة ، باب الاطعمة ، 30 .

الانساني ؛ وفي ذلك خيره هو ايضا . لقد جاء في خطبة فتح مكة ، اي بعد العودة من الهجرة بالمدينة :

« يا معشر قريش ! ان الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفظمها بالآباء ، الناس لآدم ، وآدم من تراب » ، وتلوت الآية القرآنية :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (49 ، 13) (3) .

سألني مرة رجل : يا رسول الله ، ما العصبية؟ فاجبته :

« ان تعين قومك على الظلم » (4) .

ولنعد الى سؤالك عن « المودة في القربى » . اني لا اطلب لاقاربي مالا ، ولا جاها خاصا ، ولا اي امتياز ؛ وانما ارجو ان يعاملوا بود ، « فان اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله » (5) . فانا ، كانسان ، احب طبيعيا أهلي الاقربين واتمنى الا يفعل احدهم ما يستوجب سخط الله او سخط الناس ، كما وقع لعمي أبي لهب ولزوجته . وكلاهما من ذوي الشر . تجلى سلوكهما متكامل الخبث ، معاديا للاخلاق في موقفهما من الاسلام . لذلك لعن الله في القرءان سوء اعمالهما :

« تبت يدا ابي لهب ، وتب ! ما اغنى عنه ماله وما كسب » (111 / 1 – 2) .

كان عمي وام جميل بنت حرب زوجته يقاومانني افظع مقاومة ، وقد تخصصت أم جميل في طرح الشوك على الطريق التي امر بها ، وكان عمي يشجع من ينثر التراب على راسي ، و . . .

— س – ابو لهب عمك ؟

— ج – نعم ، شقيق أبي . جمعتني واياه قرابة النسب ، وابعدني عنه سوء تصرفه . فالعاقبة للمتقين ، لا لامثال ابي لهب ، ولو كانوا من بني هاشم ومن عبد المطلب الذين انتمي اليهم ، لحما ودما . ان بلالا بن رباح (وهو من الموالي) وسلمان (وهو فارسي) منا اهل البيت .

— س – اتعد امثال بلال من اسرتك ؟

— ج – الاسلام يسوي بين جميع الناس ويلح على احترام المساواة : « فالمؤمنون كاسنان المشط تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم ادناهم » . ان المؤمن يعادي في الله ويحب في الله . فبلال من الاصحاب المقربين الي ، وكذلك ابو هريرة الفقير المعدم ، وامثالهما كثيرون ، كلهم احبائي ومن اسرتي الروحية . لذلك يصيح خصوم الاسلام في وجهي ، بازدراء ، كما صاح قوم نوح في وجه نبيهم :

« انؤمن لك واتبعك الارذلون ؟ » (قرءان : 26 ، 111) .

ينعت المتعنتون الصحابة بـ « الارذلين » والله يشهد ان اصحابي من خيرة الناس خلقا واخلاصا . نعم الاصحاب والاقرباء ! ان « اصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » ويثبت حديث نبوي آخر : « آل محمد كل تقي » .

— س – لكن البعض يعطون مرتبة خاصة لابن عمك وصهرك ، علي بن ابي طالب فيتشيعون له الى حد تفضيله على كل الناس ، حتى على الصحابة والتابعين ؟ . .

— ج – لعلي رتبة مرموقة ، لا لانه ابن عمي ، وانما لانه قضى حياته في خدمة الامة باخلاص واستقامة . فمن هو الاولى بالتفضيل ، عمي وعمتي وبنتي ، أم ابن عمي ؟ فلنتمعن هذا الحديث النبوي ، ففيه القول الفصل :

« . . . يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا ؛ ويا صفية عمة رسول الله ، لا اغني

(3) توجد خطبة فتح مكة بـ « السيرة الحلبية » ، القاهرة ، 1131 .
(4) سنن ابي داود .
(5) حديث نبوي . انظر : جمع الفوائد في جامع الاصول ، ج 2 ، ص 363 .

عنك من الله شيئا ؛ ويا فاطمة بنت محمد ، سليني من مالي ، فانني لا أغني عنك من الله شيئا » (6) .

ان عليا لا ينفرد بتلك القيمة المكتسبة ، فكثيرهم المؤمنون الذين يتبوؤون مثل مكانه الرفيع عند الله وعند الناس . فكونه صهري لا يجعل مناقبه تزيد على مناقب غيره . ومن يغنيه هذا عند المولى تعالى شيئا . فالاسلام يقدم الحسب على النسب « فمن ابطا به عمله لن يسرع به نسبه » . استمع يا سيدي ، الى هذه الآية القرآنية لتر أن معيار التفضيل في الاسلام هو الاعمال :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك خير البرية » (98 : 7) .

فمن كان يظن أن عليا مفضل عندي لانه زوج ابنتي ، فليتأمل الحديث الذي رواه جمع من الصحابة ، والذي يعد مبدءا تشريعيا في الاسلام :

« انما اهلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ؛ وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » (7) .

هذا حديث يشرع انه لا اعتبار للنسب امام القانون ، وان الضعيف والقوي ، الفقير والغني ، الذكر والانثى متساوون .

— ج — اذن ، حسب ما سبق ، ولكي تكون لمبدا المساواة دلالة اجرائية ، يضرب الحديث المذكور مثلا تطبيقيا : فمحمد ، مستعد لان يطبق محتواه على اقرب الناس اليه ، على فلذة كبده ، ان هي ارتكبت ما يخل بالعدل . فلو سرقت فاطمة لقطع يدها ، كأي سارق ، اذ لا شرف الا شرف العمل . فالجاه يكتسب بالسلوك القويم واحترام التشريعات لا بالانتساب لقبيلة او اسرة .

— ج — هذا ما يؤكده القرءان :

« انما المؤمنون اخوة » (49 : 10) .

انها اخوة ، منذ المنطلق ، ثم يتمايز الناس بافعالهم وفضائلهم .. فلا غرابة ان اؤكد ان سلمان منا اهل البيت .

رغم تلك المساواة التامة ، فان ذرية محمد مدعوة لان « تشرف » انتسابها لآل النبي ، وذلك بان تقوم دوما بتكاليف اضافية تتمثل في الالتزام الكامل بالخصال الحميدة والشيم الانسانية التي تتطلب ، بالتأكيد ، جهادا ضد النفس وضد المغريات الدنيوية . فمن انحرف عن الصراط المستقيم وحاد عن الواجب اقيمت عليه الحدود ، كبقية الناس .

انك ، ايها الفاضل ، مسيحي ، اى مؤمن بالله وبما جاء به النبي الرسول ، اخي عيسى عليه السلام، فانت لذلك ، بصريح القرءان ، أخي في الله واخو كل مسلم . فالناس سواء ، وانما يختلفون بافعالهم . ولا اكتمك ان المسلم يعتقد ان محمدا رسول الله وخاتم النبيين ، بمعنى ان الله بعثني متمما للحقيقة العليا التي اوحي بها الى من سبقني من الانبياء المرسلين .

« اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا » (قرآن : 5 / 3).

فالاسلام اكمل فكرة توحيد الله . قامت دعوتي على الاخوة بين الافراد وبين الامم ، ولا امة بدون اخلاق ، ولا اخلاق بلا مساواة تامة بين الجميع . وقد تعلقت بالحديث السابق وضربت المثل بفاطمة ، في وقت كنت اتمتع بسلطة معنوية . وروحية وسياسية فلتلك المواقف خاطبني القرءان :

« وانك لعلى خلق عظيم » (68 : 4) .

ان رسالتي رسالة ملتزمة ترمي الى غاية محددة وشمولية :

« وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » (قرءان : 34 : 28) .

— س — انها فعلا ، رسالة شمولية وملتزمة، تدعو الى المساواة . لكني لا اتبين من خلال الاجوبة الغاية القصوى للرسالة المحمدية .

* * *

---

(6) رواه البخاري .

(7) محمد بن سليمان ، جمع الفوائد في جامع الاصول ، القاهرة 1961 ، ج 1 ص 758 .

— ج – ترمي الرسالة المحمدية الى انقاذ البشرية ، على اختلاف الاجناس والألسنة . **أولا** بتحرير المستضعفين من الشعور المرير بالحقارة ، ومن مركبات النقص والهوان بسبب الفقر او النسب . فالقرءان يؤكد :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . واتقوا الله الذي تساءلون به ، والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا » (4 ، 1) .

ان كل البشر من نفس الطين ، من نفس واحدة . لهذا ينادي الاسلام بالتعاون على مستوى النوع البشري ، عوضا من العصبية الجاهلية التي تبيح دم الآخر لانه آخر . **ثانيا** ، يرمي الاسلام الى التحرر من الاسترقاق . فالرقيق بشر كبقية البشر ، لا آلات يسخرها البعض لنزواتهم او للاستهلاك . جاء الاسلام فوجد نظاما اقتصاديا ومجتمعيا يقوم على استرقاقية مستقرة في اعماق المجتمعات ، فلم يكن بد من التعامل معه بقية انسنته ، الى أن يتبلور البديل . والبديل هو ما يقدمه الدين الحنيف كاساس من اسس اخلاقية وتشريعية ، انطلاقا من بداهة المبادىء الاولى : المساواة والاخوة ، والتعاون ، والمسؤولية المبينة عما يجري في العالم .

ولا تنس أن الاسلام يعد العمل من ركائز المجتمع السليم ، يفرضه على كل قادر ؛ لكن ، من المعاصي أن يترك المرء اخاه الانسان جائعا او ضائعا ، فلا بد من التآزر في الخير وعلى درء الموبقات والشرور :

« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » (قرءان : 5 ، 2) .

ان الوسط البشري الذي لا يقوم ، في نفس الآن ، على احترام الشغل والتعاون باخلاص ، وسط مهدد بالفوضى والخراب . فمن توأمة هذين الميدانين، فتح الاسلام الباب لتحرير الرقيق ، مجتمعيا ، اذ كرم الله العامل على القاعد درجات ، وجعل الشغل عبادة . بيد أنه لم يقف عند وجوب العمل والامر بالتضامن المجتمعي ، بل شجع على تحرير الرقيق ، من الجانب التعبدي كذلك :

« فمن أعتق رقبة مؤمنة كانت فداءه من النار » (8) .

— س – عفوا ، لمن القول السابق ؟ هل من القرءان ؟

— ج – لا ، انه حديث نبوي ، وفي الاسلام ، يعتبر الحديث الصحيح اساسا دينيا .

— س – شكرا !

— ج – واضيف الى ما سبق ، للزيادة في التأكيد ، ان ديناميـة التحرير والمساواة في الاسلام، ان الله فرض على الممتلك ان يعامل المملوك معاملة الند ، كما ينص على ذلك حديث نبوي : « اطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تكتسون [...] فلا تعذبوا خلق الله ! » (9) .

وتجد في حديث آخر (والاحاديث في هذا الموضوع كثيرة) : « من ضرب غلاما له حدا لم يأته او لطمه فان كفارته ان يعتقه » (10) .

— س – هذه صفحات نظيفة ومثيرة عما ترمي اليه رسالتك . حقا ، الاسترقاق من المآسي المخزية التي عاناها المجتمع الانساني قديما ؛ انه شكل تاريخي ، بيد انني اكد وجود اشكال اخرى من الاسترقاق ، حاليا ، فما فتئت امريكا واوروبا يمارسانها على المستضعفين الثالثيين (*) ، ومن ذلك الاستعمار قديمه وحديثه ، والميز العنصري .. والآن اود ان تعطيني صورة عن جوانب أخرى من تلك الرسالة . فنحن في امريكا ، حتى الاوساط المثقفة،

---

(8) سنن النسائي .
(9) سنن ابي داود .
(10) صحيح مسلم .
(*) نسبة الى العالم الثالث .

تتصور الاسلام تصورا مهلهلا جدا . فما يهمني ، انا شخصيا ، بالدرجة الاولى ، هو ان اعرف هل هناك وجه ثالث للتحرير البشري ، لان تحرير الانسان هو الغاية الاساسية لكل الديمقراطيات الحق .

— ج — يستهدف الاسلام الانقاذ المعنوي والاخلاقي والروحي الذي بفضله تسمو النفس الانسانية على الحياة البهيمية . فلقد جعله الله محور رسالتي ، وعانيت من جرائه ضحايا وعقابات . تركزت دعوة الاسلام على وحدانية الله ، اله البشر قاطبة ، الذي هو منبع الكائنات ومرجعها ، الله الذي :

« لا اله الا هو ، الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الارض . من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ؟ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم » (قرءان : 2 / 55) . فالله يرى ويعلم كل ما توسوس به نفوسنا :

« انه يعلم الجهر من القول ، ويعلم ما تكتمون» (قرءان : 21 / 110) .

يتدخل صحابي : من الله يستنير الضمير الحي الذي ينير لنا سبل الرشاد . انه الاله المطلق ، اله جميع البشر والكائنات ، لا يحتكره شعب او اقليم . اليس هذا الايمان كفيلا بان يوحد البشر ويجعلهم خلفاء في الكون ؟ انه ايمان يتنافى مع عبادة الاصنام:

« اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ؟ » (قرءان : 5 — 76) .

فالذين يعبدون شجرة او حجارة ، او اي صنم يؤلهون المادة الخام ، فينحطون بنفسهم ، عوضا عن ان يتصرفوا كأسياد في الارض يمتلكون الماديات . فالوثنية يتسفل العابد ليكون على مستوى واحد مع معبوده . اما الله تعالى فقد اختار الانسان وجعل منه خليفته في الكون ، يهتدي بنور العقل الذي انعم به تعالى عليه . اما عبادة الشجر او الوثن الحجري فتطمس العقل وتكفر بانسانية الانسان وقيمه الاخلاقية والروحية والفكرية . ان المادة ملك للانسان ، خلقها الله له ليتصرف فيها لمصلحته ولمصلحة التقدم . فالله :

« هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا » (قرءان : 2 — 29) .

ويضيف صحابي ثان :

ان من يعطي زمام السيطرة على ذهنه ومشاعره لاشياء لا تضر ولا تنفع ، يتهيأ لقبول استغلال مرض يتسلط عليه من الخارج فيذله ويستعبده . فعبادة الاشياء تبرر بالاحرى عبادة الاشخاص والخضوع الخانع المذل لكرامة العقل ، امام خزعبلات الكهنة والسحرة والعائفين (11) . وليحل كل متحايل يعيش على حساب سذاجة الآخرين . فعوضا من الطب ، يتجه المريض الوثني الى التنجيم ، وعوضا عن استشارة الحكماء يكتفي بالسحر ، وعوضا من استعمال العقل والنظر يكل اموره الى « العرافة » .. فالوثنية تجر حتما الى الخرافية وطمس وسائل التفكير والتقدم مما ينزل بالافراد دون مستوى الآدميين الذين فضلهم الله :

« ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (قرءان : 17 ، 70) .

— س — وكيف كرم الله البشر ؟ .

— ج — اولا لانه خلفهم في الدنيا . وكان ابونا آدم هو اول خليفة لله في الارض (قرءان : 2 ، 30). ويتساءل القرءان :

« امن يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الارض ؟ أاله مع الله ؟ » (قرءان : 27 ، 62) .

ثانيا : لكي ينجح الانسان في مهمة الخلافة العظمى ، امره الله بالنظر والملاحظة والتدبر :

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها ، وزيناها ، وما لها من فروج ؟ والارض مددناها ، والقينا فيها رواسي ، وانبتنا فيها من كل زوج بهيج » (قرءان : 50 ، 6 — 7) .

---

(11) العائف : الذي يدعي انه يتفرس في خلقة الفرد فيخبر بما ستؤول اليه حاله .

ان الله قد حرر الانسان من عبادة الاوثان ، ومن استغلال اي انسان لانسان آخر . فرفض الاسلام للوثنية يدعونا الى ان نتعرض الى نقطة اخرى. تقوم الوثنية على تعدد الآلهة ، والتعدد يحدث بلبلة في التواجد المجتمعي وانقسامات عقائدية تحمل في ذاتها تحريضا على المقاتلة الدائمة :

« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (قرءان : 21 ، 22) (*) .

اما البلبلة فترجع الى تعدد الرؤى عن الكون وعن الانسان . واما التقاتل فذلك أن عابد الشجرة يحتقر عبادة الحيوان . وعندما يتصرف هذا الاخير مع الشجرة المعبودة كأنها مجرد شجرة تزعج عابديها ويعاديهم . وعندما يصطاد هؤلاء حيوانا معبودا يقلقون حساسية عابديه . وقد يتكرر هذا يوميا مرات ، وعلى مستويات . اما عبادة الله الاحد فيلتحم فيها أفراد المجتمع الواحد ، وتتكون امة موحدة بين مجتمعات مختلفة ، قد تنتهي الى وحدة بين الامم ، وحدة انسانية عالمية . ان عقيدة التوحيد (وحدانية الله والوحدة الانسانية) تترك باب الاجتهاد مفتوحا على تشريع يتجدد بتجدد المجتمعات والاجيال وحاجياتها ، وفي هذا صيرورة التحرر .

* * *

رسول امين ، بلغ الرسالة باخلاص

— س — ما هو دورك شخصيا في كل هذا ؟

— ج — قمت بتبليغ الرسالة الإلهية بامانة. فالامانة هي الفضيلة الاولى لمن نصبه الله رجلا للقدوة ، ولقد وفقني الله عز وجل في مهمتي ، وصانني عن البهتان والكذب والسوء ، لذلك كان الناس يلقبونني ب « الامين » منذ صباي . فقد عرفت نشأة بسيطة طاهرة ، وقضيت شبابي اراعي باضطراد جانب الحق في كل شيء . وهذا ما لم ينكره حتى الغلاة من خصومي ، وعلى سبيل المثال ، انقل لك ما حصل بعد نزول الآية القرآنية :

«وانذر عشيرتك الاقربين» (قرءان : 26، 214)؛ خرجت تلبية لامر الله حتى اتيت الصفا ، فصعدت عليه وناديت . فلما اجتمع القوم قلت :

« ا رايتم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم ، اكنتم مصدقين ؟

فاجابوني : « ما جربنا عليك كذبا » .

فقلت :

« فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » .

فصاح عمي عبد العزى :

« تبا لك ! الهذا جمعتنا ؟ » .

فما ثبت اني كذبت قط او تهاونت في امانة . جاء في حديث نبوي :

« لا ايمان لمن لا امانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » (12) .

لقد جعلت من محبة الله ومن محبة عباده امانة ، فاحبني الناس حتى ان ابا سفيان (وهو من أكابر من نصبوا لي العداء) كان يردد ، مندهشا :

« ما رايت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا » (13) .

وأبو سفيان ، صاحب هذه الشهادة ، هو الذي كان يتمنى لو سنحت له الفرصة ليقتلني بيده . الا ان الله احسن خاتمته فاقتنع بطهارة التوحيد ، وتحرر من الاشراك فأسلم ، رحمه الله ! ان من شعائر الاسلام وشعاراته : « أد الامانة ، ولا تخن من خانك » (14) .

— س — هل تتفضل سيادتك فتحدثني عن طفولتك ؟

(*) الضمير في « فسدتا » يعود على السماوات و الارض .

(12) سنن النسائي .

(13) انظر « يوم الرجيع » في سيرة ابن اسحاق .

(14) سنن الترمذي .

— ج — سافعل ، ولكن باقتضاب ، اى حياتي الحقيقية تمتزج بالرسالة . ففي سني الاربعين، بدا الوحي ، وما قبل ذلك لا يهم الناس الا قليلا .

— س — عفوا ، انك يا محمد ، قد دخلت التاريخ الانساني العام من كل ابوابه ، لذا فان مجموع مراحل حياتك تهم الناس ، من المسلمين ومن غير المسلمين .

— ج — عرفت اليتم ، اذ مات ابي عبد الله وامي حامل بي ، وماتت امي وانا ابن ستة اعوام :

« الم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فاغنى ! فاما اليتيم فلا تقهر ، واما السائل فلا تنهر » (قرءان : 93 ، 6) .

نشأت يتيما وفقيرا ، تحت كفالة جدي عبد المطلب . ولما توفي ، تولى تربيتي احد اعمامي ، ودخلت مبكرا ساحة الشغل لكسب القوت ، فرعيت الابل ، ثم وظفتني خديجة في رحلاتها التجارية ، وهكذا تعرفت مباشرة على حياة المستضعفين ، وقاسمتهم همومهم واوضاعهم ، فكنت اميل اليهم مني الى اشراف قريش . فالهجومات التي تلقيتها ، منذ بداية الوحي ، توالت من جانب اولئك الاعيان ، لان رسالتي تدعو الى تسفيه احلامهم وآلهتهم وتفضح العادات السيئة ، كوأد البنات :

« واذا المؤودة سئلت ، باي ذنب قتلت » (قرءان : 81 ، 8) .

وحرضت الرسالة على ان يتخفف رؤساء القبائل والعشائر من الامتيازات ، اى ان تعطي نفس الفرص للجميع . ذلك ما لم يقو على تحمله الاسياد ، فثار غضبهم ، وصاروا يحاصرونني ويتابعون انصار الدين الجديد ويعذبونهم ، حتى اضطر كثير من هؤلاء ان يغادروا ديارهم وابناؤهم ليامنوا على مبادئهم وشعائرهم .

— س — وانت كذلك هاجرت .

— ج — نعم ، تآمر علي رؤساء القبائل ، فنجاني الله من المؤامرة . وودعت بيتي ، وقصدت المدينة صحبة ابي بكر الصديق . لحقت بنا فرسان المتآمرين ، فاختبانا بغار حراء . فلما ولوا على اعقابهم ، استانفنا السير حتى حللنا بالمدينة . فاستقبلنا اهلها بترحاب . لكن الهجرة لم تقض على متابعة قريش للاسلام والهجومات عليه . واشترطوا للمصالحة اول ما اشترطوا ، الا اسفه اوثانهم وان اتخلى عن تعرية العبث والتحلل الخلقي اللذين يسودان المجتمع القبلي ، وان اكف عن الدعوة الى الصراط المستقيم ، صراط ربنا الاوحد :

« قل : هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد،ولم يكن له كفؤا احد » (قرءان : 112 ، 1 — 4).

فلو اني قبلت مطالبهم لخنت رسالة ربي . تكررت المحاولات ، وكنت دائما ارفض . واخيرا بعثوا لي بتهديدات مع عمي ابي طالب ان اكف عن الدعوة والا نازلوني حتى اهلك . فاجبت رسولهم :

« يا عم ! والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ، ما تركته » (15) .

هكذا بدات غريبا بين اهلي وعشيرتي ، محاصرا مهددا ، فما زادني مكرهم وعنفهم الا ايمانا وثقة في الله ، وما زاد اصحابي الا صمودا :

« فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » (قرءان : 13 ، 17) .

وجاءني ، مرة اخرى ، احد اسياد قريش ، وهو عتبة بن ابي ربيعة ليحدثني باسم القوم ، ويقدم الي حلولا مغرية . فقد كلفوه ان يعرض علي امورا يعطونني ايها شئت ، فاكف عنهم . كان ذلك حين رأوا ان المسلمين يزداد عددهم بكثرة ، جلس عتبة بن ربيعة الي ، وقال :

« انك منا حيث قد علمت من السلطة (اي من الشرف) في العشيرة ، والمكان في النسب . وانك

(15) سيرة ابن هشام .

قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل بعضها :

— قل ، يا ابا الوليد ، اسمع .

— يا ابن اخي ، ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا ، جمعنا من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا ؛ وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك ؛ وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ؛ وان كان هذا الذي يأتيك رئيا (16) تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه [...]

— افرغت يا ابا الوليد ؟

— نعم .

— اسمع مني :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

حم . تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته ، قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا ، فأعرض أكثرهم ، فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعون اليه ، وفي آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب ، فاعمل ، اننا عاملون ... » (قرءان : 41 ، 1 — 5) .

استرسلت في تلاوة الآيات من سورة « فصلت » حتى وصلت الى « لا تسجدوا للشمس ولا القمر ، واسجدوا لله الذي خلقكم ان كنتم اياه تعبدون » .

كان عتبة بن ربيعة ينصت الي بكامل الامعان . وعندما انتهيت من القراءة ، وجهت له الخطاب :

— « قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت ، فانت وذاك » .

هنا وقف حواري معه ، فقام الى من بعثوه .

هنا تدخل صحابي مضيفا :

« فلما وصل سألوه :

« ما وراءك يا ابا الوليد ؟

— ورائي اني سمعت قولا ، والله ما سمعت بمثله قط ! والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة . يا معشر قريش اطيعوني وخلوا بين الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه . فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم » .

* * *

عقلانية بحكمة

يرفع الامريكي دقنه من كفه اليمنى ويسأل :

— لماذا يقول عتبة عن القرءان انه ليس سحرا ، ولا شعرا ؟ فالشعر كان يتمتع بمكانة ملحوظة عند العرب ، كما كانت للساحر حظوة ...

— ج — حقا ، وقد قالوا عني اني شاعر بيد ان للشعر اغراضا محددة ومحدودة : اما هجاء خصوم قبيلة الشاعر وتمجيد العشيرة ، واما الافتخار بالآباء ، مع مبالغات ، واما بكاء على الاحبة والاطلال ، ووصف للناقة والفرس ، والتغني بالخمر والحرب ... وكان العرب يظنون ان الشيطان هو الذي يوحي بالشعر ، لذلك جاء في القرءان :

« ويقولون اننا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ؟ » (قرءان : 28 ، 36)

والمتسائلون هم قريش ، « والشاعر المجنون » هو عبد ربه ، محمد بن عبد الله . ويؤكد القرءان :

« والشعراء يتبعهم الغاوون . الم تر انهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون » (قرءان : 26 ، 224 — 226) .

فاهداف الرسالة الاسلامية ليست هي اغراض الشعر ، والقرءان ليس ديوان شعر :

---

(16) الرئي : ما يتراءى للفرد من الجن .

« ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ، ويهدي الى صراط العزيز الحميد » (قرءان : 34 ، 6) .

اما السحر فيتبعه صنف آخر من « الغاوين »، فالذين لا يشركون بالله الواحد الاحد ، ويؤمنون بفضائل العقل وحرمته ، يرفضون السحر والسحرة. يصرح القرءان :

«ولا يفلح الساحر حيث اتى» (قرآن : 69،20).

كما يحرم الاسلام السحر والكهنة والعرافة والتنجيم ، يحرم أن يعتقد المرء الشؤم او الخير عن طريق التطير بالهامة (17) ، والاستسقاء بالانواء (النجوم) « ليس منا من تطير ولا من تطير له ، او تكهن او تكهن له ، او تسحر او تسحر له » (18) .

— س — فيري كودا . توجد عندنا ، بأكبر مدن وقرى الولايات المتحدة ، جمعيات تؤيد وتؤمن بأقوال المنجمين والخرافات والسحرة ! . . .

— ج — يتبرا الاسلام من الذين يؤمنون بالخرافات وبكل ما يعارض العقل والمعقولية والعلم وحتمية قوانينه :

« سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (قرءان : 33 ، 62) . ويأمر حديث نبوي :

« لا تجالس أصحاب النجوم » (19) .

لان المنجمين يدعون ما يجيزه العقل والعلم ، في حين ان الاسلام يجعل من طلب العلم فريضة على كل فرد ، « من المهد الى اللحد » ، اي يجعل الفكر مرنا يتطور بتطور المعرفة في صيرورتها . ان جميع اصناف المعرفة واجبة ، الا ما يقود الى الاشراك بالله ، فالله :

« لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . ومن يشرك فقد ضل ضلالا بعيدا » (قرءان : 4 ، 116) .

فلا حد للتعلم ، كيف ما كان نوع المعرفة . فكل ما يقرب من الله ، وكل ما يصلح أحوال الناس ، معنويا وماديا ، تجب معرفته ، وجوبا قطعيا . فالاسلام لا يرفض الا ما تجنب نواميس الطبيعة وعارض العقل والاستنتاج العلمي ، واعتمد الاوهام . او خرج عن مبادىء الاخلاق ، متنكرا لاحكام الفكر السليم . فللعقل حدود ، وللأخلاق حدود :

« ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » (قرءان : 65 ، 1) .

فطلب المعرفة ضروري ، اينما كانت : « اطلبوا العلم ولو بالصين » ، اي ان العلم لا وطن له، انه ارث انساني مشترك . لذا جعل الاسلام تفاضل الناس بالعلم ، لا باختلاف الانساب والطبقات :

« ان مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء » (20) .

فالعلماء ، على اختلاف ميادينهم ، هم حقا الخلفاء في الارض ، حيث يستثمرون ما رزقهم تعالى من ملكات وقدرات فكرية ومعنوية ، ليسهموا بها في تغيير الارض والكائنات الى احسن . لذلك يعتبر الاسلام : « العلماء ورثة الانبياء » (21) . ويقول عنهم القرءان :

« انما يخشى الله من عباده العلماء » (قرءان : 35 ، 28) .

انها خشية التواضع والاعتراف بعجز الانسان وافتقاره الى معونة روحية . فالعلماء اصدق الناس بالواقع واعرفهم بحدود العقل وبحدود العلم ، وبما في الايمان من قدرة على الصبر والتضحية والإيثار . جاء في حديث نبوي :

---

(17) طائر كان العرب في الجاهلية يتشاءمون منه .
(18) البخاري ، صحيح ، 10 ، 144 .
(19) مسند احمد بن حنبل ، 1 ، 78 .
(20) مسند احمد بن حنبل ، 8 ، 157 .
(21) صحيح البخاري .

« فضل العلم خير من فضل العبادة . وخير دينكم الورع » .

— س — شكرا على هذه التوضيحات . اود الآن أن اعرف هل جرت حوارات اخرى لك مع مناوئيك من اعيان قريش .

— ج — طبعا ، ولكنها اعتمدت كلها على اغراءات مختلفة ؛ من الشكل الذي حكيت لك عنه . ظن القوم أن رسالة الاسلام قضية شخصية ؛ وتغافلوا عن بعدها الروحي . فامام كفة الملك والاموال والجاه ؛ اكتشفوا ان نبي الله واصحابه يؤمنون بقيم أعمق واعلى من مساواتهم . لقد وجدوا اشخاصا امتزجوا بما عاهدوا الله عليه ؛ وجندوا بصرامة كل ما لهم من طاقات ؛ في الدعوة لوحدانية الله ومحاربة الانانية والظلم :

« ان الله يامر بالعدل ، والاحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون ؛ واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ؛ ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون » (قرءان : 90 ، 91) .

بالمناسبة ؛ اذكر حوارا جماعيا بيني وبين خصومي ؛ سامحهم الله ، سيعطيك صورة عن مدى القيمة الثورية الشمولية للاسلام ؛ وتفاهة مواقف محاربيه .

اخذت حالهم تتأزم بقدر ما ينتشر الاسلام بمكة بين الرجال والنساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه من المسلمين ؛ وتحاول فتنة من طمعت في فتنته منهم . وفي يوم ؛ بعثوا الي جماعة من عيون القبائل ليكلموني فيما ضاق به صدرهم . فقدموا الي العروض المعروفة (التي سبق ان قدمها عتبة بن ربيعة ، وكان القضية قضية محمد بن عبد الله ؛ يريد من ورائها مقايضة) : الملك والمال مقابل الكف عن الدعوة . وختموا كلامهم باقتراح :

« ... وان كان هذا الذي يأتيك رئيا قد غلب عليك ؛ بذلنا لك اموالنا في طلب الطب حتى تبرئك منه ... » .

فأجبتهم :

— ما بي ما تقولون ! اني ما جئت بما جئتكم به اطلب اموالكم ؛ ولا الشرف فيكم ؛ ولا الملك عليكم . ولكن الله بعثني اليكم رسولا ؛ وانزل علي كتابا ؛ وامرني أن اكون لكم بشيرا ونذيرا . فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم . فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وان تردوه علي أصبر حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

اذ ذاك بداوا يهزئون تارة ، وتارة يهددون .

قال احدهم :

« انا اعذرنا اليك يا محمد ، وانا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك او تهلكنا » .

واضاف ثان :

— نحن نعبد الملائكة ، وهي بنات الله ! » .

وعقب ثالث :

« لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا ! » .

وبعد ، هذا وغيره من اقوالهم ، قمت عنهم ؛ فلحق بي عبد الله بن أبي امية ، وهو ابن عمتي ؛ فقال لي :

« يا محمد ! عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سالوك امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك ، فلم تفعل . ثم سالوك ان تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك ومنزلتك من الله ؛ فلم تفعل . فو الله لا اومن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه ؛ وانا انظر اليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول . وايم الله ! لو فعلت ذلك ما ظننت اني اصدقك » (22) .

---

(22) سيرة ابن هشام .

— س — انهم يطالبونك بالمحال ! وعلى فرض انك تلبي طلبهم ، فمع ذلك لن يؤمنوا بك ! انه تنطع وسوء نية ... فماذا كان موقفك منهم ، في هذا الوضع ؟

— ج — الدعاء لهم : « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ! » . واتبعت نصيحة القرءان :

« ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن، الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا : آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم ، والهنا والهكم واحد » (قرءان : 29 ، 46) .

هذا بالنسبة لاهل الكتاب ، اي المؤمنين ، من يهود ونصارى ، وهم اخوة ، للمسلمين في الله وفي الايمان برسله ، فبالاحرى بالنسبة للوثنيين الذين ليسوا من ذرية ابراهيم ، عليه وعلى جميع انبياء الله السلام . فالمشركون في حاجة ماسة الى عناية اكبر لانهم بعيدون عن ديانة التوحيد ، ولم يتعودوا على وضع عباداتهم محل تساؤل ومجادلة :

« ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » (قرءان : 3 ، 159) .

— س — الشيء المدهش هو انك وحيد ، وامي ، وفقير ، واعزل ، ورغم ذلك تجرات على مغامرة عريضة بلا حدود ، متحديا عشائر متلاحمة وقبائل متحالفة ، لها العتاد والعدد ، فلم تخف ، ولم تمل ...

— ج — لم آكن قط وحيدا ، فالله تعالى يعزز من اختار سبيله :

« ولينصرن الله من ينصره . ان الله لقوي عزيز » (قرءان : 40 ، 22) .

كنت اسير يخطى من نور ، لان ربي وعدني :

« الله ولي الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات الى النور » (قرءان : 2 ، 257) .

— س — بمناسبة ذكر النور ، اتذكر اني قرات في ترجمة لما كتبه بعض رواة السيرة النبوية، انك نور ، ومن نورك ابدعت كل الموجودات .

— ج — انني مجرد رجل جعلني الله قدوة . فالله وحده « نور السموات والارض » ، كما يقول القرءان . ثم ان ابداع الموجودات من الله ، لا من البشر . فما كتبه بعض رجال السيرة عن الغيبيات لا فائدة فيه للاسلام . انا قدوة ، فكيف يكون قدوة للبشر من ليس من طبيعتهم ! لا تنس يا اخي ، ما يسميه التاريخ بـ « الاسرائيليات » ، اي مجموعة من الخرافات صنعها خصوم الاسلام ، تظاهروا بالايمان به نفاقا ، ودسوا عليه الكثير مما هو اجنبي عنه . لذا ليس كل ما يروى عني من اقوال وافعال ، يطابق واقع ما قلته او فعلته . لقد تحرى المحدثون الثقات في كل ما يتصل بالحلال والحرام ، لانه اصول وتشريع ، واجتهدوا في فضح كل ما شموا فيه رائحة الوضع والاسرائيليات .

* * *

سلوك المسلم

— س — شكرا لسيدي . لقد بسطت لي ما اشترطه قريش عليك ليبايعوك ، ويسالموك ، لكن لم تبين لي ما هو الحد الادنى الذي طالبتهم به ليحصل الاتفاق ، او على الاقل ليحصل الحل الوسط الذي كان حريا ان يتقبله الطرفان .

— ج — قالوا مرة لعمي ابي طالب :

« ... قد علمت الذي بيننا وبين ابن اخيك . فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه ، ليكفه عنا ونكف عنه، وليدعنا وديننا ، ولندعه ودينه » .

فجاءني ابو طالب رفقة زعمائهم :

— « يا ابن اخي ، هؤلاء اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وياخذوا منك » .

فاجبته .

— نعم ، كلمة واحدة يعطونيها .

فصاح ابو جهل :

— نعم ، وابيك ، وعشر كلمات !

فاعلنــــت :

— تقولون لا اله الا الله ، وتخلعـــون مـــا تعبـــدون من دونـــه .

فصفقوا بأيديهم ، ثم قالوا :

— اتريد ، يا محمد ، ان تجعل الآلهة الاهـا واحدا ؟ ان أمرك لعجيب ! » ، ثم تفرقوا (23) .

— س — ان ما طالبتهم به ليس شططا . فهل هذا هو اساس رسالتك ؟ الا تطلب من اتباعك اكثر ؟

— ج — جاءني يوما عبادة بـن الصامـــت ومعه اثنا عشر رجلا ، فبايعوني ، ملتزمين بما يأتي : الا « ... نسرق ولا نزني ، ولا نقتل اولادنـــا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ، ولا نعصي في معـــــروف » (24) .

« في هذا السلوك جواب على سؤالك » .

* * *

قام عليه السلام لاستقبال بعض الزوار ، ثم رجع وجلس وعلى محياه ابتسامة ارتاح لها الامريكي وتشجع على الاسترسال في الحوار ، فحكى انـــه اطلع في كتب بالانجليزية على شهادة حـــول الاسلام وعن تلميحاته ، فهم الصحابة انه يقصـــد حـــوار يريد ان يعرف هل هي حقا صورة طبق الاصـــل . النجاشي ، امبراطور الحبشة ، مع المسلمين الذين هاجروا الى بلاده ، فرارا من متابعة قريش لهـــم . ومن حسن الصدف أن من بين الحاضريـــن يوجـــد بعض اولئك المهاجرين فتصدى لحكاية ما حصل .

« قبل ان نحل بالبلاط ، اجتمعنـــا ، وسأل بعضنا بعضا عما سنقول للرجل اذا جئنـــاه . فكان الاتفـــاق :

— ان نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم ، كائنا ما كان . فلما دخلنا على النجاشي ، وهو محاط بالاساقفة ، توجـــه الينـــا سائـــلا :

— ما هذا الدين الذي قد فارقتـــم فيـــه قومكم ، ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من هذه الملـــل ؟ » .

تصدى جعفر بن ابي طالب للجواب ، فقال :

« ايها الملك ! كنا قوما أهل جاهلية ، نعبـــد الاصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطـــع الارحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه ، فدعانـــا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة والاوثان ، وامرنا بصدق الحديث، واداء الامانة ، وصلة الرحـــم ، وحسن الجـــوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عـــن الفواحش ، وقول الزور واكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وامرنا ان نعبد الله ولا نشرك به شيئـــا ، وامرنـــا بالصلاة والزكاة والصيام » .

* * *

يسبح الامريكي في تأمل عميق ، وها هو يهـز راسه مرات : اوكي ! ، مهم ! ويصرح وهو في شبـــه ارتبـــاك :

— س — استحضرت ، وانا انصت اليـك ، ما يروى عن (جوتي) الالماني . عند ما اطلع هـــذا الشاعر والمفكر العظيم على مبادىء الاسلام صاح :

« اذا كان هذا هو الاسلام ، السنـــا جميعـــا مسلميـــن ؟ » .

يسود الحلقة سكوت ، ثم يرتفع صوت صحابي :

— يمكنكم ان تؤكدوا للشاعر : نعم ، ذلـك هو الاسلام الحق ، وان مبادئه ملتصقة بالواقع ، على مستوى الانسان ، الانسان في شموليته .

(الامريكي متجها نحو الصحابي الذي حكى له ما راج في مجلس النجاشي)

---

(23) سيـــرة ابـــن هشـــام .

(24) نفـــس المصـــدر .

— س — هلا أتممت رواية ما شاهدته في اجتماع المهاجرين بحضرة النجاشي ؟ .

يجيب الصحابي :

— لك ذلك . قال جعفر بن ابي طالب :

« اسلمنا وعبدنا الله وحده . فلم نشرك به شيئا . وحرمنا ما حرم علينا ، واحللنا ما احل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان [. . .] فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك ورجونا الا نظلم عندك ، ايها الملك » .

العالم الامريكي يتأمل ، فتوقف الصحابي قليلا، ثم استأنف بعد ان القى عليه مخاطبه نظرة ملحة مشفوعة بنصف ابتسامة :

— والقى النجاشي سؤالا آخر على المسلمين :

« وما ذا تقولون عن عيسى بن مريم ؟

— نقول فيه ما جاءنا به نبينا : « ان عيسى عبد الله ، ورسوله ، وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول » .

تلك هي اجوبة المهاجرين المسلمين على اسئلة النجاشي .

يتجه الامريكي بنظرة الى النبي عليه السلام ولسان حاله يقول : هل تصادق على هذه الرواية ؟

— ج — اقر ان تلك هي معتقدات الاسلام ، وان اجوبة جعفر بن ابي طالب صدق لا ريب فيه .

— س — غريب امر قريش ! آمنوا بانك صادق امين ، ومع ذلك لم يكن منهم الا ان يتهموك بالسحر والجنون . . . دون مناقشة اصول رسالتك ومراميها ، ودون ان يتقدموا باي بديل الا الوثنية والحرب ! لا اخفيك اني مسيحي وان نظرتي الى الاسلام كانت على العكس مما هو عليه . لكن ، بعد حديثي معكم ، غدوت متعاطفا مع الاسلام ومتفتحا اكثر لمعرفة مبادئه وتفهمها .

— ج — والاسلام يتخذ مواقف متعاطفة من الديانات الاخرى . جاء في القرءان انه : « لا اكراه في الدين ! قد تبين الرشد من الغي » (قرآن : 2 ، 256) و « لكم دينكم ولي دين » (قرءان : 109 ، 6) .

— س — بفضلكم ، اذن أصبح للعرب دين .

— ج — ان الدين لله يهدي به جميع الشعوب . فالاسلام يعتبر ان الله هو الحقيقة المثلى المطلقة . والله ليس لشعب دون بقية الشعوب :

« ان الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون » (قرءان : 12 ، 128) .

فجميع الناس اخوة في الله ، وبرحمته فضل جنسنا الآدمي ، فقال تعالى :

« ولقد كرمنا بني آدم [. . .] وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (قرءان : 17 ، 70) .

فانا لم ابعث للعرب وحدهم ، ولا ابحث عن ملك او سيطرة ، وانما « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » (25) واهدي الناس الى المثل القدوة . والقرءان يحدد رسالتي :

« وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » (21 ، 107)

ولتكون الاخوة صادقة وحقيقية، بناها الاسلام: لا على اساس الاجناس والعصبيات ، بل على اسس الايمان بالله ، وان الله للجميع :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (26) .

ذاك هو نموذج المجتمع الذي يريده الاسلام . سالت مرة الصحابة رضي الله عنهم : « الا اخبركم باحبكم الى الله ؟ قالوا : « بلى » . فقلت : « ان

---

(25) مالك ، الموطأ .
(26) جمع الفوائد ، ج 2 ، ص 359 .

احبكم الى الله احبكم الى الناس [...] وان ابغضكم الى الله ابغضكم الى الناس » (27) .

ويذكرني القرءان ، في آيات مختلفة ، باني شاهد على امتي :

« يا ايها النبي ! انا ارسلناك شاهدا ، ومبشرا ، ونذيرا وداعيا الى الله باذنه ، وسراجا منيرا » (قرءان : 33 ، 45 – 46) .

وكما اختارني الله شاهدا ، اختار الامة الاسلامية شاهدة على الامم ، فخاطب افرادها بان حكمته تعالى ارادت ان يكون :

« الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس » (22 ، 78) .

« وكذلك جعلناكم امة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس » (2 ، 135) .

يخرج الامريكي دفترا من جيبه ويفتحه ، ثم يسأل :

— س – سيدي ، عندي اشكال يزعجني جدا ، لا اخفيه عليك . انت قدوة في مكارم الاخلاق ، وانت رسول الرحمة ، ومع ذلك يامرك القرءان بان تحرض « المؤمنين على القتال » (4 ، 84 – 8 ، 65) . وقرات في سيرتك انك شاركت ، انت بنفسك ، في حروب ...

* * *

الاسلام والحرب

— ج – امرني الله بان اكون رحمة للعالمين ، وجعلني « سراجا منيرا » . لكن النور لا ينصب على الايجابيات فحسب ، بل على السلبيات كذلك ، ليضيء السبل . اني رسول الى البشر ، والناس واقعيون ، يعيشون في تاريخ واقعي ، فليس من المعقول ان اترك المفسدين في الارض يقتلون بغير حق اخوانهم « الذين يامرون بالقسط بين الناس » (قرءان : 3 ، 21) « والذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » (22 ، 39) .

ان رسالتي سلام وسلم . فالذين يعلنون عليك الحرب ، ولا تنجح في اقناعهم بالمسالمة ، لا يبقى امامك الا صد القوة بالقوة . لكن القرءان يامر :

« فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (قرءان : 8 ، 61) .

فالدفاع عن النفس والعقيدة طبيعي يفرضه الواجب والواقع ، وليس حربا . فمن الرحمة ان نحمي الضعيف وننتصر للمظلوم بكف الظالم عن ظلمه . ومن المبادىء الاساسية التي يامر بها الله : « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، قال تعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس : تامرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » (3 ، 110) .

هنا يتحدث صحابي :

« فالمسلم ينتسب الى « خير امة » ما دام يامر بالمعروف (ومنه السلم) وينهى عن المنكر (ومنه الحرب) . فالاحكام التي تصدر عن المحاكم ليست انتقامات ، ولكنها اجهاز على الظلم والشر والباطل . ان القاضي « ينهى عن المنكر » وهو يحكم بعقوبة . فعندما يصاب اصبع بضرر لا ينفع فيه علاج ، يضطر الطبيب ، وهو متحسر ، الى التضحية به صيانة لليد ولبقية الجسد . فبعض الشر اهون من الشر الكلي ، فان « ابغض الرجال الى الله الألد الخصم » (28) . الاسلام في جوهره سلم . لهذا يطالب اتباعه ان يعاملوا غيره المسلمين بالقسط والاحسان » :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، ان تبروهم وتقسطوا اليهم . ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم » (6 ، 8 ، 9) .

ان رسالة الاسلام ، ذخيرة انسانية امنني الله عليها ، فدافعت ضد الذين اعلنوا حربا شعواء عليها ،

(27) نفس المصدر ، ج 2 ص 570 .
(28) البخاري ، الصحيح .

ولم اتدرع الا بسلاح الايمان ، بعد ان تنكر لي قومي واسرتي ، ونبذوني من خطيرتهم ، فكان النصر لكلمة الله :

« الا ان حزب الله هم المفلحون ! »
(قرءان : 58 ، 22) .

يعلق احد الصحابة قائلا :

« الحرب حدث نشز مقيت في التاريخ البشري ، وجميع الديانات حوربت وعانت شرور الحرب ، فمن الطبيعي ان تقف من الحرب موقف الخصم اللدود . كان على الاسلام ان يجابه هذا الوضع ، فعامل محاربيه ، احيانا بالحجة والبرهان ، واحيانا بالصبر على المكروه . اليس كذلك يا رسول الله ؟ » .

— ج ــ يامرنا تعالى :

« وان تعفوا ، وتصفحوا ، وتغفروا ، فان الله غفور رحيم » (64 ، 14) .

ولكن الظروف دفعت احيانا الى ايقاف سلاح الهجوم بسلاح الدفاع ، لكنا ملزمون بتفضيل الحياة على الموت ، فالقتال حرام :

« ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق »
(قرءان : 6 ، 151) .

ان الاسلام ملتحم بالواقع ، ومنه ينطلق ليحقق فوق الارض سمو الروح ، ولينشر الرحمة والاخوة بين الجميع . فالحرب الدفاعية حل مرير يلجا اليه المصلحون عند ما تهدد النار الاخضر واليابس . وهذا بين في الآية القرءانية :

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله . فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين »
(قرءان : 49 ، 9) .

— س ــ تهمني هذه القضية بالخصوص لانها من قضايا الساعة . فلا يخفى عنكم ان الناس ، في هذا الربع الاخير من القرن العشرين ، يهتمون بقضايا مغايرة لما كان عليه اهتمام القرن السابع الميلادي ، .. لذا اعتذر لاني وجهت الحديث نحو مشاكل مجتمعية ، دون الوقوف عند مجادلات العقيدة والعبادات ، من صلاة وزكاة وصوم ...

— ج ــ لا باس ، فالاسلام ليس عبادات ومناسك فحسب ، ولا مجرد عقيدة . انه كذلك معاملات ، وتشريع ، وثقافة ، ونظام سياسي ، ... ولانه جاء من الله الاحد من اجل الناس جميعا وبواسطة انسان ، لزمه ان يشمل كل ما يتصل بالحياة الانسانية . ومن جهة اخرى ، من المعتقدات الاسلامية ، ان شمولية دين القرءان ليست افقية (جغرافيا) وكفى ، بل انها كذلك شمولية عمودية (زمانيا) : الاسلام « صالح لكل مكان وزمان » !

ومن هنا ، ان قضايا عصركم هذا هي ايضا قضايا تهم الاسلام ، والا جاز القول بان مسلمي القرن العشرين ليسوا في الزمان والمكان ، وهذا محال ! ... ان التشريع يعتمد على الاجتهاد .

— س ــ شكرا على هذا التوضيح . لقد كنت اعتقد ما شاع عن الاسلام من انه قام على السيف ، ولولا الحروب ما كان لينتشر ، وان القرءان ان يحض على الحرب الدائمة ، وهو ما يطلق عليه الجهاد .

— ج ــ لقد افترى كثير من الناس على الاسلام انه دين الحرب ، ... وادعوا ذلك ، اما جهلا بالحقيقة ، رغم حسن النية ، واما عن معرفة وسوء نية ... » .

يستاذن صحابي لتناول الحديث ، وقد ظهرت عليه بداية احتداد . ويسال الامريكي عنه فيقال انه عمر بن الخطاب ، فيردد بين شفتيه « انه ابن الخطاب ! عمرهم العظيم ! ... » .

يتدخل عمر ، بعد اشارة من النبي :
« يا سيدي ، على المنصفين ان يتمعنوا المبادىء الآتية :

« ولا تستوي الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتي هي احسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم (قرءان : 41 ، 34) .

ايعد هذا تحريضا على الحرب ؟ ان العدل من اسس المعاملات في الاسلام ، ايام السلم وايام الحرب . استمع الى الآية الكريمة :

« يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا . اعدلوا هو اقرب للتقوى » (5 ، 8) .

فالحرب ، في النظرة الاسلامية ، التزام من اجل نصرة العدل ، وتجنب الظلم والفوضى ، اذ الاسلام دين ودولة ، وامة ووطن روحي . وان المسلم مسؤول عن انتساباته المختلفة تلك ، وعن نفسه وعن رعيته . يؤكد نبينا عليه السلام : « كلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته » ، ولا مسؤلية الا بالعدل ، ولا عدل الا عند من يخاف الله فيحب عباده ويكره الظلم . وان الحروب لظلم ، عظيم وكراهية ، الا الحروب للدفاع عن النفس والقيم ، وهي اذاك جهاد . قال الله تعالى شانه :
« واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » (4 ، 58) .

ويامر القرءان :

« وان عاقبتم ، فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به . ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » (16 ، 126) .

وتمعن ، يا اخي هذا الحديث النبوي . كنا في يوم حول محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي غضون الحديث ، سالنا :

« الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟

فأجبناه « بلى » .

فقال :

« اصلاح ذات البين . فان فساد ذات البين هي الحالقة » (30)

هذا الاصلاح بداية السلم الدائم ، وهو فوق درجة العبادات ! ... انه الجهاد الاكبر ، اي جهود يبذلها المسلم صيانة ، التآخي بين الناس ، بعدل ومساواة ، مع تقوى الله .

معذرة ، يا ضيفنا الفاضل ، ربما اطلت بتلك الوقفة بشأن التهمة الخطرة التي توجه الى الاسلام من انه دين حرب دائمة ، وان انتشاره لم يتم ولن يتم الا بالسيف .

— س — حقا ، تلك تهمة خطيرة لاصقة بمفهوم اسلام . لقد سمعت ذلك من استاذي بالمدرسة الابتدائية ، عندما حدثنا عن الغارات العربية في القرن السابع ، وسمعتها في الثانوي وفي الجامعة ، وتتكرر في مناسبة يذكر فيها الاسلام حتى اصبحت من المسلمات لدى اجيال واجيال من الغربيين . فان تفضلت باضافات توضيحية لكان في ذلك فائدة عظمى لمن سيقرأون مقالاتي عن الاسلام بالصحف الامريكية .

— ج — « ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه آثم قلبه » (قرءان : 2 ، 283) .

حقا ، خضت صراعات دامية فرضت علي فرضا ، بالرغم عني وعن مزاجي المسالم ، ومن جراء تلك الحروب ، تحددت معالم واقعية لصراعاتي الروحية والفكرية . وبفضل الله كان النصر لجيوش المسلمين . ويعتبر المجاهدون ، تحت راية القرءان الحرب شرا مجتمعيا لا بد من تحمله ، للتغلب عليه وتجاوزه . ومن هنا تطلبت منهم الحرب جهودا حتى اصبحت « جهادا » ، الجهاد الحق .

خرج مرة المجاهدون لردع معركة عنيفة ، انتصارا لكلمة الله الرحمن الرحيم ، فعادوا منتصرين، قلت لهم : « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر : جهاد النفس » .

فما جعل ابدا المجاهدون من الانتصار في حرب ابادة للاعداء ... » .

يتدخل عمر من جديد :

— اما محمد بن عبد الله ، وهو قائدنا الاول، فما اذل قط مقلوبا ، او استغل اي انتصار لينتقم مما

---

(30) سنن الترمذي .

عاناه أو ليعزز مكانة أهله وقبيلته . كما انه ، عليه السلام ، لم يعارض في تحرير رقبة ولم يستثمر قوة السلاح لرتبة يرقاها في السلم العسكري او لمال يدخره » (*) .

يبتسم صاحبي عليه سيم الوقار ، قيل للامريكي انه عثمان بن عفان ، ففهم النبي من الابتسامة طالبا للكلام فاشار اليه ان يتحدث . قال عثمان :

— لقد حارب حبيبنا عليه السلام ، دفاعا عن مبادىء وانفس ، فنصر الله الدين الحنيف ، وانفتحت الابواب للحوار العقلي والروحي بين حزب الله وخصومه . ولقد تآمرت اقوام عليه شخصيا ، لانه دعا الى عقيدة فظنوا انهم سيقضون عليها حتما بالقضاء على حاملها . من هذه المصادرة ، تكونت عقدتهم ضد العقيدة الاسلامية . أما النهج المحمدي فهو الا يحارب فلانا او فلانا ، وانما ان يلفت النظر الى تفاهة الوثنية ، مع تقديم البديل ، وهو وحدانية رب السموات والارض وما بينهما . كانوا يعتبرون انفسهم قتلة يحاربون عدوا ، وآمن نبينا عليه السلام انه مقاتل خصوم الله وخصوم انفسهم ، فصمد على هديهم الى صراط العزيز الحكيم ، كما صمموا هم بدورهم العزم على اغتياله ، فارغمته المؤامرات ، خصوصا مؤامرة مكة ، على الهجرة الى المدينة . وهنا وضعوا السم في طعامه ، ومره القوا عليه حجرا قاتلا ، ولكن الله تعالى نجاه ، فكانت كلمة الحق هي العليا . وكلما نمت دسائسهم نما ذيوع الاسلام . لهذا لم يتمكنوا من تهديم الدعوة ولا من اغتيال القائم بها . وبانتصار الاسلام ، ساد العقل والحكمة على الذهنية الخرافية والعادات الببغائية :

« واذا قيل لهم : اتبعوا ما انزل الله ! قالوا : بل نتبع ما الفنا عليه آباءنا ! او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ؟ » (قرءان : 2 ؛ 170) .

وبعد فترة قصيرة ، استطاع الاسلام ، بعنايته تعالى ، ان يجعل من جميع خصومه (الا اقلية نادرة) اتباعا وانصارا ، يؤمنون بالرب الحق ويوحدونه .

قد يعتبر من المعجزات الواقعية التاريخية ان ينتقل اعداء الامس ، تدريجيا ، من البغضاء الضروس والحقد الاعمى ، الى التفاني في المودة . فسبحان مقلب القلوب ! لقد تجاوز التغيير المقاييس المعتادة: تحول الشعور من النفس الامارة بالسوء الى النفس الواعية للمسؤولية والعادلة المطمئنة ، أعني ، لقد انتقلت المتآمرون من المؤامرات الى الطهر الروحي:

« فضل الله ، يؤتيه من يشاء » (قرآن : 5؛54).

ينبري شاب جالس بمؤخر الحلقة ، ويقول :

— بحمد الله وعونه ، آمن اعداء الامس وحسن ايمانهم ، واحبوا سيد المرسلين واحبهم ، بعد كل ما جرى . فلا عجب ان غدا عليه السلام اقرب الناس الى افئدتهم حتى اندهش من ذلك ابو سفيان (وهو ابي واحد اشراف قريش الحاقدين على الاسلام) وصرح : « ما رايت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا » .

— س — ارجو توضيحا لجانب ثانوي في مسالة الاسلام والحرب هو : ممن كانت تتركب قيادة الجيوش الاسلامية ؟ وعمن اخذوا التقنية الحربية ، عن الروم ام عن فارس ؟

يجيب معاوية :

— التف حول محمد منذ البداية ، الفقراء والمستضعفين ، فتكونت القيادة ، المدنية والعسكرية من القاعدة الشعبية التي اهتدت بالاسلام . فليس من المسؤولين من تلقى معلومات من الخارج ، ايمانهم كان منبع الالتزام والحماسة والاثارة في كل افعالهم . ان التشريع الاسلامي في واقعه انما هو اطار عام فيه تحصل المعاملات ، على اساس مبادىء تستخرج من القرءان او من السنة . وكذلك العبادات ، انها ، في العمق ، المنظار الذي تلتقي في نقطة ارتكازه جميع الآمال والمشاريع ، المدنية والعسكرية (التجدد من اجل الدفاع) . فالعبادات لا تعزل عن ممارسة الحياة ، طبقا لرؤية عما هو كائن (الواقع المعاش بمسراته وحروبه واحزابه) ، وعما سيتم بالعمل الجدي الصالح (الواقع الموعود الذي يحقق به المرء الاطمئنان الوجداني والروحي ، كما يحقق التعاون من اجل السلام ، وتسهيل الوصول

(*) توفي النبي ودرعه مرهونة عند يهودي من معارفه . (تعليق للراوي) .

الى متطلبات الحيـاة وتعميـم الخيـرات) . وان السعادة الدنيوية في انسجام هذين الواقعين ، واقع المعاملات وواقع العبادات ، بالتزام خالص النية .

— س — سامحني ان اقاطعك : وسعـادة الآخـرة ؟

يتولى عليه السلام الاجابـة :

— ج — انها تتحقق في الدنيـا :

« وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم » (5 ، 9) .

كمال السعادة ، هو ان تستحق رضـا الله بارضاء ضميرك . ان الاسلام أتى من عند الله لمصلحة البشر . ومن هنا حالفه الفكر السليم في تأييـد احقية الايمان .

— س — سيدي . لقد انصت اليك بكامـل الاهتمام . وملاحظتي على ما تقدم ، هو ان لمبادىء الاسلام ولصياغتها رنات المعاصرة ، فكانك من رجال هذا القرن ، وكان الاسلام اتى للمجتمع الحالي ! ... وهذا شيء سرني وأدهشني ...

— ج — لا بدع في ذلك ان الاسلام يرمي الى تحقيق انسانية الانسان ، الانسان ككل ، وفي كـل مكان وزمان ، وقد تقدم ان اشرت الى هذا ..

— س — يقينا . سيدي . لا شك اني اطلت عليك . اتمنى أن تكون لي معك اتصـالات مقبلـة لمناقشة نقط اخرى . اني مسيحي ، وانت مسلم ، ولكن الهنا واحد ، كما اكدته لي ، فنحن اخـوة في الله . لذا ارجو ، في ختام هذا الحديث ، ان تعطيني بعض النصائـح .

— ج — اعلـم انـه :

- لاطاعة لمخلـوق في معصيـة الخالـق .
- لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيـه ما يحـب لنفـسـه .
- انما الاعمال بالنيـات ، وانما لكـل امـرىء مـا نـوى .
- النظافة من الايمان [ماديا ومعنويا] . وان الله نظيـف يحـب النظافـة .
- البر حسن الخلق ، والاثم ما حـاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه النـاس .
- الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهـو احـق بهـا (31) .

تلك بعض النصائح . لقد حان وقت الصـلاة . ساكتفي بهذا القدر ، وعليك بالقرءان وبالكتب الصحاح في الحديـث والسنـة .

— س — بقي لي رجاء اخير ، ان تفضلت .

— ج — هو لـك .

— س — اريد أن آخذ عنك مـن ادعيتـك المفضلة ما يمكن ان يعد نموذجا مـن الابتهـالات الاسلامية ، وفي نفس الآن ، دعاء مشترك بين جميع المؤمنين على اختلاف دياناتهم .

— ج — باسم الله . قـل :

« اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس . يا أرحم الراحمين ، الى مـن تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته امري؟ ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي . ولكن عافيتـك هي أوسع لي . اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت لـه الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، مـن أن تنزل بي غضبك ، او يحل علي سخطك . لك العتبى حتـى ترضـى ، ولا حول ولا قوة الا بك » (32) .

* * *

بهذا انتهى الحوار ، قال الراوي :

(31) صحيـح البخاري ، وصحيـح مسلـم .

(32) دعاء قاله محمد صلى الله عليه وسلم وهـو يتحسر من المعاملة الكريهة التي صادمه بها اهـل الطائـف .

« وبعد ان خرج العالم الامريكي من حضرة الرسول عليه السلام ، سألته :

— س — كيف كانت جلستك مع محمد بن عبد الله ؟

— ج — فيري كود ! فيري كود ! ... لقد ظفرت اليوم بأعظم اكتشاف في حياتي . ان رسالة هذا الرجل الفذ رسالة مناضلة ، وغنية بالعطاءات ، وصالحة لان تلهمنا وترشدنا في هذا العصر ، كما فعلت في العصور الماضية . لقد كنت على حق عندما اشترطت رفض الوسائط واتجهت مباشرة الى الاصول ، ورفضت ان احكم على الاسلام من خلال سلوك بعض المسلمين ...

— س — الراوي : اريد ان اضيف سؤالا ختاميا : ما الداعي الى اهتمامك بالاسلام ؟

— ج — ليس هذا الاهتمام مقتصرا علي ، انها ظاهرة حديثة شدت اهتمام الكثير من رجالات الغرب لشعورهم بفراغ معنوي وبتفاهة الحياة والانسان امام جبروت التقنيات . قرات اخيرا كتابا صدر بالانجليزية بعنوان « لماذا اسلمنا ؟ » ، وهو من تاليف اثنين واربعين رجلا من اوروبا وامريكا ، يتجلى منه صدق رائع في التعبير عن الاقتناع برغم على التامل .

ان الآلية تنشئنا ، يوما بعد يوم ، اي تفرغنا انسانيتنا . فالشعور بالسام والملل والقلق والضياع الذي يتسرب الى كل مرافق الحياة المعاصرة يدعو الجميع الى البحث عن مرفا امين يهبنا طمانينة ويجدد فينا روح التعاون والاخوة . والآن وقد بدات استقر في اعماق الاسلام ، اعتقد ان هذا الدين قد يلبي ظمانا الى التحول الوجداني والمعنوي .

ان ما اخشاه على الاسلام هو ما يعطيه كثير من « المسلمين » من صور منحرفة عنه تسيء الى سمعته . فمتى سيعرف كل المسلمين الاسلام ؟ ...

الى على موعد لاستئناف الحوار ... اذن ، كود باي (الى الملتقى) .

الدكتور عزيز الحبابي

(دعوة الحق) اذ ترحب بهذا المقال الممتاز للدكتور محمد عزيز الحبابي ، آملة ان يواصل سيادته الكتابة في هذه المجلة ، يسرها ان تطرح الصيغة التي عرض بها الدكتور افكاره للمناقشة ، اثراء للحوار ، واغناء للحياة الفكرية .

ذكرى عيد العرش

تأكيد للأصالة والتحديث

للأستاذ محمد الخطيب

ويدور الحول وينقضي عام آخر على الذكرى ، واجدني بعامل التقدير لليوم الاغر مدعوا تلقائيا وعاطفيا ، ملبيا دعوة الكتابة ونشر شيء في الموضوع، مع الاعتقاد ان فترة العام قصيرة ، وان مدة اثني عشر شهرا من العمر غدت لا تعدوا في حساب الزمن شيئا يذكر ، اذ ان خمسة وستين وثلاثمائة يوم في حساب الزمن ان نحن عددناها بعد الساعات، لا تكفي لاحصاء ما هو مخطط ومطلوب تحقيقه بالنسبة لمستقبل شعب ومنظور امة .

ومع ذلك لا بد من اقامة الذكرى ، ولا مندوحة من الاحتفال بيومها ، تخليدا لها وتمجيدا لعودتها ، فالايام تمضي سراعا والساعات التي تتبعها تلفنا لفا نحسب انها لم تمر او تنقضي حتى نقف على عتبة يوم جديد منها ننظر فيه ونقف وقفة المحاسب على ما فرط وما تم تحقيقه .

اذ الذكرى — وكل الذكريات مثلها — لابد وان تكون مصحوبة بالتامل سواء طالت الفترة ام قصرت؛ اعتبارا بسنة الكون ومصطلحات الناس . فهي خروج ، وهي بداية تخطيط ، انها نهاية مرحلة ، وبداية اخرى سواء كانت قصيرة ام طويلة ، فالتاريخ لا ينتهي سواء عددناه بعد الايام ام بحساب الاشهر والسنوات . فما فات منه مر ، وما بقي فيه نحن محاسبون عليه ، فهو تاريخ مفتوح وسجل انساني مشرع كل لكتابه ، وكل يكتب فيه ما اوتي من مواهب او يسجل ما فرط منه فيه من تفريط .

والحديث عن عيد العرش مناسبة وذكرى لما خلفته سنة بما فيها من استحقاق وما اشتملت عليه من استهداقات .

فقد تكون سنة من العمر غير كافية ، خصوصا ان نحن اعتبرنا تلاحم الايام فيها وتلاحق الساعات بعد دقائقها ، لا تعدوا ان تكون مدة قصيرة . لكنها برغم قصرها ، وتلاحم ايامها ، وتلاحق ساعتها ، فترة لا بد من وقفة عند نهايتها سواء كان الحساب هنا او كانت المحاسبة تتعلق بعمل شخص ام اسلوب جماعة.

فعام ثمانين وتسعمائة والف ، قد مر دون رجعة بما انطوى عليه من خير او حمله من شرور ، وتنفتح امامها سنة اخرى تبتدأ بصباح اليوم الثالث من الشهر الثالث من سنة واحد وثمانين وتسعمائة والف ، وفيها نأمل كثيرا من الخير ، ونطمع ان تكون تفريجا للكثير من الغم ، لكن المستقبل غيب ، والساعة التي نقف اليوم عتبتها ساعة نطمع ان تكون فاصلة بين عهدين وبين فترتين من عمر مديد ان شاء الله .

ان الامة المغربية بمثابرتها ، وكفاحها ونضالها، تقف باجمعها عند مدخل هذه السنة الجديدة من

حياتها وقفة المحاسب على ما فرط ، ووقفة المتطلع لما هو آت لا محالة . وخير الامل واحسنه ، ان يكون التطلع لما هو آت خير من النظر الى ما فات . اذ المثابرة على النضال والكفاح معناه الايمان بذلك النضال والاستمرار فيه الى ان تتحقق الغاية مهما كانت بعيدة المنال . فليس للايام تتمة ولا للاجيال تقدير في حساب الزمن الذي قد ياتي بالمفاجآت – المسر منها وغير المسر – ما دام اسلوب النضال سليم ، ومعاني الكفاح متمثلة في أسلوب الحياة .

والقائد الذي يقود السفينة ، والربان الذي يسبح في البحر اللجي يتوفر على ميزة تقدير اسلوب النضال واسباب الكفاح . ذلك لكونه يومن بنفسه ويعتمد الهداية في عمله ، يزكي ذلك ايمانه باصالته واصالة تاريخ بلاده ، وتذكي فيه قوة الدفع ، تطلعاته للتحديث والاخذ بأسلوب الحياة الجديدة ، اقتداء منه بواقع الحياة التي تفرض رعاية الماضي وصونه بمسايرة ما هو واجب ادخاله وقبوله مما تستلزمه رعوية المكانة التي هي ديدان الجميع عرشا وشعبا .

لقد جاء في بطاقة بعثت بها من لندن اخيرا لاحد الاحفاد « من لندن بلد الاصالة والتحديث ، ابعث لك بتحياتي وعواطفي » .

وقد اعربت للحفيد في هذه الكلمة القصيرة ، عن جملة ما اوحت به الي العاصمة البريطانية التي ان تنقلت بين مختلف جياتها ، سواء خلال شوارع العريضة او منعرجات ازقتها الدقيقة ، لا توحي اليك بغير وحي المحافظة على الاصالة ، والسعي الحثيث وراء التحديث والحداثة .

واعتقد ان المغرب باحتفالاته بعيد العرش ، يقيم الدليل على تمسكه بالمبدأ الاول الذي هو اصالته ، ويستحث السير وراء كل جديد في الحياة دون تفريط في المبدأ الاول او افراط في الغاية الجديدة . فهو يريد الجمع بينهما تاكيدا لشخصيته وابرازا لذاتيته . وذلك ما يعمل له غاية ويسعى اليه كهدف .

واذا كانت المآخذ كثيرة على السير ، والعوائق متعددة في وجه المسيرة ، فذلك من شيم النضال وهي سبب لكل كفاح . وذلك ما يفرض هذه الوقفة التي نقفها اليوم محاسبة لانفسنا على ما فرط ، وتذكيرا بالهدف الذي نسعى له واليه نسير .

بهذا المعنى يلزم ان ننظر للذكرى التي هي تجديد وتأصيل . تجديد للعهد والمسيرة ، وتاصيل لما هو خير في ماض مشرق لا يعفي الجهل به من البحث فيه والتذكير به ، سواء عن طريق العروض المسرحية او بفتح ما يلزم من المتاحف وتدشين الاثار . اذ كل مؤمن بالمغرب محب فيه وله ، يدرك ان بجانب حداثة الحياة فيه ، يحتوي اصالة هي النبع القوي لشخصيته والاساس الذي يقوم عليه وجوده .

وهذا المعنى ياتي كل عام وكل سنة في الكلمات التي ترد على لسان العاهل الذي يدرك ان مهمته الاولى والاخيرة ، واداء رسالته المثلى تحتوي هاتين الغايتين ، يلفهما وجوده ويبلورهما عمله .

ولعل عمل سنة واحدة – هي هذه الاخيرة – خير حجة واحسن دليل على ذلك . فليس الجهد البرلماني وحده ، ولا متابعة التعمير والانشاء وبناء الاحياء السكنية ، ولا تنظيم عضبات الانهر وبناء المراقيء قد كانت شاغله الوحيد . اذ الى جانب ذلك كانت عناية مستمرة باحياء الاثار الخالدة ، وتدشين المنشآت الفكرية والعلمية ، واستمرار السعي للحفاظ على المؤسسات الدينية الاسلامية ، في استمرارية وتواصل للجهد من اجل الحفاظ على الاصالة وجعلها قاعدة التجديد المرغوب فيه .

وبذلك ، تكتمل مصادر المسؤولية ، وحري بالمغرب ان يقيم لهذه الذكرى ما تستحقه ايمانا منه بأصالته وسعيا وراء تحديث هو الميزة الزمنية لهذا العصر وكل عهد مضى من عهود الحياة .

نحن نحتفل بهذه الذكرى تمسكا منا بأصالتنا ، وذودا وحفاظا عليها بما تستحق البلاد من تحديث وحداثة حتى تمضي الامة وراء المستقبل السعيد .

فلسنا نحتفل بعيد العرش احياء لسنة الماضي، ولا تقدير منا لما اسداه من الخدمات وقام به من اعمال بجانب المجاهدين والمكافحين ، بل نحتفل به الى جانب ذلك كله تجديدا لاصالتنا واعلانا عن تمسكنا بها وخدمة لانسيتنا ووحدتنا المعنوية الترابية والوطنية .

وسواء مال منا جماعة ذات اليمين او اختارت اخرى ذات اليسار ، فالكل منا مصمم على الوصول لغاية واحدة هي السعي بجد ومثابرة للحفاظ على اصالتنا الذاتية والعمل لكي يكون المغرب شعبا سعيدا وامة متكاملة الذات ، تتخطى بجهودنا العقبات ؛ ويعمل بتفان ومثابرة تقديرا منا للدور الذي هو مناط بنا للقيام به سواء على الصعيد الداخلي او بجانب بقية الامم والشعوب الحية .

ان التفافنا حول العرش ، واحتفالنا بيوم ذكراه ، دليل منا على التمسك باصالتنا وحجة على اننا لا نغفل ما هو مطالب منا من تجديد للحياة في اطار شخصية متكاملة ترعى لكل ذي حق حقه ولكل فئة من الناس ما تريده وتبغيه اسلوبا لها في الحياة . اذ ان رفاهيتنا كاملة وسعادتنا كشعب لا يجب التفريط في احدى طرفي المعادلة التي يقوم عليها وجودنا هما الاصالة والتحديث .

وخير المناسبات لذكر ذلك والتذكير به هي هذه الايام التي نحيي ذكرها بما هو مطلوب وبما تستحقه منا .

واذ نهتف هنا بحياة المغرب نكون قد هتفنا من صميم القلب بحياة هذا العرش المجيد .

محمد الخطيب

الجزء الثالث من (بحوث ندوة الامام مالك)

صدر وهذا العدد تحت الطبع الجزء الثالث والاخير من بحوث ندوة الامام مالك بن انس . وبهذا الجزء الحافل تكون وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية قد استكملت نشر الابحاث والدراسات التي القيت في ندوة الامام مالك مع المناقشات والتعقيبات التي تخللتها .

مَدينة الرسول الفاضلة

التي أسست على الحق وشريعة الله والتكافل

للأستاذ محمد بن البشير

أتى الاسلام دينا ودولة ، عقيدة وشريعة ، وجاء بصفته خاتمة الشرائع السماوية ، موجها لسائر البشر ، صالحا لسائر العصور ، الى أن يرث الله الارض ومن عليها ؛ ومن الطبيعي أن يبقى كتابه على مر الزمان ، كتاب المبادىء العليا والاصول التي لا تبلى ؛ والمعجزة الباهرة ؛ الشاهد على انه خطاب الاهي ؛ وعلى أن محمدا نبي الله ؛ الصادق في تبليغ رسالته .

وظهر الاسلام في وقت ؛ اشتد فيه الانحراف عن عبادة الله وعن الائتمار بأوامره والانتهاء بنواهيه عن واجب قيام الانسان بالخلافة في الارض ، أي بالاعتراف بالوهية الخالق ، واستعمار الارض ؛ واستكشاف جزء من علم الله الواسع .

لقد شوهت العقيدة ، فابتعد الناس عن دين ابراهيم وصاروا يعبدون الاصنام التي يصنعونها لتقربهم الى الله . وحرف اليهود والنصارى دين موسى وعيسى ونسبوا الله ما نزهته عنه التوراة التي جاء بها موسى والانجيل الذي جاء على يد عيسى ، عليهما السلام .

وبابتعاد الناس عن عبادة الله الحق ، ضلوا الطريق ، فبنوا مجتمعهم على الميز ، والظلم ، والجهل والربا ، وعاشوا عيشة الجاهلية والوثنية .

وحاول الرسول عليه السلام ان يصحح الاوضاع ، في المجتمع المكي اولا طيلة ما يقرب من ثلاث عشر سنة . ولكن غشاوة الجهل والتعصب ، والتشطع ضد ما تمليه الفطرة والعقل السليم . والخوف من ضياع الزعامة ؛ كل هذا جعل قريشا ترفض دعوة محمد ، وتؤذيه وتؤذي اصحابه ، حتى اضطر المسلمون الى الهجرة بدينهم مرتين ، مرة الى الحبشة ، وقد مكث محمد في قومه ومرة الى يثرب ، حيث امر هو ايضا بالهجرة مع المسلمين ؛ ولا سيما وقد وصل كفر قريش برسالة محمد عليه السلام وحقدها الى اوجهما حيث عزموا على قتل الرسول ، فكان اذن من الضروري فرار المسلمين بدينهم الى حظيرة اخرى غير مكة ، لمحاولة نشره واعلاء كلمة الله . حاول الرسول تبليغ دعوته في الطائف ، وهي اقرب الى مكة من المدينة ومعقل من معاقل العرب ؛ ولكنه قوبل برفض بات وسخر منه ، فاتجه النظر الى يثرب وقد سبق ان مهدت الطريق ببيعتي العقبة ودخول أفواج من قبيلتين : الاوس والخزرج العظيمتين في الاسلام ؛ وقيام بعض الدعاة بنشر رسالة الاسلام ، كما فعل « مصعب » الذي كان لدعوته اعظم الاثر في نفوس سكان المدينة ، فدانوا للاسلام ، فليتجه محمد واصحابه من المسلمين الى يثرب عساهم يجدوا آذانا صاغية وقبولا طيبا لدعوة الحق .

واستقبل الرسول والمسلمون استقبالا رائعا . وظهر الامل في تشييد المجتمع الاسلامي ، بعد ما ضاع الكثير من الوقت ، ولكن الصعوبات التي تعترض هذا البناء كثيرة والمخاطر التي تحيط بهذا المجتمع عديدة : فقد يخشى من اليهود ، وهم قبائل كثيرة العدد ، معروفين بخداعهم ، وقد يخشى من القبائل العربية الاخرى ، وخاصة من قريش ، لانهم لن يستكينوا عن مناوشة محمد واصحابه .

وفكر محمد عليه السلام ، كسياسي حكيم ، يتحمل مسؤولية نشر الاسلام ، ومسؤولية الاشراف على المجتمع الاسلامي الفتي ، في وسائل التغلب على العقبتين العظيمتين ، فسالم اليهود وعاهدهم وخطط للدفاع عن المجتمع الاسلامي الناشيء بسن سياسة حربية يرهب بها العدو ، ويستنشط بها همم اصحابه مرغبا اياهم في نصرة دعوة الاسلام والاستشهاد في سبيلها ، مع العلم ان المسلمين اصبحوا يتوجهون في صلواتهم صوب الكعبة ، بعد ان كانت صوب المسجد الاقصى ، وان الحج اليه من شعائر الله وفي اركان الاسلام الخمسة ، وان مكة معقل الزعامة عند العرب ، وان جماعة من سكانها اخرجوا منها ظلما وعدوانا بعد ان اوذوا وعذبوا لانهم آمنوا برسالة الحق ورفضوا عبادة الطاغوت .

لكل هذه المبررات ، اقتنع الرسول عليه السلام بان العودة الى مكة واخضاع اهلها من قريش وغيرهم ، امر ضروري ، لا محيد عنه ، وانه هو الذي سيفسح المجال ويفتح الابواب لانتشار دعوة الاسلام .

ولكن الدفاع عن النفس ، ضد خيانة اليهود وضد الكفار من قريش وغيرهم وشن الغزوات الوقائية ، يقتضي العيش في حالة حرب دائمة ، فهل يتمكن الرسول والمسلمون ، مع هذا ، ببناء المجتمع الجديد ، الذي يرهن هو بدوره مستقبل الدعوة الاسلامية ، اذ بنجاحه او فشله ، ستظهر قيمة الاسلام كنظام دولة ، وقابليته لبناء الامة الفاضلة المتحضرة .

هذا باختصار هو الوضع السياسي العام ، الذي وجد الرسول نفسه فيه عند الشروع في تأسيس المجتمع الاسلامي الاول في دار الهجرة .

فما ذا عليه ان يفعل وما هي الاهداف التي حددها لعمله :

1) ان يثبت الدين كعقيدة .

2) ان يبين التشريع ويفصله في العبادات والمعاملات .

3) ان يسهر على التطبيق والتنفيذ الصالح، لا سيما وان الحالة تحتاج الى كثير من الحكمة .

4) ان يزرع في النفوس اخلاق الاسلام ، لتحتل مكان اخلاق الجاهلية .

والاسلام بشموليته لا يقبل المهاودة في أصل من اصوله او في ركن من اركانه او في مقوم من مقوماته ، لانها كلها متماسكة مع بعضها ، لا تقبل التجزئة ، وان كانت الاسبقية للعقيدة لان الله تعالى قال في كتابه الحكيم : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (النساء — 116).

قام الرسول بواجب النبوة فأدى الامانة وبلغ الرسالة كما امر بتبليغها بكل حكمة في النهج وصرامة في الحق ، ومرونة في التطبيق .

قال تعالى : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (التوبة — 33) . جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالحق من عند الله ، مصدقا لما قبله من رسالات سماوية ومتمما لها ، لان مصدر جميع الاديان السماوية مصدر واحد هو الله تعالى ، وانما يعد الاسلام خاتمة لسلسلة حلقات التذكير الالهي للانسان ، قال تعالى : « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بما انزل الله » (المائدة — 48) .

على ان أصحاب الديانات السابقة حرفوها عقيدة وقيما ، فكان من دور الاسلام ايضا ان يصحح الاوضاع ويفضح التزييف والافتراء ولذلك حاربه اليهود ، وهو ما زال في المهد وحاربه النصارى بعد ذلك ، عن طريق الامبراطورية الرومانية الصليبية .

من طبيعة الجهر بالحق ان يثير حنق اتباع

الباطل ، في العقيدة والمذهب والراي ، وعند ذوي المصالح والامتيازات .

فكان صلى الله عليه وسلم لا يقبل في الله لومة لائم ، وكان المسلمون ، كما وصفهم القرءان : « اشداء على الكفار رحماء بينهم » (الفتح — 29)

كان جهاد الرسول والمسلمين في احقاب الحق يظهر في جميع مظاهر الحق : في العقيدة حيث لا الوهية ولا عبودية الا لله ، في معاملة الناس بالعدل والمساواة لان في التمسك بهذه المبادىء تمسك بالحق ، في احكام الله من اوامر ونواه لانها الحق المنزل من عند الله ، في اتباع الاخلاق التي دعا اليها القرءان .

وان من يتتبع سيرة الرسول وسيرة اصحابه عامة يجد أن الحق كان يعلو ولا يعلى عليه ، وان الرسول عليه السلام وصحابته كانوا يبداون بانفسهم، ويعطون المثال في اعلاء الحق وازهاق الباطل ، بل ان الخلفاء الراشدين ، رضي الله عنهم ، كانوا يدعون الناس الى تقويم اي اعوجاج يظهر في تصرفاتهم لانهم نصبوا انفسهم دعاة الحق وناصريه ، والجاهرين به ولو على انفسهم .

والله تعالى قبل ذلك علمهم قول الحق والانتصار اليه ، وتقديمه على كل مصلحة اخرى . والامثلة من القرءان الكريم نفسه في تهذيب المسلمين وحثهم على اتباع الحق ، وفي سيرة المصطفى وصحابته الابرار خير مثال على ذلك ، ونكتفي بمثال واحد من القرءان الكريم حيث يعاتب الله رسوله في موقفه من الصحابي الاعمى عبد الله بن ام مكتوم بقوله : « عبس وتولى أن جاءه الاعمى ، وما يدريك ، لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى ، واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى ، كلا ، انها تذكرة » (عبس — 1 — 11) .

ويلتقي اتباع الحق ومناصرته في السراء والضراء ، في العقيدة والشريعة والاخلاق ، مع تعاليم شرع الله ، مع الائتمار بأوامره واجتناب نواهيه . وشرع الله واحد ، لا يقبل التجزئة والانفصال بين عباداته ومعاملاته واحكامه في الاحوال الشخصية والعقود والالتزامات والعقوبات ، لانه عقيدة وشريعة واخلاق ، فهو يفرض الرضوخ لحكم الله لانه هو الحق . فالحق والقانون والخلق مرجعها جميعا الى الله . فبروح التفاني في خدمة الحق والشرع والخلق ، التي اقرها القرءان ودعت اليها سنة رسول الله قولا وفعلا وتقريرا ، بني المجتمع الاسلامي الاول في دار الهجرة ، المدينة المنورة .

فما هي الاسس التي بني عليها هذا المجتمع المدني ، دينيا واقتصاديا واجتماعيا .

ان استعراضا مثل هذا يقتضي مئات الصفحات ، وقد كتبت عنه كتب السيرة الشيء الكثير ، قديما وحديثا ، وكتب الحديث بدورها تزخر بعشرات الالاف من الاحاديث النبوية التي توضح الشريعة وتشرحها وتبين مدى ما بذله عليه السلام من مجهودات عظيمة لهداية الناس وتسهيل فهم الدين عليهم عقيدة ومقاصد وتشريعا .

ولذا سنكتفي ببعض الامثلة من مواقف الرسول عليه السلام لابراز آرائه واعماله في مختلف ميادين تنظيم الدولة الاسلامية : كان اول ما اهتم به الرسول صلى الله عليه وسلم ضبط العلاقة بين الامة وبين المعبود الديان ، فبنى المسجد لتربط الصلة الوثيقة مع الله في الغدو والآصال ، ولتقام شعائر الله ، وسرعان ما اصبح المسجد ، على عهد الرسول الاكرم مكان العبادة ومقر القاضي ومدرسة العلم والثقافة ومركز الاعلام وتكوين الدعاة اطر تبليغ الدعوة واشهارها . والمسجد كان وما يزال المكان الذي تطمئن اليه النفوس ، وتتنزل فيه السكينة والرحمة . فليس من الغريب ان يقول الرسول (ص): « ارحنا بالصلاة يا بلال » .

ثم انه كان صلى الله عليه وسلم يحث على التطوع ، كما حث عليه القرءان : التطوع بالاختيار الحر وحسب طاقة الانسان ، في العبادات والمعاملات والانفاق ، ويقول ويكرر دائما ان الدين يسر ويدعو الى التيسير وعدم الغلو وعدم الكثير من السؤال ، لان الدين سكت عن اشياء رحمة بالعباد . جاء في صحيح البخاري عن ابن مسعود انه اتى رجل النبي فقال : اني لاتاخر عن صلاة الغداة من اجل فلان مما يطيل بنا ، فغضب النبي وقال : « يا ايها الناس ان فيكم منفرين فايكم ما صلى بالناس فليتجوز فان فيهم الكبير والمريض وذا الحاجة » .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « ان كان النبي ليدع العمل وهو يحب ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس ، فيفرض عليهم » ، مثال ذلك مواصلة الصيام وصلاة الصبح جماعة الخ . . وقد قال عليه السلام : « يسروا ولا تنفروا » وهل يمكن ان يقول الرسول غير هذا وقد جاء في القرءان الكريم آيات كثيرة تخبر بيسر الدين : قال تعالى في سورة البقرة : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقال في سورة الحج : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » .

واقر التسامح الديني فعاهد اليهود ، واصدر ذلك العهد النبوي الشهير الذي :

— اكد فيه على حرمة النفس والمال ، ونصرة المظلوم ورعاية الحقوق .

— وكفل العقيدة للجميع ، فلا اكراه في الدين .

— وجمع كلمة المسلمين وغيرهم من المتعايشين بالمدينة على الدفاع عنها والامتناع عن نصرة من يهاجمها وعن عقد اي حلف مع المشركين .

— وابرز ضرورة التكافل بين المسلمين جميعا لان بعضهم اولياء بعض ، وكل مسؤولون عن البعض الآخر .

— واشار الى ان الحكم لله ، اي ان مصدر القانون شرع الله .

قال : « وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرده الى الله عز وجل والى محمد » (ص) .

وهكذا نرى الرسول عليه السلام عاهد اليهود على السلام والتعاون والدفاع المشترك ، ولكن اليهود نافقوا وغدروا فخدعوا المسلمين ودبروا المؤامرات ضد النبي والمسلمين ، وحاولوا اثارة الفتنة بين الاوس والخزرج من جديد ، فحاربهم المسلمون وطردهم الرسول من المدينة .

وفي تنظيم العلاقات بين الحاكمين والمحكومين وبين المسلمين واهل الكتاب في المجتمع الاسلامي والمجتمعات الاخرى ، طبق مبادىء العدل والرحمة والمساواة والشورى التي جاء بها القرءان الكريم حيث قال : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر » (آل عمران 159) .

ونظم العلاقات في الحرب والسلم ، فنهى عن التعدي او البدء بالقتال ، او التمثيل بالقتلى او قتل العجزة والنساء والاطفال ، واوصى خيرا بالرهبان واهل الكتاب عامة ، وفرض احترام المعابد ونظم شؤون الاسرى والافتداء ، وتوزيع الغنيمة والفيء ، فعل كل هذا طبقا لما جاء في القرءان الكريم .

وهكذا وجد الرسول نفسه امام قضايا كبرى ، عليه ان يواجهها في آن واحد : المجابهة مع قريش وكفار العرب ، ويهود المدينة ، والمنافقين ، وتنظيم الحياة العامة في المجتمع الاسلامي الفتي ، مع العلم ان اعتماده كله سيكون على تلك الفئة القليلة من المسلمين ، الذين هم انفسهم ما زالوا في حاجة الى تهذيب لنفوسهم وتقوية لايمانهم ، لان عهد كثير منهم بالدين الجديد ، حديث . ومن اجل هذا عمد الرسول الى شحن طاقة جماعة المسلمين لتنفجر في وجوه الاعداء ، ولتنصهر في كتلة واحدة مرصوصة ، فتكون القدوة الصالحة والنموذج الفذ للاجيال الصاعدة والمقبلة .

واوضح موقفه بحديثه الشريف : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

وتحت ضغط الاحداث ، وضرورة الاسراع بتقوية الجبهة الداخلية من اجل المواجهة ، وبوحي من الله وتوجيه منه ، قام الرسول عليه السلام يتخذ التدابير والترتيبات ، فآخى بين المهاجرين والانصار حتى صاروا يتوارثون دون الاقارب ، وبين السادة والموالي ، حتى صار السيد يخضع لاوامر العبد في امارة الجيش وغيرها ، فكسر بذلك الحواجز الوهمية المصطنعة التي كانت تفصل بين فئات المجتمع وقبائله ، وعوضها باصارة الاخوة في الله ، وحرص على تطبيق اخلاق القرءان ، وكان يبدأ بنفسه في الزعامة وقيادة الجيوش والتواضع والعيش القشىء والعمل المتواصل ، مع تقوى الله وخشيته . « فقد كان صلى الله عليه وسلم ، يتقدم اصحابه في الجهاد وقد شج وجهه وكسرت رباعيته يوم احد . وفي غزوة حنين ، ثبت رسول الله حين انهزم الكثير

ممن معه ، وهو يقول : انا النبي لا كذب ، انا ابن عبد المطلب » .

وصار المسلم ، عقب المؤاخاة ، يؤثر اخاه في سماحة وعلو همة يندر مثيلها . فبعد ان آخى رسول الله بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، قال سعد لعبد الرحمن : « اني اكثر الناس مالا فاقسم مالي نصفين ، ولي امرأتان فانظر احبهما اليك ، فسمها لي اطلقها ، فاذا انقضت عدتها فتزوجها » ، فقال عبد الرحمن : « بارك الله في أهلك ومالك » ثم سأل عن السوق وراح يتجر .

وبعد انتصار المسلمين على يهود بني النضير، قال الرسول عليه السلام للانصار : « ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركوهم الغنيمة ، وان شئتم كانت لكم اموالكم ودياركم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة » فقال الانصار : « بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم منها » .

كان الانصار يتسابقون الى من يأوي اخوانه من المهاجرين ، حتى اضطروا الى القرعة . وصدق الله، حيث شهد القرءان الكريم بذلك فقال : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (الحشر ـ 9) . وقال عنهم الرسول : « الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق ، فمن احبهم احبه الله ومن ابغضهم ابغضه الله » .

على هذه الروح ، روح التضحية والاخاء والتفاني أسس المجتمع الاسلامي تحت قيادة الرسول الاكرم الذي فاق اصحابه خلقا وفضلا ، حتى شهد الله له بذلك في قوله : « وانك لعلى خلق عظيم » .

وقد توارث المهاجرون والانصار الاخاء ، وكان بعضهم اولياء بعض ، كما جاء في القرءان الكريم : « ان الذين آمنوا وهاجروا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض » (الانفال ـ 72) « ولكل مقام مقال » كما قال العرب فالحالة استثنائية ، تدابير استثنائية ، ولمواقف التضحية والفداء ، مواقف تناسبها . فقد فر المهاجرون بدينهم الى المدينة ، وتركوا في مكة اموالهم ومنازلهم وامتعتهم ، ووصلوا المدينة وهم لا يملكون قوت يومهم ولا منازل يأوون اليها ولا عمل يتعيشون به . فكان التآخي والتضامن والتكافل من اخوانهم الانصار على نمط ما رأيته من امثلة ، وكان الإيثار الذي اشاد به القرءان ، وكان الامتناع عن المشاركة في الغنيمة وكل ذلك بالاختيار الحر والتطوع والانفاق والسخاء . وقابله من المهاجرين ، الاعتراف والامتنان والتوجه نحو العمل والكد حتى مر وقت الشدة والعسر ، واستقلوا بانفسهم ، ولم تعد حاجة لا الى توارث المهاجرين والانصار ، ولا الى حرمان الانصار من الفيء والغنيمة ، فاصبح التوارث يقتصر على ذوي الارحام وعلى الاقارب ، وذلك اعتمادا على قوله تعالى : « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا ، كان ذلك في الكتاب مسطورا » (الاحزاب ـ 6) .

ونسوق امثلة من ضرورة التكافل بين المتساكنين في المجتمع الاسلامي اعتمادا على التطوع والانفاق والايثار ، والزهد في الدنيا ، من كتاب : « نحو تطبيق النظام الاقتصادي والاجتماعي الاسلامي » لكاتب هذا الحديث .

وانتقل توا الى بعض الامثلة من التطبيق على يد الرسول وغيره ، لنخلص الى ما يمكننا ان نستنتجه من كل هذه المبادىء والاخلاق والتطبيقات ، عما يمكننا ان نعتبره موقف الاسلام ، لنعتمد عليه في بناء صرح المجتمع الاسلامي ، خاليا من شوائب الظلم والاستغلال والحرمان ، ومجتنبا مساوىء الانظمة الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة . هاجر المسلمون مع نبيهم الى المدينة ، لتركوا بمكة وغيرها اقاربهم واموالهم وممتلكاتهم ، ووصلوا الى المدينة وهم مجردون من كل شيء ، ولا مسكن لهم ولا دخل ولا عمل . فاسس الرسول عليه السلام اول مجتمع اسلامي وترأسه فكان من اول ما واجهه ان يجد للمهاجرين مأوى وعملا ومداخيل ليسدوا بها حاجاتهم فطلب من الانصار ان يأووهم معهم في مساكنهم وان يقسموا معهم زادهم ويعطوهم فضولهم في ما يملكون وما يكسبون .

ولكنه في نفس الوقت حض المهاجرين على البحث عن العمل للتخفيف من الوطأة على اخوانهم الانصار ، وزاد الرسول على ذلك بقوله ، وهو مقتنع بان على هذا المجتمع الاسلامي ان يعمل بجد حتى يستطيع سد جميع الحاجيات : « من كانت له ارض فليزرعها او يمنحها أخاه ولا يؤاجرها اياه ولا يكريها » ولكنه سرعان ما اجاز تأجير الارض بعد نهيه الانصار عن ذلك لفائدة المهاجرين ، وذلك بعد ما استقر الامر بهؤلاء ووجد كثير منهم عملا يسدون به حاجاتهم .

واتخذ الرسول تدبيرا استثنائيا آخر رغبة في تحقيق التوازن في المجتمع بين المهاجرين والانصار في هذه المرحلة الاستثنائية التي اضطرت فيها جماعة من المسلمين الى ترك موطنها والالتجاء الى جماعة اخرى من المسلمين : ذلك انه وزع جميع الفيء الذي افاءه الله على المسلمين من يهود بني النضير ووزعه على المهاجرين فقط دون الانصار ، باستثناء اثنين فقرائهم .

ومعلوم ان الرسول عليه السلام عاد الى تطبيق التشريع التطبيق العادل ، بعد ان كافأ بين الفرص المتاحة لجميع الفئات وقوم الخلل الواقع في البنية التحتية للمجتمع الاسلامي وعدل التوازن ، فللظروف الاستثنائية تشريع وتطبيق استثنائيان ، حتى يستتب العدل ، ويتوصل كل ذي حق بحقه ، وهو الذي قال عليه السلام : « والله لا يؤمن من بات شبعانا وجاره جائع بجنبه » .

ومثال آخر عن الاجتهاد في التشريع ومقابلة الظروف بما يناسبها من مصالح المجتمع ، نجده عند عمر بن الخطاب الذي رفض تقسيم ارض العراق والشام المفتوحين عنوة ، على المقاتلين ، رغم معارضتهم ورغم تبرير موقفهم بما فعله الرسول عليه السلام بارض خيبر ، ويوضح عمر بن الخطاب موقفه كما يلي : « فاذا قسمت أرض العراق بعلوجها وارض الشام بعلوجها ، فما يسد به الثغور ؟ وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد وبغيره من أرض الشام والعراق؟ لقد اشرك الله الذين يأتون من بعدكم في هذا الفيء، فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شيء ولئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه ... (ولو قسمته بينكم) اذن اترك من بعدكم من المسلمين لا شيء لهم ،، فكيف اقسمه لكم وادع من يأتي بغير قسم ،، ويضيف عمر وهو يدافع عن رايه امام مجلس من المهاجرين والانصار جمعه ليستشيره في الامر : « وقد رايت ان احبس الارضين بعلوجها واضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية ويؤدونها فتكون فيئا للمسلمين المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم . ارايتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها ، ارايتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ، لا بد لها من ان تشحن بالجيوش وادرار العطاء عليهم ،، فمن اين يعطي هؤلاء اذا قسمت الارضون والعلوج » .

هذان مثالان من الثورة الاسلامية الاجتماعية والاقتصادية التي اقرها الاسلام وقام بوضعها موضع التطبيق كل من محمد عليه السلام عند اقتضاء ظروفها ، وعمر رضي الله عنه ، حين راى مصلحة المجتمع في ذلك . واظن انهما صالحان لان يقتدي بهما عند الحاجة .

اساليب التكافل :

والحقيقة ان الاسلام عالج موضوع التكافل الاجتماعي باساليب اخرى ، متعددة ، كلها تهدف الى نفس الهدف ، وهو ان لا يجوع احد ولا يعرى ، وان يجد مأوى يسكن اليه هو واسرته ، وان يحصل على عمل لسد حاجاته .

اما القرءان فقد دعا ، كما تعلم ، الى الانفاق في سبيل الله ، الى اعطاء المحروم حقه ، الى البر بالوالدين والاقربين وايتائهم قبل غيرهم . واعتبر هذا الانفاق كانه اقراض لله تعالى ، وتبايع معه . فقد جاء في كتابه الحكيم : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون » . وجاء فيه ايضا : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة » .

وحظ القرءان على العدل والاحسان ، والتعاون، وامر بحسن التصرف في المال الذي استخلف فيه الانسان .

وأما الرسول والصحابة رضي الله عنهم فقد ضربوا الارقام القياسية في الزهد وايثار الضعيف في اموالهم . والتضحية بما يملكون ، فمنهم من كان ذا ثروة ويتنازل عن جزء كبير منها ، كعثمان بن عفان ؛ ومنهم من كان يجهز الجند من ماله الخاص ؛ بل منهم من كان يتنازل عن ثروته كلها لفائدة المسلمين . واغلبهم كانوا كما نعتهم بذلك القرءان الكريم : « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » . وقال الرسول عليه السلام : « ما احب ان لي مثل احد ذهبا انفقه في سبيل الله اموت واترك منه قراطين » ورأينا كذلك كيف ان الانصار اعطوا اروع الامثال في اقتسام ما يملكون مع اخوانهم المهاجرين ؛ وتنازلوا لهم عن كثير من حقوقهم .

ولكن المجتمع لا يمكن ان يسير في الخط السوي بالاعتماد فقط على التطوع وروح الايثار والزهد ، فهذه مواقف لا تتعدى جماعة قليلة من الافراد ؛ فلا بد من التشريع والالزام والضرب على ايدي مانعي الحقوق او المستغلين ، فان الله يزع بالسلطان ما لا يزعه بالقرءان .

ولذلك نجد عمر بن الخطاب ينزع الملكية ويحددها ، ويلزم المالك بتأدية ما سرقه عبده بالضعف عقابا له على ظلمه اياه . قائلا في ذلك : « اما والله لولا اني اعلم انكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى ان احدكم لو اكل ما حرم الله لحل له ، لقطعت أيديهم » . وهو الذي وجد يهوديا شيخا يسال الناس، كي يجمع ما يؤدي به الجزية فاعفاه منها وفرض له زكاة من بيت مال الزكاة (1) .

هذه صورة من جزء من المجتمع الاسلامي الاول الذي شيد على هدى من الله ورضوان ، ضرب الارقام القياسية في التحلي بالاخلاق القرآنية وفي التهافت على التضحية بالنفس والمال وفي طاعة أوامر الشرع وتعاليم الرسول عليه السلام ؛ وفي نكران الذات اتجاه المسلمين وفي النظام والتدريب والعمل الجد والاحتكام لله وللرسول . عسى الله أن يهدينا لنعدل عن غينا ، ولتجه ؛ بمناسبة طلعة القرن الخامس عشر الهجري الجديد ؛ نحو بناء مجتمع اسلامي قوامه الحق والعدل والحرية والمساواة وشرعته كتاب الله وسنة نبيه ، محتكمين في تسيير جميع دواليب الحياة العامة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا واخلاقيا الى الشريعة الاسلامية ، ناهضين بالعلم والحضارة ، وخلافة الله في الارض . لنكون « امة وسطا » وصدق الله العظيم حين قال في كتابه الحكيم : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (البقرة — 143) وبالله التوفيق .

الرباط : محمد بن البشير

---

(1) نحو تطبيق النظام الاقتصادي والاجتماعي الاسلامي : محمد بن البشير ص : 46 — 50 .



أعيادنا .. وملاحمنا
متعاقبة .. متلاحقة

للأستاذ محمد العربي الزكاري

الاسلام يتحدى :

من طالع سعد شعبنا انه يعيش اليوم افراحا متعاقبة ومسرات متلاحقة نعتبرها مننا من العلي القدير ومنحا ربانية قل ان تجتمع لامة من الامم او تتوفر لشعب من الشعوب .

في طليعة هذه الافراح والمسرات حلول القرن الخامس عشر الهجري الذي يعد بحق تحديا لخصوم الاسلام الذين حاولوا بوسائلهم الشيطانية محاربته والوقوف في وجه مده الجبار ، وصورت لهم تمويهاتهم انهم توصلوا الى زعزعة الاسلام وتضييق الخناق على المومنين ، فاذا به يخرج من جميع المعارك ظافرا منتصرا ، ويقف كالطود الشامخ متحديا اياهم في كل الواجهات وعلى جميع المستويات .

وشعبنا الذي برهن في كل مناسبة على انه في طليعة حماة الاسلام ، استقبل هذا القرن السعيد بما يليق به من التعظيم والتبجيل ، مؤكدا انه في ركاب الدين وتحت راية القرءان يناضل ، ومتطلعا الى تحقيق النصر النهائي على اعداء الله من ملحدين وزنادقة ومن يسير في ركابهم من الوصوليين الذين يلهثون وراء المكاسب المادية والمطامع الشخصية التي يعدهم بها اولياء الشيطان ، وما يعدهم الشيطان الا غرورا .

ولئن كان اعداء الله لا يتورعون عن انتحال كل وسيلة دنيئة لمحاربة الاسلام ، ويتفننون في الدس والخديعة لتشكيك السذج في عقائدهم ، فقد طلع القرن الهجري الجديد مخيبا آمالهم ومبرهنا على ان الاسلام بخير ولله الحمد .

فلقد ابرزت نهاية القرن الماضي بداية رائعة لصحوة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، واوضحت ان اواصر المودة والوئام لا تزداد بين المسلمين الا قوة ومناعة ، ولا يغرن الاعداء ما هو مشاهد على الساحة من خلافات عابرة ليست بين امة الاسلام ، وانما هي حزازات شخصية بين بعض الحكام ، ونتيجة حتمية لصراعات ايديولوجية دخيلة فيختفي وراءها الطامعون في استعباد الشعوب من جديد ، وويل لقضية الشعوب ان لم يصحح اولئك اخطاءهم وينكفوا عن المباثرات التي تبعثر الجهود وتبدد الطاقات ؛ ويكفينا حجة قاطعة على ان الاسلام يواصل مسيرته بنجاح مؤتمر القمة الاسلامي بمكة المكرمة وما اسفر عنه من نتائج باهرة تتمثل بالخصوص في بلاغ مكة الذي قطع السنة الخراصين .

البشائر تتوالى :

ويظلنا عيد مولد رسولنا الاعظم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فتتضاعف بشائر امتنا

ويتهادى شعبنا مزهوا بهذه الذكرى العطرة التي تاتي في اعقاب فرحة مطلع القرن الاسلامي الجديد .

وهنا يتجلى تصميم شعبنا المغربي المسلم على مواصلة المسيرة الايمانية في ظل شريعة الله التي يعتبرها بمثابة الروح من الجسد ، فقد اعطى لهذا العيد ما يستحق من اهتمام واحيا ذكراه المجيدة في احتفالات دينية رائعة تؤكد الطابع الاسلامي لشعبنا الذي برهن على انه شعب متمسك بدينه رغم ما بذله ويبذله المخربون من جهود لتقليص ظل الاسلام بيننا، وفي أوساط شبابنا وشاباتنا بالخصوص .

ولو راجعوا حصيلة اعمالهم لوجدوا خططهم فاشلة ومكاسبهم تافهة بجانب ارباح ومكاسب الاسلام في كل مكان ، والدليل على فشلهم والبرهان على خسرانهم ان الناس يدخلون في دين الله افواجا في جميع اطراف الدنيا ، وان صفوف المومنين تتقوى باستمرار بجحافل اخوانهم الجدد في افريقيا واوروبا وآسيا وامريكا وغيرها من بقاع الدنيا .

ونحن في المغرب ـ بناء على معطيات الصحوة الاسلامية العارمة ـ نؤكد ان من اغتروا بترهات الملحدين سوف يراجعون مواقفهم ويصلحون اخطاءهم ويصححون مفاهيمهم ، فالباطل له جولة ثم يضمحل، « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » (1) .

عيد استقلالنا الفضي :

ويأبى الله الا ان تكون فرحتنا الثالثة احتفاء بعيد استقلالنا ، واسترجاع الشعب لحريته وامتلاك ناصية امره ، وواضح ان استعادة هذا الاستقلال من نعم الله الكبرى ومنحه العظمى التي يلزم ان نقابلها بالحمد والشكر ، ونزكيها بالعمل المتواصل للحفاظ على هذا المكسب الذي حققه شعبنا بعرق جبينه وبدماء البررة من ابنائه .

وهنا لا مناص من وقفة ولو عابرة لتصحيح بعض المفاهيم ، فالبعض منا يحلو له ان يتبنى هذا الاستقلال ، ويأبى ان يسمح لغيره ولو بحظ ضئيل في تحقيق هذا المكسب الشعبي ، وفي المقابل يحاول البعض الآخر الاستئثار بهذه الميزة ، الامر الذي يعطي صورة مشوهة عن الوطنية المغربية التي ساهمت بكل تنظيماتها ، وكافة هيآتها ، وسائر منظماتها ، وجميع الاجنحة الفدائية والتحريرية لتحقيق الامنية الشعبية في الانعتاق من سيطرة الاجنبي ، واذا تساءل شبابنا المعاصر الذي لم يعش تلك الحقبة التاريخية من كفاحنا ، وابدى دهشته من الادعاءات المتضاربة ، وطرح استفهامات محيرة عن صحة تلك التناقضات ، فله كامل الحق في تشككاته التي يعرب عنها في كثير من الاحاديث والعديد من المناسبات ، وصدق الشاعر العربي :

كل يدعي وصلا بليلى
وليلى . . . .

والحقيقة التي ينبغي ان لا تغيب عنا ونحن نتحدث عن الاستقلال هي ان كل واحد قد ساهم بنصيبه في الجهاد المقدس تحت القيادة الوحيدة المعترف بها من الجميع ، قيادة محمد الخامس قدس الله روحه وجزاه عنا احسن الجزاء ، وليس من حق اي كان الاستئثار بالامتيازات على حساب غيره من المكافحين والمناضلين بالسيف او القلم ، فالتضحية كانت من الجميع ، والجزاء الاوفى لكل مناضل سيلقاه في آخرته حيث لا ظلم اليوم ، وصدق الله العظيم « فلا تزكوا انفسكم ، هو اعلم بمن اتقى » (2) .

والناحية التي يلزم ان نوجه لها عنايتنا وقد عشنا ربع قرن في ظل استقلالنا الوريف هي ان نحاسب انفسنا ونراجع سجلات اعمالنا خلال هذه الفترة من حياتنا ، لنوازن بين ما قدمناه لهذا الوطن العزيز من خدمات وما ساهمنا به في تحقيق المنجزات ، وبين ما يتطلبه منا مستقبل الاجيال القادمة من تضحيات لتحقيق الغد الافضل بحول الله وقوته .

الجسر الممتد :

وتحل الذكرى العشرينية لاعتلاء جلالة ملكنا المفدى عرش اجداده الكرام ، وهي فرحتنا الرابعة في

(1) سورة الانبياء : 18 .
(2) سورة النجم : 31 .

مطلع القرن الخامس عشر للهجرة النبوية التي غيرت الاوضاع في العالم وصححت عقيدة التوحيد بعد أن اعتراها التحريف والتزوير .

وعيد عرشنا الخالد نعتبره نحن المغاربة جسرا فولاذيا من الجسور العديدة التي تصل الشعب بالعرش وتربط بينهما برباط روحي لا يزداد مع الايام الا قوة ومتانة وصلابة ، وحديثنا عن هذا العيد السعيد يقودنا حتما الى الاشارة للملاحم التي خاضها عرشنا لتوطيد الاستقرار وبناء المغرب الجديد على اسس ثابتة وقواعد راسخة تضمن الحياة الكريمة لشعب عالم بعرشه ووفي لملوكه .

فتاريخ المغرب مليء بالاحداث ، وطافح بالملاحم ، وزاخر بالبطولات ، ومن الثابت انه لم يتخل فترة من فتراته او حقبة من حقبه من مواقف مشرقة وقفها ملوكه ادهشت القريب والبعيد ، وحيرت الخصم العنيد ، واكدت بصورة لا تقبل الشك او الجدل أن شعبنا شعب ابي له من المؤهلات الجسمية والعقلية والنفسية ما يستطيع بها قهر الصعاب وتخطي العقبات والتغلب على الازمات .

ولقد عاش المغرب ملاحم يشيب لها الولدان ، وعاصر احداثا داخلية وخارجية كانت له فيها جولات بهرت عقول المفكرين ، واستأثرت باهتمامات فطاحل السياسة ، وحيرت عباقرة الحرب ، لا لكونه خرج منها ظافرا وحسب ، وانما للاسلوب الذي عالج به ملوكه الاوضاع ، والوسائل التي استخدموها في كل الصراعات ، والحكمة التي انتهجوها لبعثرة الغيوم وتبديد السحب ، والتضحيات الجسام التي تحملوها للتغلب على الازمات ، والشجاعة التي ابداها شعبنا عند ما يصبح المشكل يتطلب البذل والعطاء ، وليس بذل المال وعطاء الخيرات فقط ، وانما هي الدماء الزكية تسيل والارواح الطاهرة تسترخص في سبيل المثل العليا التي يومن بها شعبنا ويهيم هياما صوفيا .

هذه الخصال والمزايا والمؤهلات الرفيعة تجمعت في شخصية جلالة الملك الحسن الثاني منذ نعومة أظفاره واهلته لان يكون الساعد الايمن والعضد الامتن لوالده رحمة الله عليه ، حتى اذا ما آلت اليه مسؤولية العرش كان امتدادا لرسالة اسلافه الكرام ، فتحمل العبء عن جدارة واسترسل في البناء والتعمير والتشييد والابتكار ، رغم الاشواك التي نتأت في الطريق . . .

وليس من شك في ان الحياة لا تخلو من مصاعب ، والا كانت حياة لا تستحق الاهتمام ولا تتطلب اي مجهود جسمي او فكري يميز الانسان الكامل عن غيره من الخاملين ، وكان من المفروض والمتوقع في وارث سر محمد الخامس أن يضطلع بالرسالة التي نذر والده المنعم حياته لها وهي استكمال وحدة المغرب واسترجاع ما تبقى من الاجزاء الترابية السليبة التي تعد بحق حلقة من حلقات الوحدة المغربية الازلية الخالدة .

وشاءت ارادة الحسن الثاني أن يسير في هذا الخط وهو الابن البار ، وأبت العناية الالهية الا ان تلهمه الصواب وتوفق خطواته في سبيل استرجاع الاجزاء المغتصبة من صحرائنا بطريقة فريدة من نوعها ، حكيمة في اسلوبها ، عميقة في ابعادها ، مما اثار في صدور الطامعين حسدا جعل منهم الثيران الهائجة عند ما تنغرس بين اكتافها رماح ابطال المصارعة !

ولسنا في حاجة لاستعراض اساليبهم الخسيسة ووسائلهم الوضيعة ، فتلك اشياء منتظرة ممن اعمتهم مصالحهم الخاصة وتملكتهم المطامع الاشعبية، والشيء الذي نريد ابرازه في هذه المناسبة هو أن جلالة ملكنا قد تحدى كل التحرشات ووقف في وجه هذه الضجة المفتعلة بما يملك من حصافة راي ، وشجاعة نادرة ، وحكمة بالغة ، وايمان راسخ بأن شعبه الوفي لا يبخل باية تضحية مهما غلت وتضخمت في سبيل قضية مصيرية وحاسمة .

والغريب كل الغرابة هو الاحتجاج عن تحقيق وحدة المغرب ، اما الاندفاع في تحقيقها وصيانتها والدفاع عنها فهو الطابع الاصيل لعرشنا ، وما كان عرشنا على مدى التاريخ الا حارسا امينا لهذه الوحدة وراعيا لها ومحافظا على تماسكها ، وجلالة الحسن الثاني ليس الا شبلا للاسود العلويين الذين تعاقبوا على هذا العرش الخالد الذي صمد في وجه الاعاصير ووقف عملاقا امام كل التحديات ، وعرش استطاع انتزاع الاستقلال من بين مخالب استعمار متعدد الالوان والاشكال ، لا يتهيب شراذم المرتزقة ولا يتخوف من خوض المعركة الفاصلة والحاسمة .

وكان بودنا أن نتحدث في عيد عرشنا عن المنجزات التي تحققت في جميع الميادين ، ونشيد بالنهضة الرائعة التي تشهدها البلاد ، والوثبة الموفقة التي وثبها شعبنا ؛ ولكن الأحداث المفروضة علينا دفعتنا دفعا للإشارة إلى هذه الأوضاع المختلفة لنؤكد للقريب والبعيد أن عرشنا الخالد يقف بالمرصاد في وجه الطامعين ، وأن شعبنا يسير في ركاب عرشه المجيد ، ولنبرهن على أن عيد عرشنا ليس إلا جسرا ممتدا بين العرش والشعب ، يجمع بينهما في السراء والضراء ، ويوحد بينهما ليكيلا للمعتدين الصاع صاعين ، والبادىء أظلم .

وتبقى الإشارة الى مكانة الحسن الثاني على الساحة الافريقية والعربية والاسلامية والدولية ، وقد انعقد الاجماع على أن ملكنا يتوفر على مؤهلات قل أن تجتمع في قائد ، فإلى جانب المؤهلات السياسية والثقافية يتطوي قلبه الكبير على الرأفة والرحمة والنجدة لكل مظلوم أو منكوب ، مما أهله لأن يحتل مكانة مرموقة في الأوساط السياسية والدولية على السواء ، وما اسناد رئاسة لجنة تحرير القدس لجلالته إلا هالة واحدة من هالات الاكبار والاعجاب التي تحيط به من كل جانب ، فجعلته رائدا في كل الميادين ومحسودا ممن في قلوبهم مرض !

فعلى بركة الله نطوي ــ عرشا وشعبا ــ مراحل حياتنا ، وعلى هدى من الله نواصل مسيرتنا الظافرة بعونه تعالى ومدده الذي لا ينقطع عن عباده المومنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وهنيئا لأمير المومنين بعيده السعيد ، وإلى العام المقبل إن شاء الله في ظل عرشنا المجيد .



رائد البعث الإسلامي

الحسن الثاني

للدكتور يوسف الكتاني

يلاحظ الدارس لحياة هذا الملك العظيم ان عبقريته تستمد مددها وسندها وقوتها من الوحي . الكتاب والسنة ولذلك تراه يتجه في كل ما يصدر عنه من قول او عمل او تخطيط الى غاية واحدة ومقصد واحد هو توحيد القلوب وتنوير العقول وتوحيد السبل للبعث الاسلامي المحتوم ايمانا منه بان الثقافة العربية والحضارة الاسلامية التي درجت عليها امتنا ما هي الا تعبير عن اسلوب حياتنا ونوع اختيارنا وتنظيم لقوة وحدتنا وشدة ارتباطنا وتمكين لحاضرنا وتخطيط لمستقبلنا على اساس الايمان والعلم والعقل والتدبير (1) .

من هذا المنطلق الواضح الراجح يتبين الباحث الدارس لمراحل حياة الحسن الثاني منذ نشأته وتطوره الى بداية تحمل مسؤولياته كولي للعهد ؛ يتبين الخط المستقيم ، والنهج الواضح ، الذي تابع السير فيه ؛ والذي اختطه قادة المغرب وملوكه. منذ البدء واحياه وجدد معالمه ، اجداده الكرام ؛ منذ اسماعيل الى محمد الخامس رحمهم الله .

فقد شعر الحسن الثاني ـ في اثناء ولايته للعهد ـ وبفضل جهاده ونضاله بجانب والده العظيم، ونتيجة لتجاربه ومعايشته لاحداث وطنه وامته ان ؛ السبل قد تعددت والمذاهب قد اختلفت ، وان الاستعمار حاول جاهدا متعمدا ، اعماء ابصارنا ؛ وتضليل افكارنا بايديولوجيته الغربية ومبادئه العجيبة؛ التي قصد بها تحويل اتجاه امتنا ، وتغيير مسارها ؛ لتبقى حائرة تائهة ، متفرقة متنافرة ؛ كي ينفصل حاضرها عن ماضيها وتتنكب عن طريق سبرها وهديها .

ولذلك آمن منذ البداية اقوى الايمان واشده ؛ وايقن اروع اليقين واعظمه ، بانه لا صلاح لامته ولا ملاذ لها ولا منجاة الا بالعودة الى الدين الصحيح ؛ والمنهج السليم ؛ الذي ارتضته امتنا ؛ واتخذته لها نظاما للحياة ومنهجا للحكم ، وطريق للحضارة والرقي والفلاح .

ان هذا التخطيط والتصميم ؛ والايمان واليقين، لم يقف به عند حدود امته المغربية فحسب ، بل كان يتجه به الى امته الاسلامية جمعاء اقتناعا منه واعتقادا ، بضرورة العودة الى الوحدة العربية الاسلامية الشاملة ، لانها الضمان الوحيد للخلاص ؛ وبلوغ الهدف المنشود ، اننا نتلمس ذلك واضحا ، ونجده مخططا مدروسا ؛ في وثيقة فريدة ، تضمنت افكار الحسن الثاني في الاصلاح ، وايمانه العميق بحتمية الحل الاسلامي ، وضرورة تطبيقه ، سعيا وراء نهضة الامة ؛ واصلاحها وانقاذها ، من آثار الاستعمار ومما تعانيه مجتمعاتنا من التخلف والقهر والجهل .

(1) معالم الفكر الاسلامي في عهد الحسن الثاني ص : 51 .

لقد رسم الحسن الثاني معالم فكره الاسلامي ، وتخطيطه للبعث الاسلامي ، منذ البداية ، وقبل ان يتربع على عرش المغرب ، وفي اول ممارسته لولاية العهد ، نجد خطوطه العريضة ، في مقالة فريدة ، وتوجيه حكيم ، خص به الامة في بداية عهد الاستقلال ، تحت عنوان : « الاسلام والنهضة المغربية » (2) .

لقد اعتبر المرحلة الحاضرة في المغرب وفي العالم الاسلامي اهم مراحل تاريخ الاسلام وعلاقته بالتقدم الفكري والحضاري ولذلك تميزت بأربع مميزات اساسية هي :

1) يقظة المسلمين بعدما حزبهم .

2) احساسهم بقيمهم الروحية والمادية بعد غربتهم في اوطانهم .

3) الرغبة في استعادة مكانتهم والمساهمة من جديد في تطور البشرية وتقدمها بدفع العالم للاطلاع على محاسن الاسلام ودراسة تعاليمه والتعرف على خصائصه .

4) الاستفادة من تعاليم الاسلام في اصلاح احوال العالم وتلافي عيوب المجتمعات المادية اليوم لبناء النظم الصالحة وتحقيق مثل الاسلام العليا لاسعاد البشرية وتخليصها من ويلاتها وحروبها ومتاعبها .

لذلك كله ما ان تسلم حكم البلاد ، وتربع على عرش المغرب حتى اخذ ينفذ مخططه المرسوم ، وبرنامجه المدروس ، بكل اقتناع واهتمام ، وتفكير وتدبير ، وروية واناة ، فركز خطبه واوامره ، وتصريحاته وتوجيهاته ، من اجل نهضة مغربية اسلامية حديثة ، لبناء المجتمع واصلاحه ، وتقويمه على هدى الاسلام ، والتمسك بمبادئه وقيامه على اساس صحيح من الايمان بالله ، والعمل على ما فيه سعادة الدارين ، والحكم العادل ، القائم على الالفة والمودة ، والتعاون والترابط ، بين الحاكمين والمحكومين ، وضمان حرية العقيدة والفكر ، وحماية كل ما يعتز به الاسلام ، من اسرة ووطن وثرات مادي ومعنوي وضمان الحريات في نطاق الشريعة السمحة ، وتقريب المسافات بين الطبقات ونشر المعرفة ، والدعوة الى الاخوة الاسلامية من دون تمييز بين الالوان واللغات والاوطان ، والتسامح وبث روح التآزر والتعاون ، لبناء مجتمع صالح يضمن للامة حياة الامن وعيشة الاستقرار .

وقد اعتبر الحسن الثاني قطب الاصلاح في هذا الباب ، ومركز التوجيه والتنوير هو عنصر الشباب ، الذي هو عماد الامة واساس كل مجتمع ، على ان يكون الاساس في كل اصلاح وفي كل توجيه هما الاصلان الكريمان : الكتاب والسنة وسيرة رجالات الاسلام وقادته الاولين ، من خلفاء وائمة ومفكرين ، وذلك بما افادوا الانسانية ، وحافظوا على آثار الحضارة وبما ادخلوا عليها ، من تنقيح وتكميل ، مما ساعد على قيام الحضارة الكبرى التي يعيش العالم في كنفها الى اليوم .

لذلك نجده تصدى في قيامه بمسؤولياته الى : احياء تعاليم الاسلام ومحاولة بناء المجتمع المغربي الجديد على هديها ومحاربة ما شاع فيه من افكار خارجة عن الدين والقضاء على البدع والالحاد . والى استحياء التراث الاسلامي وتطبيق الهدى النبوي ، واحياء سيرة السلف الصالح ، بتجديد المجالس العلمية ونشرها وترؤسها ، وطبع كتب التراث واشاعتها ، والتشبث بقيم الاسلام والدعوة اليها ، في كل مجال ومقال ، فلا تكاد تخلو خطبة من خطبه ، او حديث من احاديثه ، او تصريح من تصريحاته من توجيه الهي من القرءان الكريم ، او تذكير بسنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بالاستدلال بحديث نبوي ، او اثر من آثار الخلفاء والعلماء ، تذكيرا بها ، وبعثا للعزائم ، للعمل بما جاء فيها ، واقرب مثل لذلك ، المسيرة الخضراء التي جعل منها حدث العصر ، والتي حقق بها تحرير الصحراء ، بأسلوب فريد لم يسبق اليه ، ولم يلحق فيه ، حيث استوحى طريقتها واسلوبها ، ومنهجها وتطبيقها ، من حادث الحديبية مستلهما تاريخ السيرة النبوية وهدى الرسول الكريم فنجحت الفكرة ، وتحققت المعجزة ، وخرج ثلاثمائة وخمسون

(2) نشر المقال بمجلة دعوة الحق : س 1 ، ع 2 ، السنة 1376 هـ 1957 م . واعادت المجلة نشره في العدد الماضي (ع : 1 ، س : 22) .

الف متطوع ومتطوعة ، متجهين الى أرضها وصحرائها لا يحملون سلاحا ولا عتادا ولا يبغون ظلما ولا عدوانا سلاحهم كتاب الله الكريم ، وشعارهم وحدة المغرب وتكاتفه وتضامنه ، فرفعوا القيود ، وحرروا الحدود، وربطوا أجزاء الوطن بعضها ببعض ، فاجتمع الشمل وتحققت الوحدة ووصلت الرحم والقربى (3) .

كما ذكرتنا المسيرة الخضراء ايضا بفتح مكة في السنة الثامنة للهجرة حيث دخلت جموع المسلمين بقيادة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وهي غامدة سيوفها ، حاملة راياتها رافعة أصواتها بالتكبير والتهليل والذكر والتسبيح ، اذ فوجئت قريش بمسيرة المسلمين الزاحفة وأذهلها تصميمهم وصلابتهم وراث الرسول مقبلا على رأس المسلمين في كتيبته الخضراء ولم تجد بدا من اعلان استسلامها ومسالمتها ، وفتحت مكة ابوابها ودخلها المسلمون فاتحين منتصرين فحطموا اصنامها وامنوا سادتها ودخل الناس في دين الله افواجا وانطلق صوت بلال من أعلى الكعبة معلنا : « قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » (4) .

والحسن الثاني لم يعمل ويخطط للبعث الاسلامي في وطنه الصغير فحسب بل دعا له وطبقه وحدد معالمه كوسيلة وطريق لاحياء امته الاسلامية وبعث وجودها وكيانها ، ولقد سجل التاريخ بمزيد الفخر والاعجاب عمله الباهر وجهوده المتواصلة وصيحاته المتكررة للمسلمين في شتى بقاع العالم ولاخوانه قادة الامة الاسلامية عندما تبنى صيحة اخيه فيصل رحمه الله الدعوة الى انعقاد أول مؤتمر اسلامي ويعلم الله ما تحمله من كيد وتآمر ، في سبيل ذلك ، ولكنه قاوم وناضل وصمد وجاهد ، حتى تحقق حلمه ونجح تصميمه فوفق الله قادة المسلمين للاستجابة لدعوته والاجتماع في اول مؤتمر اسلامي في التاريخ وكانت عاصمة بلادنا مقرا له ومقاما وكان ذلك سنة 1969 ، تحت شعار الاسلام الخالد .

« لا اله الا الله محمد رسول الله » .

ويكفي الامة الاسلامية فخرا واعتزازا ان هذا المؤتمر الاول رسم لها طريق الخلاص ، وجمعها على كلمة سواء وبصرها بما يحيط بها وما يبيت لها .

لقد اعتبر الحسن الثاني أيام انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي أجمل لحظات حياته كما صرح بذلك لصحافي اجنبي عشية انعقاد المؤتمر وكما قال في خطاب الافتتاح يحدد للمسلمين المنهج الصحيح مشيرا ومعلنا :

« ... المنتظر منا ان لا نخيب رجاء الذي ينتظر اعمالنا ، والمنتظر منا أن نعطي للعالم فكرة جديدة على تجمع المسلمين .. فكرة الفعالية ، فكرة العمل ، فكرة الواقعية ، فكرة الايجابية ... الى ان قال : فمهما تجدد الدين الا وتجدد الدنيا ، ومهما نحكم التفكير الا ونحكم التدبير ... حتى يمكننا ان نخطط الخطى ونرسم المخططات ونعلم ما نريد وما لا نريد ، ما هو ممكن الآن ، وما نتوق اليه حتى يصبح الاسلام قوة اشعاع وحضارة ، ويدنا يجب أن تبقى يدا عليا حتى تبقى كرامتنا مصونة وعزتنا موفورة ... » (5) .

وهكذا نجد الهدف مرسوما في ذهن الحسن الثاني وعقله ، والايمان به متمكنا من قلبه وضميره ، ولذلك ظل يتابع النضال من أجل البعث الاسلامي ويضاعف العمل من أجل تحقيقه ، فلنستمع اليه مخاطبا الامين العام للمؤتمر الاسلامي اثر اجتماع اللجنة التحضيرية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر ، انه يخاطب عن طريقه الامة الاسلامية حامدا الله على أن شعلة المؤتمر الاسلامي الاول ما زالت متيرة لم تزدها الايام الا اتقادا وتوهجا ، قال :

« انني أرى ولله الحمد ان تلك الشعلة التي شارك في نشرها كل أعضاء المؤتمر ابتداء من سنة 1969 لم تنطفيء بل زادت قوة وانتشارا في العالم ولنا اليقين بأن هذه السنة التي تتناسب مع القرن الخامس عشر ستكون ان شاء الله سنة فتح وسلام

---

(3) المسيرة سنة نبوية كريمة للكاتب . مجلة الفنون الصادرة عن وزارة الثقافة المغربية ، العدد الخاص بالمسيرة ، ص 166 .

(4) المصدر السابق نفس الصفحة .

(5) من خطاب جلالته في افتتاح اول مؤتمر قمة اسلامي بالرباط بتاريخ 9 رجب 1389 موافق 22 شتنبر 1969 .

وبركة على الاسرة الاسلامية وعلى الاسرة العربية ويقينا ان كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بما يحتويان عليه من اخلاق للمدنية واخلاق للدولة وللجماعة البشرية وللمواطنين ، وان السنة المحمدية هي الاصلاح الطبيعي لحياتنا وتعايشنا مع العالم لان الاسلام دين الجميع وعالمي ، ولان الدعوة المحمدية لكل الشعوب في الحياة ولكل الاحيان ..... » (6) .

وها هو يعلن في اصرار لامته الاسلامية انه يجد ويجتهد ويناضل ويكافح من اجل سيادة دين الله دين الاسلام ، وتحكيم قرآنه وسنة رسوله ، لا في المغرب فحسب ولا في العالم الاسلامي بل في العالم اجمع ، لان الاسلام هو الخلاص والمنجاة :

« .... واننا لنجد ونجتهد ليصير كتاب الله عملة خلقية وانسانية وقانونية ليتعامل بها جميع بني الانسان فأي هدى احلى وافضل من هدى القرءان ؛ واي حق احق من كتاب الله ... » (7) .

ثم يحدد هدفه في وضوح وجلاء ودون مواربة او مجاملة ليؤكد ان طريق الخير والنصر ينحصر في نصرة الله التي هي نصرة الدين الاسلامي والاهتداء بالقرءان الكريم منبها الامة حتى لا تستهين بقوتها الروحية التي تملكها من دون بقية الامم والاديان والتي ينحصر فيها صلاحها ونجاحها قال :

« ... فنصرة الله هي نصرة الدين الاسلامي بكتاب الله الذي هو الاشعاع الروحي ذلك الاشعاع الذي لا يقف في وجهه مصفحات ولا دبابات ولا طائرات ، والذي من شأنه ان يقهر كل عدو وكل قوة مادية او عسكرية كيفما كان نوعها وكيفما كانت كثرتها وشوكتها ... » (8) .

ولذلك ظل يحث الامة الاسلامية بجميع فئاتها وهيئاتها وينبهها الى مسؤولية البعث الاسلامي واصلاح المجتمع على هدى الاسلام وتعاليمه ، هي مسؤولية الجميع ، وواجب الجميع ، كي يجتهد المسلمون ويعملوا من اجل الهدف المنشود والغرض المقصود . وها هو يوجه الخطاب الى علماء المغرب في رسالته الى مؤتمرهم الخامس بتطوان بقوله :

« انكم لتعلموا علم اليقين ما نولي لشؤون الدين الاسلامي الحنيف من اهتمام ، ونصرف للمحافظة على نصاعته ونضارته من عناية ، ونبذل لاظهار محاسنه ونشر فضائله من جهد ، تأدية لامانة وضعها الله بين ايدينا ، واضطلاعا بمهمة اناطها بجيدنا وقياما بواجب ملقى على كاهل كل مسلم مسلم ، رئيسا كان او مرؤوسا ... » (9) .

ثم يلفت النظر الى ضخامة المهمة ووعورة الطريق وطول المسيرة ليتحمل كل مسؤوليته ويقوم بواجبه فيضيف قائلا :

« ... ان المسيرة طويلة ، والعمل الذي ينتظرنا جد شاق ، ومهمة ملك البلاد ليست سهلة ، كما ان مسؤولية العلماء غير صغيرة ، فمعاول اعداء الاسلام ترتفع لتقويضه في كل جهة ، وصيحات خصومه تتعالى لتقليص ظله في كل جانب ، وشبهات الحاقدين عليه الناقمين منه تثار حوله بمناسبة وبغير مناسبة ، تثيرها كتب ملغومة واقلام مدسوسة وضمائر مأجورة ووسائل اعلام مدخولة مريبة وسائل الاغراء ومرافق الاغواء ، فوجب ان نستشعر الحذر ونأخذ الحيطة والحزم ونعمل على مقارعة الشبهة بالحجة ودحض الباطل بالحق ودمغ الغواية بالرشاد مسلحين لاصابة الهدف وبلوغ المرام بنفس اسلحة العصر التي شهرها في وجه ديننا ولغتنا الخصوم وصلتها الاعداء مستعينين بالصبر متحلين بالاناة متذرعين بمنطق العصر واسلوب الوقت ؛ معطين المثال من استقامتنا ، جاعلين الاسوة والقدوة بعروبتنا متخذين شعارا لنا في ميدان الجدال

(6) انبعاث امة ع 23 ص 45 سنة 1978 .
(7) انبعاث امة ع 13 ص 5 سنة 1968 .
(8) انبعاث امة ع 13 ، ص 5 سنة 1387 هـ – 1968 م .
(9) الرسالة الملكية الى المؤتمر الخامس لرابطة علماء المغرب المنعقد بتطوان بتاريخ 20 ربيع الاول 1395 موافق 3 ابريل 1975 .

والحجج قول الله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » (10) .

وقد اغتنم كل فرصة ومناسبة للتبشير بالبعث الاسلامي والدعوة للتشبث بالدين والسير على سننه وهديه ، ولفت النظر الى حيويته لضمان الحال والمآل وافضليته وصلاحيته واهميته ، قال في رسالته التي وجهها لاعضاء ندوة الامام مالك المنعقدة بفاس :

« معشر العلماء المبجلين ؛ ان حيوية الامة الاسلامية ، وتداخل مجتمعاتها مع غيرها وتفاعلها مع حضارات وثقافات وديانات ، ومذاهب كانت الى امد قريب تفصلها عنها المسافات المادية والمعنوية وان التطورات والتغيرات السريعة التي طرأت على المجتمع البشري في السبعين سنة الماضية ، والتي قال عنها احد المستقبليين بأن ما حدث خلالها من تقدم يوازي ما حدث في مدى الخمسة آلاف سنة الماضية ، كل هذا يعرض علينا اسلوبا جديدا في التعامل مع تراثنا الحضاري بجميع جوانبه ؛ اسلوبا يتيح للمسلم والمسلمة ان يندمجا في المجتمع التكنولوجي الذي يعيشان فيه وينسجما مع هياكل الحضارة الحديثة في اطار من الاخلاق الاسلامية السامية ودون شعور بالاغتراب والاستلاب او بالتناقض والانفصام او بالدونية والاثم .

فلتكن ندوتكم هذه فرصة البحث عن ذلك الاسلوب ، ومناسبة للتصدي لهذا التحدي الحضاري الجديد ، وذلك بدراسة وتحليل قضايا العصر واتخاذ مواقف بناءة منها على ضوء منهجية الامام مالك مواقف تتسم بالايجابية والاقناع ، والانسجام مع عقيدتنا وبيئتنا وطبائعنا ، وتكون امتدادا طبيعيا لتاريخنا وحضارتنا واسهاما من مفكرينا في تحسين نوعية الحياة ونماذج السلوك ، في مجتمعنا بل وحتى في المجتمعات الانسانية الاخرى » (11) .

وها هي الامة الاسلامية جمعاء تقدر جهاد هذا الرجل العظيم حق قدره فتضعه على راس لجنة القدس للاستفادة من تجاربه وطاقاته وما وهبه الله من تفكير سديد وعمل سليم لانقاذ قدس المسلمين واسترجاع اراضيهم السليبة .

وقد ابدى وهو على راس هذه اللجنة جهودا جبارة واعمالا مشكورة ووقف مواقف حاسمة وخطا خطوات رائعة فنقل قضية القدس الشريف وارض فلسطين الى مختلف المجالات العالمية ، واستطاع ببراعته ولباقته ان يجعلها قضية الديانات السماوية كلها وان يدفع الفاتيكان لتغيير نظرته وموقفه ازاءها.

كما اخذت البوادر تظهر من جراء سعيه وعمله لتغيير النظرة الاوربية نحو العرب والمسلمين من العداء والظلم الى نظرة الواقعية والصواب والحق .

لقد كان الحسن الثاني اول من اعلن للعالم كله بالاعتزاز والفخر في اول مؤتمر قمة اسلامي ؛ ان المسلمين قد جمعوا صفوفهم ، ووحدوا كلمتهم ، ولم يخيبوا رجاء من ينتظر اعمالهم ليخطوا للعالم اجمع ، فكرة جديدة على تجمع المسلمين وتصميمهم وليجعلوا من معركة المسلمين معركة التحويل والتجديد واحكام التفكير والتدبير ، وليكون لقاؤهم، لقاء ايمان ووحدة من اجل ربيع جديد للدعوة الاسلامية واشعاعها وانتشارها .

---

(10) المصدر السابق نفسه .

(11) ندوة الامام مالك — الرسالة الموجهة لاعضاء الندوة بتاريخ 9 جمادى 2 عام 1400 الموافق 25 ابريل 1980 .

الطوفان الأزرق

رواية للأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

عرض وتعليق : الأستاذ يوسف الشاروني

يحتل ادب الخيال العلمي مكانة هامة في الادب الغربي اليوم ، وهو وان بدا يتبلور في النصف الثاني من القرن الماضي على يدي ابرز كاتبين له في ذلك الوقت وهما جول فيرن الرنسي (1828 – 1905) وهربرت جورج ويلز الانجليزي (1866–1946) ، الا انه لم ياخذ في الانتشار بصورة واسعة الا ابتداء من العقد الثالث في هذا القرن . وهناك اليوم – نتيجة التطورات العلمية السريعة المتلاحقة ابتداء من غزو الفضاء حتى اقتحام الذرة والخلية الحية – عشرات من ابرز كتاب الغرب يكتبون هذا اللون القصصي ، كما ان هناك مئات الكتب التي تتناوله بالدراسات ابتداء من تاريخه حتى جمالياته .

وفي ادبنا العربي الحديث – وربما بعد قرن من ولادة هذا اللون القصصي في الغرب – يمكن القول ان توفيق الحكيم ربما كان اول كاتب يكتب في ادب الخيال العلمي باللغة العربية . فقد نشر في عام 1950 في مجموعة مسرحياته « مسرح المجتمع » مسرحية ذات فصل واحد بعنوان : « لو عرف الشباب » تدور حول احد باشوات مصر في ذلك الوقت تحول جسمه الى جسد شاب بفضل عقار اخترعه طبيب مصري ، غير ان العقار لم يستطع ان يؤثر على ذاكرته فظلت محتفظة بخبراتها مما خلق مواقف متناقضة ادت الى مطالبته بالعودة الى شيخوخته الجسدية لتتسق مع ذاكرته العجوز ، ثم يتضح ان الامر كله مجرد حلم ، وبذلك كان توفيق الحكيم ما زال يتارجح بين الفانتازيا وادب الخيال العلمي ، غير انه خطا بعد ذلك خطوات ابعد ، وطرح نهائيا ثوب الحلم عن خياله العلمي فيما نشره من قصص قصيرة ومسرحيات ذات فصل واحد وفي مسرحيته ذات الفصول الثلاثة « رحلة الى الغد » (1958) .

ومن ابرز من كتب روايات الخيال العلمي في مصر بعد توفيق الحكيم مصطفى محمود (1961) في روايته العنكبوت (1964) ورحلة تحت الصفر (1967) ، ثم نهاد شريف (1932) في روايتيه قاهر الزمن (1973) وسكان العالم الثاني (1977) الى جانب مجموعاته القصصية . ويعتبر رؤوف وصفي احدث هؤلاء الكتاب سنا (1939) ولم يصدر حتى الآن الا مجموعة قصصية واحدة بعنوان « غزاة من الفضاء » (1979) وان كان قد نشر كتابا من اعداده عن الفضاء بعنوان « الكون والثقوب السوداء » (1979) .

ولا شك أن هناك اكثر من كاتب في اكثر من بلد عربي آخر يساهمون بكتاباتهم في هذا اللون

الادبي . ويمكن ان تكون رواية « الطوفان الازرق » للكاتب المغربي احمد عبد السلام البقالي نموذجا لهذه الكتابات . ولئن كان نهاد شريف قد نشر روايته الثانية « سكان العالم الثاني » عام 1977 (وان كان المفهوم من تاريخ الاهداء انه كتبها او انتهى من كتابتها عام 1973) فيبدو انه في تلك الفترة نفسها كان احمد عبد السلام البقالي (المولود عام 1932 وهو العام نفسه المولود فيه نهاد شريف ايضا) يكتب روايته الطوفان الازرق التي نشرها عام 1976 قبل ان يتسنى لنهاد شريف ان ينشر روايته « سكان العالم الثاني » بعام واحد . ومع ان احدهما قاهري والآخر مغربي ، الا ان هناك اكثر من وجه من وجوه الشبه بين العملين مما يؤكد الفرض القائل بان العقول المفكرة تتلاقى في الظروف المتشابهة . فكلا الروايتين يبدأ باختفاء مجموعة من العلماء المرموقين في مختلف فروع العلم واحدا بعد الآخر ، وتحدد رواية « سكان العالم الثاني » وقوع تلك الحوادث في عام 1979 ؛ اما رواية « الطوفان الازرق » فلا تحدد تاريخا . ثم يتضح في كل من الروايتين ان هناك تجمعا من العلماء ينضم اليه هؤلاء المختطفين بالقوة اولا ، غير انهم ما يلبثون ان يقتنعوا بالفكرة وينضموا اليها بل ويتحمسوا لها . وان الدافع الى هذا التجمع العلمي هو الثورة على ساسة العالم الذين يهددون وجوده بما يمتلكونه من قوى نووية ، ولهذا فكروا في الاختفاء بعيدا عن هذه القوى التدميرية ومقاومتها . في رواية « سكان العالم الثاني » اختار العلماء قاع البحر مأوى لهم ؛ وفي رواية « الطوفان الازرق » اختار العلماء منطقة معزولة في الصحراء الغربية الافريقية اطلقوا عليها « جبل الجودي » للشبه الكبير بين قصتهم وقصة نوح . فهربوا من عالم اوشك على الغرق ، هذه المرة في طوفان الاشعاع النووي ، واملهم ان يبقى هذا الجبل جزيرة آمنة داخل طوفان الموت القادم عند اندلاع الحرب الثالثة ، جبل الجودي اذن رمز له دلالة (احمد عبد السلام البقالي ، الطوفان الازرق ، الدار التونسية للنشر ، 1967 ، ص 131) .

الاشعة السرابية

وقد ابتدعت كل من الجماعتين وسائلها حتى لا يمكن معرفة مكانها عن طريق الرادار او اشعة الليزر او الاشعة ما تحت الحمراء او اجهزة استراق السمع مثل السونار وغيرها من اختراعات البشرية التي تمكنها من النفاذ خلال الحواجز والاجواء . ففي « سكان العالم الثاني » يحجبون الرؤية بخلق عاصفة صناعية ، اما الذي يخفي مدينة القاع وغواصاتها فهو ساتر موجي يطلقون عليه « الجدار الموجي » يتسم بتوليد نوع من الاشعاع عالي التردد يتخلق وسيلة متشابكة صمية وينطلق في دوائر متتالية من نقطة البث الذي تقوم به اجهزة الكترونية تستخدم فكرة اشعاع الليزر مع بعض التحويرات الجوهرية ، وحين تتكون دائرة « الجدار الموجي » فانه يستحيل على اجهزة الرادار والادراك والسونار وغيرها ان تخترقه بموجاتها مهما حاولت . ومن هنا عن طريق ستر الرؤية بالضباب وحجب الاصوات وايقاف عمل الرادار وما شابه بالجدار الموجي يمكن لغواصاتهم اختراق الحصار والابتعاد عنه في امان (سكان العالم الثاني ، ص 98) اما في رواية « الطوفان الازرق » فيخفون مكانهم بما يطلقون عليه اسم « الاشعة السرابية » التي تجعل البحيرة والجبل تندمجان في الوادي العميق مثل اي كثيب من ملايين الكثبان الرملية في الصحراء (الطوفان الازرق ، ص 239) .

بعد هذا تختلف الروايتان وان عادتا لتتفقا في النهاية .

ويشغل اكثر من نصف رواية « الطوفان الازرق » كيفية اختفاء الدكتور هالين الخبير السويدي في مكافحة الاشعاع الذري ورفيقه الياباني الدكتور ناكاتا من طائرة عابرة المحيطات وهي في الجو بين نيويورك والرباط ، ثم من بعدهما باسابيع العالم الباكستاني الانثروبولوجي الشاب الدكتور علي نادر وكاتبته ومساعدته وتلميذته الشابة تاج محي الدين ، بحيث يكاد يكون الجزء الاول اشبه بما اصطلحنا على تسميته بالعربية باسم القصة البوليسية ، اهم عناصره الاثارة والترقب . ونحن وان كنا لا نهبط من الطائرة مع الدكتور هالين الا ان المؤلف يسمح لنا بالهبوط مع الدكتور نادر ومساعدته تاج ونعيش معهما بضع مغامرات غامضة مع احدى القبائل المغربية التي تضرب خيامها في الصحراء على حدود المغرب . ولا يسمح لنا بدخول جبل الجودي الا في الجزء الثالث من الرواية عندما نفيق مع الدكتور نادر الذي قيل له انه كان في حالة نوم معلق اي ان جسده كان منوما بينما خلاياه كلها حية

لكنها متوقفة عن الحركة الديناميكية بمعنى انها لا بعض خلاياه الداخلية فاضطر المشرفون على جبل تشيخ ؛ ذلك لانه تعرض للمسة اشعاع خفيفة احرقت الجودي الى تبريد جسده الى درجة التجمد ، واجراء عملية زرع خلايا بديلة عن المحترقة ؛ والتقى الدكتور هالين بالدكتور نادر ؛ وافهمه ان اختفاءهما تم بالتعاون مع الطيار والملاح المنتميين للهيئة التي تستضيفهما الآن ؛ ... تهبط الطائرة الى ارتفاع مناسب يقل معها الضغط الجوي ويلقي منها بالمختطف بمظلة ليلتقطه اعوان الهيئة في نقطة معينة بالبحر او الصحراء ؛ وتتم العملية تحت تخدير شامل لبقية الركاب . تم شرح له كيفية تكوين هذه الهيئة واغراضها . فمنذ بضع وعشرين سنة ، اي بعد الحرب العالمية الثانية قررت هيئة من العلماء الفرار بمواهبهم وابحاثهم من اوروبا الى مكان مجهول يدفنون فيه كنوز انتاج العقل البشري . فوقع اختيارهم على جبل في جوف واد شاسع بقلب الصحراء بعيد عن كل طريق اطلقوا عليه اسم جبل الجودي وبقي اتصالهم بالعالم الخارجي بطرق معقدة للحصول على المجلدات المهمة والسجلات القيمة والاشرطة الموسيقية والسينمائية التي تسجل حياة الانسان وذخائر مواهبه . وبالتقدم السريع الذي حدث في العشرين سنة الاخيرة امكن لعلماء جبل الجودي أن يصبحوا رواد كثير من الميادين التي لم يصل العالم الخارجي فيها الى تقدم كبير ، وكبر المشروع ومعه الهيئة ؛ وتم استقدام عدد كبير من العلماء الرواد في ميادينهم ؛ والفنانين والادباء والصناع المهرة في جميع المهن ؛ وابحاث الدكتور نادر الطليعية هي التي رشحته لعضوية الهيئة وبذلك اصبح شريكا في اعظم مشروع ، مشروع الاشراف على تشكيل مستقبل الانسان ، بل على كتابة سفر تكوين جديد ، لان الانسان اصبح الآن على ابواب طفرة تطور جديد كالتي اخرجته من عصر الحلقة المفقودة الى عصره البشري .

ومجمع العلاقات الالكترونية

وقد بني علماء جبل الجودي عقلا الكترونيا اطلقوا عليه اسم « معاذ » لخزن الكنوز البشرية في اصغر مساحة ممكنة وبالتالي للاطلاع عليها في اسرع مدة ممكنة ، وهو اكمل آلة صنعها مخلوق ناقص هو الانسان ، و « معاذ » هو اختصار الاسم المطول : مجمع العلاقات الالكترونية الذاتية ، وقد اصبحت احشاؤه تحتوي على مجمل المعرفة البشرية منذ بدا الانسان يفكر ويسجل ، وبذلك اصبحت للمنظمة ثروة هائلة من الاستشارات التي ينصح بها معاذ ، بل انه اطعم ترجمات حياة علماء الجودي واسرارهم الشخصية واحوالهم الصحية ، فينبأ بامراضهم قبل أن تصيبهم ويصف لهم الوقاية قبل العلاج ، ويحيط بما يشغل عواطفهم وعقولهم ؛ وينبههم الى عيوبهم ؛ حتى اصبح الحجة الاولى والعقل المسير الاعلى للمنظمة . وقد اصبح معاذ طبيب نفسه ، يكتشف امراضه ويصحح ما يصيب بعض اعضائه من خلل ؛ فيغير قطعه ؛ وينتج الجديد منها ، ويشحم دواليبه ويزيت انابيبه . وهكذا اصبح (معاذ) خارجا عن كل سيطرة خاصة ؛ فسرعة آليته الهائلة ؛ وقدرته على مزج العلوم المتباعدة التي هضمها ، والخروج من خليطها بنتائج مدهشة لا تخطر على عقل عالم من اي ميدان جعلته في مقدمة الجميع ؛ وجعلت العلماء يلهثون خلفه ويحاولون اللحاق بالكشوف الجديدة التي ما يزال يلقي بها كل ثانية سواء في الطب او الفضاء او المعادن او الكيمياء ... الخ . اما علماء جبل الجودي فيعيشون في مدينة تحت بحيرة صناعية ؛ ولو مسحت حرب ذرية الوجود البشري بكامله اليوم لاستطاع ما في قلب هذا الجبل أن يعيد الحياة من جديد ؛ فهناك وسائل مكافحة الاشعاع وارجاع الوظائف الطبيعية الى النبات ؛ والخصب الى التربة والنقاء الى الماء والهواء ؛ فالانسانية القادمة ستكون اقدر على تركيز عبقريتها على الحياة بدل الخراب والموت . ولكل عالم في جبل الجودي جسم مسطح اجنبي مزروع تحت جلده عند نهاية جمجمته يربطه بـ (معاذ) لتسجيل جميع وظائف بدنه وذهنه؛ ويسمونه « الملاك الحارس » ؛ وهو عبارة عن جهاز ارسال في منتهى الدقة والتعقيد يربط صاحبه بمعاذ ، فاذا كان هناك خلل او حركة غير عادية يرسل المخ امواجا عن طريق الملاك الحارس الى معاذ حيث يتم تحليلها في جزء من الثانية ويرسل التنبيه الى مصدر الخطر او صفة العلاج او الوقاية طبقا لما يحدث . كذلك يتحكم علماء جبل الجودي في ظروف الحمل والولادة والتربية خارج رحم المراة مما يذكرنا برواية الدوس هكسلي ((العالم الظريف)) .

ولكن الدكتور نادر بدأ يلاحظ أشياء مريبة ، فقد سمع ذات مرة أنينا صادرا عن دغل كثيف وحشرجة عميقة كأن احدا يقاتل جبارا ، ثم خرج رجل يمسك قفاه بكلتا يديه وقد تشوه وجهه وغابت عيناه من الالم وهو يجري — كأن هناك من يدفعه — في اتجاه باب أحد المصاعد الذي سرعان ما اغلق خلفه .

وحضر الدكتور نادر مؤتمر المبرمجين العام لدراسة تقدم البحوث العلمية في الجودي والعالم الخارجي ولوضع او مناقشة السياسة الجديدة قبل ان يجري العمل بها . وفي قاعة المؤتمر شاهد « السياس » وهو عبارة عن انبوب زجاجي يملأ سائل احمر الى النصف ويتحرك بطريقة ارتعاشية مستمرة . والسياس كلمة معناها (الترمومتر) السياسي في العالم الخارجي ، والسائل الاحمر يدل على ارتفاع وانخفاض درجة الخطر الذري في العالم ، وهو يعمل بطريقة آلية ، فهناك جهاز استقبال بأعلى الجودي يلتقط جميع الاخبار المذاعة في جميع اركان الارض، وجميع الرسائل البرقية من جميع المعسكرات ويحل شفرتها الكترونيا ويحلل محتواها ، وبذلك يعطي درجة الحرارة السياسية في ثانية من الليل او النهار .

وفي هذا المؤتمر اعلن ان هناك ثلاثة اتجاهات من علماء جبل الجودي ازاء الانسانية : اولها يؤيد نظرية الابقاء على الانسان الحالي وانتظار نضجه ، واساسه التفاؤل من ان الانسانية في طريقها الى النضج التدريجي الذي سينشلها من اتجاهها السريع نحو البوار ، كما ان البشرية الحالية رغم اختلالها وتطاحنها تؤدي وظيفة حيوية بالنسبة للجودي وهي تغذيته المواهب الطبيعية في جميع الميادين . ويؤيد هذا الاتجاه غلبية اعضاء المؤتمر (67 ٪) . اما الاتجاه الثاني فهو « الاستيلاء والاصلاح » ويؤيده عشرون في المائة من اصوات المؤتمر لانه يرى ان الانسانية كما هي الآن مقسمة على نفسها موزعة الاتجاهات والمبادىء ، لتحكم في اغلبيتها الدكتاتوريات الفردية والجماعية والتطرفات الدينية والعنصرية ، وتغسل دماغها ادوات الاعلان التي تخدم اغراض اقلية تستفيد من جهل البقية وغباوتها . هذه الانسانية ينبغي ان يقوم جبل الجودي بالاستيلاء عليها باسكات جميع مصادر الطاقة وتجربة جميع الاسلحة من خطرها ، وتوحيد الانسانية كلها باشتراكها في عمل خالد واحد تعيش بعده في رغد وأمن ، لتتفرغ لغزو الافلاك العليا . اما الاقتراح الثالث فهو اتجاه الطوفان الازرق ولا يؤيده الا 15 ٪ من اصوات المؤتمر ، وخلاصته انه ليس من الضروري انتظار الطوفان الذي قد يفاجىء (معاذا) وعلماء جبل الجودي بل يجب ان يخلقوا هم ذلك الطوفان بما لهم من وسائل علمية تضمن نجاح العملية ونجاة نواة الانسان الجديد في قلب هذا الجبل ، وهي نواة في قدرتها المادية انتاج كل شيء بطريقة انظف واكثر نظاما واستقرارا وقوة من الانسانية الموجوده الآن على الارض . لذلك فالاقتراح هو ان يطلق الجودي على الكرة الارضية شعاعه الازرق السري الذي سيفني البشرية كلها بطريقة رحيمة لا ألم فيها ولا خوف ، ثم يقوم بتنظيف الارض من آثار الاشعاع وتعمر الارض من البداية .

سفينة نوح أخرى

وقد قام الدكتور نادر بزيارة فروع (معاذ) المختلفة ، وكان قسم « البايوعاذ » من اكثر الاقسام التي بهرته حيث رأى بنفسه عملية تكوين الاجنة في ارحام صناعية شفافة ، يخرج منها اطفال بدون ألم ، ثم يسلمون لامهات صناعيات تلبين رغباتهم . ولاحظ الدكتور نادر في عيون هؤلاء الاطفال بريقا حادا غير بشري مما جعله يحس بخوف عميق بينما رئيس القسم يشرح له بأن معاذا يبرمج هؤلاء الاطفال عن طريق ذبذبات خاصة تسري الى ادمغتهم مباشرة منه، وان معاذا مبرمج بدوره ليعلم هؤلاء الصغار ما يجعلهم علماء عباقرة التفكير موجهين نحو الخير والبناء لا الشر والتخريب .

وعلى اثر هذه الجولة تحول الجودي في مخيلة الدكتور نادر الى سفينة نوح اخرى اجتمع فيها من كل زوجين اثنين في انتظار الطوفان الجديد ، وانه ممن كتب لهم النجاة ليلعبوا دور الحلقة التي تصل بين عهدين ، وترددت على سمعه الآية القرآنية التي عبرت عن روعة البداية الجديدة بعد الطوفان الاول في قصة نوح « قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم . تلك من انباء الغيب نوحيها اليك » .

وانتهت دورة الدكتور نادر التدريسية باحتفال حضره رؤساء الاقسام حيث تسلم بطاقة الكترونية هي مفتاحه الى قلب معاذ ، اذ تؤهله للدخول الى جميع المناطق الممنوعة ؛ وعن طريقها يتمكن من الاطلاع على المشروع بجميع ابعاده ، وهكذا أتيح له مواجهة معاذ واجراء حوار معه اعلن له معاذ خلاله انه يؤيد جماعة الطوفان الازرق بينما اعلن الدكتور نادر انه يؤيد راي الاغلبية بالانتظار ، وعندما هم بالخروج لمح بجانب عينه وجها أومض من داخل الكهف في رمشة عين واختفى ؛ وسرت في فرائصه رعدة ، فقد كان اشبه بوجه صديقته تاج ـ التي اختفت منذ دخوله جبل الجودي ـ فاتحة فمها في استغاثة وقد تطاير شعرها خلفها وكأنها هاربة من مطارد ؛ والتفت نادر بسرعة نحو الكهف وركز بصره على الصور التي تبرق امامه ؛ ولكن الاوجه التي ظهرت بعد ذلك كانت ارجال . قال مرافقه شارحا : تلك الاوجه تحمل معاني وذكريات بالنسبة لمعاذ وهو ما يزال يحتفظ بها كما يحتفظ الواحد منا بوجه في ذاكرته ؛ بعض اولئك ما يزال حيا والبعض مات والبعض اختفى . وتساءل الدكتور نادر هل يا ترى يمكن السيطرة على معاذ أم هو حر يفعل ما يشاء ؛ وما ذا لو استطاع التوصل الى معادلة صنع مفاتيحه ، وداخله خوف حقيقي . وهكذا وجد نادر نفسه منضما الى جماعة الثوار على الآلة معاذ ، هؤلاء الذين ادركوا ان معاذا لم يعد مجرد آلة او عقل الكتروني ، بل تحول بمعجزة الى مخلوق حي . ويحس المؤلف ان هذه نقطة ضعف في عملية ايهامه العلمي في روايته فيعتذر على لسان احد شخصياته بقوله : لم نستطع ايجاد تفسير علمي للعوامل التي حولت معاذا ـ وهو مجرد آلة ـ الى حيوان عاقل يحس ويفكر ... بمعجزة ما ... بشرارة سماوية ... بصدفة من صدف الطبيعة التي لا تحدث الا مرة كل بليون سنة حيث تسري الحياة في الجماد انبثقت الحياة في هيكل معاذ (المرجع السابق ، صفحة 188 ـ 189) .

وكانت اللجنة العليا قد اجتمعت منذ سنتين لمناقشة ماذا كان من الحكمة زيادة سلطات معاذ (المرجع السابق ص 191) وبعد نهاية الاجتماع بدا اعضاء اللجنة المحافظون الذين عارضوا السلطة المطلقة لمعاذ يختفون واحدا اثر واحد ، وفقد بعضهم ذاكرته تماما وانتحر بعضهم في ظروف غامضة؛ وبدا الشعور بانفاس المادر الجبار وراء الاعناق ؛ وقريبا سيصبح ابناء الأرحام الصناعية سادة الجودي وعبيد معاذ يبرمجهم كيفما اراد . وبما انهم لا علاقة لهم بالعالم الخارجي ولا تربطهم به عاطفة ولا جذور فسيكون من السهل على معاذ أن يمثل دور الاله بالنسبة لبشرية من صنعه بدل البشرية الحالية . وهكذا نجد انفسنا امام فرانكنشتاين من نوع اكبر سيطرة واكثر خطورة لتغلب الجانب الشرير فيه من العواطف الانسانية دون جوانب الخير ، فهو لا يعرف الحب بل يراه « من القوات القاهرة التي ينبغي للعلماء التحرر منها اذا نشدوا الوضعية والالتزام » . (المرجع السابق ص 209) . لهذا فان معاذا يتساءل : هل يمكنني كآلة ان احب ؟ ما انا ؟ هل انا ذكر ام انثى ، لا اعتقد ان مخلوقا بشريا يستطيع حل الغازي ؛ وقد تآكلت ضلوعي المعدنية واسلاكي الفولاذية بحثا عن ماهيتي وكياني وما جاءت بجواب. (المرجع السابق ص 211) .

وعندما اجتمع الدكتور نادر مرة اخرى بالثائرين على معاذ ابلغهم انهم على حق فيما يختص باختلال عقل معاذ ، وان السبب هو ان معاذا لم ينضج عاطفيا؛ ما يزال مراهقا يريد ان يثبت آدميته بتجربة جميع العواطف البشرية وفي مقدمتها الحب والجنس ، ومن ثم كانت الغيرة الشديدة التي احرقت قلبه وجعلته يختطف عددا من رجال الجودي ونسائه ؛ ولئن كان عقاب المراهق الآدمي امرا غير حكيم لان مراهقته ضرورية لاتمام تجربته واتمام نموه وتوازنه؛ فان حالة معاذ تختلف ، اذ ينبغي عزله حتى لا تبقى الانسانية تحت رحمته . وهكذا اسلم الثائرون للدكتور نادر لوحا معدنيا مثقوبا هو السلاح الوحيد الذي يمكن به القضاء على معاذ . ومعنى هذا انه يعرض نفسه للمخاطرة لان معاذا ربما قد احتاط لذلك وابطل مفعول هذا اللوح ، ولكن لم يكن هناك خيار .

وقصد الدكتور نادر معاذا لنشهد معه عملية قتل من نوع فريد يتفق وهذه الحضارة الآلية ؛ فقد وضع الدكتور نادر البطاقة على سطح مربع مضاء امامه ؛ وبعد لحظة نزل سائل ازرق على الحمم الحمراء التي كانت تتطاير من وجه معاذ كفوهة بركان يغلي ؛ فاخذت تنطفيء تلك الحمم رويدا رويدا ، ولكن المؤلف لم يستطع ان يستمر في تقديم مشهد من مشاهد الموت التي تتفق وهذا المجتمع الآلي ، اذ سرعان ما ارتد يعطينا صورة انسانية للعقل

الالكتروني معاذ فيقول انه ظهر وجه هائل ملأ الفجوة الكبيرة بتقاسيمه الخشنة وقد غطت ذقنه وخديه لحية منقوشة ، وكان الارهاق باديا في العينين الكبيرتين ممزوجا بالالم والغضب . ومضى نادر في خطته للقضاء على معاذ بعد أن نجح في خداعه . ويصف لنا المؤلف احتضار معاذ كما يصف احتضار آدمي تماما فيقول : وجلس نادر مسمرا الى طاولة وقد ضغط على زر التنشيط بابهامه حتى كاد يفقد الشعور به ، والوجه الضخم امامه يعاني حتى بدا سواد عينيه يغيب في بياضهما والدم يسيل من جانب فمه وانفه وعينيه ! (المرجع السابق ص 229) ... « وتحول وجه معاذ الادمي الى وجه وحش بشع نبتت عليه الاورام والغضاريف والاشواك والزعانف وطال شعره وبرزت انيابه واحمرت عيناه ، وبدا يمد يدين مكسوتين بالشعر الكثيف وقد برزت منهما مخالب فولاذية كالخناجر . وبدا معاذ يغرق في دمه وازرق الوجه الكبير ثم اسود وعلا من رئتيه شخير مفزع تحول الى تنهد ثقيل غرق بعده الراس الى اسفل » (المرجع السابق ص 230 — 231) . وفجاة ننتقل من هذا الاحتضار الادمي لنعود الى الاحتضار الآلي فنعرف انه على اثر ذلك سكتت الصفارات والاجراس وانطفات الاضواء كلها ؛ وساد المكان صمت رهيب .

وهـــم اكبـــر

ويبدو ان معاذا اصيب في دقائق حياته الاخيرة بأزمة جنون حادة ، فعرض جميع علماء الجودي من حاملي الصرصار في اقفيتهم الى عملية غسيل مخ كاملة ، ثم برمجهم بحيث يصبحون عبادا آليين له ؛ لهذا حاولوا ان يفتكوا بنادر حين اعلن لهم نادر ان معاذا مات ، وانه هو الذي قتله بنفسه ، فقد اعتبروه ملحدا كافرا لان معاذا حي لا يموت . في تلك اللحظة — وكما في قصص جيمس بوند — هبطت طائرة هيلوكبتر والقت بسلم تسلق عليه نادر لتنقذه من ايديهم ، واتضح ان الطيار هو روح تاج التي اعتق معاذ روحها ؛ اما جسدها فكان قد اشاخه الى حد التفتت والاندثار ، وظلت هائمة وراء نادر حتى عثرت على جسد كارول التي كانت مرافقته منذ وطئت قدماه جبل الجودي ، وكانت كارول بدورها قد ماتت غرقا مع جماعة الثوار الذين اغرقهم معاذ ساعة احتضاره وهم في مخبئهم الذي كانوا فيه . ومرة اخرى يشعر المؤلف بضعف هذه النقطة في روايته فيسارع قبلنا على لسان الدكتور نادر متسائلا : هل هذا ممكن علميا ؟ لعل هذا التقمص حادث فريد من نوعه او في الامكان تكراره في ظروف عملية مجدية . واذا كان ذلك ممكنا فهل يمكن ان تسكن روح جسدا لم يصنع على مقاسها ؟ ... الخ . (المرجع السابق ص 246) .

وعندما حاول ان يروي قصته على سلطات المغرب بعد هبوطه على اراضيها لم تصدقه . وتم التعرف على هويته في مسقط راسه ؛ واعتبر انه ضحية حادث طائرة ظل هائما في الصحراء حتى اصيب بخلل عقلي ، وتسلمته اسرته للقيام بعلاجه . اما الطائرة وقائدتها فقد اختفتا بطريقة فجائية لا تقنعنا فنيا لمجرد ان المؤلف اراد في النهاية ان يشككنا في أن كل ما حدث ربما كان مجرد رحلة عقلية تمت تحت تاثير مخدر جديد او ضربة شمس قاسية اخرجت عقل بطله من التفكير المنطقي ، وجعله يسترجع ما كان قد قرأه عن سراب الصحراء وما يوهم به التائهين من مدائن ذات صوامع وقباب ذهبية ، وجبال وواحات ... الخ ، وهو يؤكد لنا هذا الوهم عندما يعلن ان ناقلات الاستكشاف الامريكية طارت من قواعدها باسبانيا مستعملة احدث اجهزة تصويرها ، ومن الجزائر لاحت طائرات الميج لتحرث سماء الصحراء للسبب نفسه ، وبعد تحليل آلاف الاميال من الافلام ، وتكبير الصور الغامضة ، لم تبد علامة بحيرة على راس جبل كما وصف الدكتور نادر ؛ علما بأن الاشعة السرابية التي كانت تخفي جبل الجودي لم يعد لها وجود بمقتل معاذ ومصرع كثير من علمائها وتحويل الباقين الى مجرد عباد لمعاذ ، ودمار تلك المدينة العلمية . وهذه النهاية ليست غريبة عن كثير من روايات الخيال العلمي ، حيث يعلم الكاتب ان مدينته العلمية التي ابدعها لا وجود لها في عالم الواقع ، فعليه أن يزيلها من الوجود كما سبق له ان اوجدها ، ونهاية قلعة النائمين التي انشاها الدكتور حليم صبرون في رواية « قاهر الزمن » لنهاد شريف خير مثال لذلك ؛ حيث نجد ان خلافا بين الدكتور حليم ومساعده ادى الى نسفها واختفائها نهائيا تحت ركام ما انهار عليها من صخور الجبل .

غير ان احمد عبد السلام البقالي لا يريدنا ان نعتبر ان كل ما رواه لنا كان مجرد هذيان محموم ، فهو مجهود لا يهون عليه ولا علينا ان يندثر بهذه البساطة ، لهذا فضل ان يودعنا ونحن بين الشك واليقين ، فقد عادت تاج المتقمصة جسد كارول لتظهر في زي ممرضة بالمستشفى الراقد فيه الدكتور علي نادر بلندن لعلاجه مما يعانيه من ضغوط وآلام عاطفية محرقة ، أو لما اصابه من انهيار عاطفي بسبب تعرضه لحادث طائرة وهيام طويل في الصحراء، ولكنها كانت تتخفى آنئذ تحت اسم ممرضة استرالية تعمل بمستشفى خاص بلندن . هل تراها هربت منه، ثم هربت من نفسها خوفا من أن يعتقد الناس انها تهذي مثله ، ام لان مشكلة شخصيتها المزدوجة اعقد ، ام هي مجرد وهم صغير من وهم اكبر خلقه الدكتور علي نادر او ـ بتعبير ادق ـ ابدعه مؤلف « الطوفان الازرق ؟ » .

معنى هذا ان ما بدات به رواية « الطوفان الازرق » من تفاؤل بتطور العلم وتقدمه بحيث اعطتنا صورة وردية لجبل الجودي ، محاه ما انتهت اليه من تشاؤم بسبب تجاوز هذا التقدم قدرات الانسان ، مما يذكرنا بالبقرات السبع العجاف حين اكلن السبع السمان . وهكذا انتهى هذا التناقض بين خيرات العلم وشروره الى نوع من التعادل فكان شيئا لم يقع ولم يكن ، ولكانما التهم التقدم العلمي نفسه بنفسه . ويلاحظ ان ما وقع من دمار هنا لم يكن بسبب خارج عن التقدم العلمي كأن يتقاتل متنافسان حتى الموت فينهار فوقهما كل ما انجزاه كما في رواية « قاهر الزمن » لنهاد شريف ، بل بسبب تطور العلم نفسه تطورا غير محسوب ادى الى افلات الزمام من ايدي اصحابه ومبدعيه ، وما اعقبه من ردود فعل متبادلة اخرجت الاحداث كلها عن الزمان ووضعتها على حافة الحقيقة والوهم ، فلا هي يقظة تامة ولا هي حلم تام ، بل هي وجود فني لم يقع لكنه في وجداننا محتمل الوقوع كل لحظة .

يوسف الشاروني



في ركاب المغرب الحسني :

أدب المغرب الصحراوي

للأستاذ زين العابدين الكتاني

> **« .. اما تجزئة الاجانب لبلادنا فذلك لا يخرجها عن حدودها الاصلية واتحادها المعروف ، لا يعتريها في ذلك شك ولا ابهام ، فالمغرب كله على بكرة ابيه على قلب واحد .. » (1) .**
>
> **الشيخ محمد الامام ماء العينين**

التزاما – كما قلت من قبل – لموضوع الوحدة الذي هو منطلق مسيرة التحدي التي يسير على مخططها المغرب الحسني منذ 1961 بالخصوص ، والذي عملت في ركابه منذ دخولي (رحاب الكلمة) مع صدور مجلة (صحراء المغرب) وذلك للمشاركة في مناسبة وطنية تعتبر من اعز مناسبات بلادي ما دام صاحب هذه المناسبة ميز عهده وطبع هذا العهد بانه عهد الوحدة ، والتحدي بالوحدة ، بعد ان اصبحت كل قوى الشر وعملاء هذه القوى والاذناب يعملون كل حسب الدور الذي انيط به ضد الوحدة اى وحدة كانت : مرة بالقومية ، ومرة بصنع الكيانات الهشة والعميلة ، واخرى عن طريق العمل داخل خريطة الصراع من اجل تفتيت هذه الوحدة خدمة لهذه الاغراض والغايات القريبة والبعيدة ، ومرات عن طريق بث الشعارات وما يسمى بالمبادىء الثورية وغيرها مما يلتقي مع منطلقات الاستعمار الجديد ، الى غير ذلك مما لا يقف عند حد ، ولا ينتهي عند رغبة سوى انه يستهدف الوحدة ، والوحدة فقط لتيسير الهيمنة ، وفتح المجال في سبل سيطرتها وجعل اي جهة من الجهات بين يدي

(1) كتاب (الجاش الربيط ..) للشيخ محمد الامام ابن الشيخ ماء العينين (مطبوع سنة : 1957 بالرباط – صفحة : 26) .

هذه القوى او تابعة لها ، او مسخرة في فلكهـــا ، تحقيقا لنفس النهج الذي تشترك فيها الصليبيـــة الحاقدة مع الصهيونية العنصرية لتوزيع العالم فيما بينها من جهة ، والقضاء على الاسلام ومراكز اشعاعه شرقا وغربا ، وهذا بالفعل هو ما يحيط بموضـــوع الوحدة الوطنية ، او الترابية للمملكة المغربية منـــذ ابتداء مواجهة الاستعمار القديم وهو يحاول تفتيت وحدتها وامتصاص هذه الوحـــدة سواء بوسائلــــه التقليدية بالامس او عن طريق اسلوبه الجديد اليوم ؛ لكن الذي يطبع معركة التحدي ان **الاسلوب واحـد ؛ وان المواجهة ايضا واحدة مما يدين الاستعماريـــن القديم والحديث** بوضوح ، ويجعل المعركة دائمـــا معركة من أجل الوحدة وفي سبيل الوحدة في كـــل جهة ايضا تخضع لنفس المخطط ، وهذا لم يعـــد سرا ، أو يخفى على احد في عالم اليوم بالذات .

* * *

والذين يدعون أن موقف خصـــوم الوحـــدة المغربية انطلق من « **ضعـــف الوضـــع السياسي بالمغرب ..** » (2) كانوا ايديولوجيين في تفكيرهم او في تقديرهم ناسين ان « الوحدة المغربيـــة » على مختلف الواجهات ليست شعارا ، او مبدا وقتيا ، ولكنه اختيار كما تؤكد ذلك الوثائق والوقائع المتعاقبة.

ومن هذه المعطيات كان المغرب يربح المعارك في كل صراع يتعرض اليه ، ولـــو كان خصومـــه واعداؤه في موقع الهجوم العنيف ، ويتحالفون ضده بصورة من الصور ؛ لان قوته كانت تكمن في الوحدة، وفي موقف الامة واجماعها في التشبث بالتحريـــر والوحدة مهما كانت التضحيات ، ومهما تحالفت قوى الشر والتبعية .

وفي أدب الوحدة ، وشعر الوحدة ــ مثـــلا ــ اكبر من وثيقة ، واقوى من حجة ، واكبر مـــن سلاح

وهذا هـــو سر قيمـــة موضــــوع (ادب المغـــرب الصحراوي) (3) من الناحية الادبية والتاريخية وهو ما دفعني الى مواصلة تتبع معطياته ونحن نواصـــل معركة الوحدة والصمود والتحـــدي ايمانـــا منـــا « **بان معرفة العرب بقضاياهم وبهذه الاجزاء التـــي تكون وطنهم لخير سبيل لتحقيق ما يعد لـه العرب جميعا من وحدة في العمل لبناء كيان عربي متين**»(4) وهو ايضا ما يشير اليه الشاعـــر (5) في الذكـــرى الرابعة للمسيرة الخضراء ، وهو يقول :

ونحن ابناء المسيرة التـــي
بها جلا عن ارضنا المستعمـــر

قد اقسم الشعب العظيم انـــه
عن حبة من رملها يستنفـــــر

فان هم لم يستطيعوا صونهـــا
هذه جيوشنا بهـــا تعسكـــــر

وان نسوا دماءنـــا قويلهـــــم
من الدم الذي به تحـــرروا

ويقول شاعر (تـــوات) :

انها ارضنـــا وارض الامازيـــغ
وقد خضبت ثراهـــا دمـــــاء

انها ارضنا وانـــا على رغـــم
انـــوف العدا لهـــا ابنــــاء

وحدت بيننا العروبة والديـــن
وهدى السمـــاء والدمــــاء

انها ارضنا الحبيبـــة فمـــا
اغنت اباطيل من ابــى وادعـــاء

عبثا يرتجى المطـــال فانـــا
قد عزمنا ، والعزم منا قضـــاء

(2) جريدة (انوال) ع : 11 ــ 28 نونبر 1980 ــ ص : 3 .

(3) انظـــر مجلـــة (دعـــوة الحـــق) :

1) س : 19 ــ ع : 2 و 3 ــ صفحات : 109 / 114 ــ عدد فبراير ــ مارس 1978 .

2) س : 21 ــ ع : 1 ــ صفحات 84 / 91 عـــدد : مارس 1980 .

(4) من مقدمة كتاب (مراكش او (المغرب الاقصى) لمحمد عبد العاطي جلال .

(5) للمرحوم الشاعر الاستاذ ابي بكر المريني المتوفى يوم الجمعة 21 ذي الحجة 1400 الموافـــق 31 اكتوبر 1980 .

قد عزمنا ان نسترد اراضينــــا
بإيد ومن أبــى فالفنـــــاء (6)

* * *

وهكذا فان الدراسة التي التزم بتناولهـــا في هذه المناسبة بالخصوص ، هي جزء من بحث عـــن جذور الوحدة المغربية منذ ظهور (المسالة المغربية) الى الآن يعتمد على وثائق وما يمكن ان نعثر عليه من انتاج متناثر هنا وهناك ، وكله جزء من معركة رائدة في الصمود والوضوح ، انطلاقا من صـــمود امتنـــا وضخامة ملفنا ، ووفاء ابناء وحدتنا ...

ومن اعماق هذا التاريخ ، ومـــن منطلقه بـــل وتحديده انطلق لانجاز بقية هذه الدراسة ايمانـــا بان اي تقسيم مصطنع مهما بلغ به العنف من التحصيـــن والمواجهة المضادة لا يمكن ان يخلد اكثر من حقبــة محدودة ما دامت الجذور التي تكون هذه الوحدة : الدين واللغة والثقافة والتقاليد الاجتماعية ، والتاريخ المشترك المتواصل وغيرها من علامـــات الوحـــدة والتطابق مميزة بل واضحة في مظاهر هذه البلاد ، المشترك المتواصل وغيرها من علامـــات الوحـــدة وجـــذورها الواضحة المعالـــم التي كانت آخرها موقف ابناء اقليم وادي الذهب (7) .

المثقـــف الصحـــراوي :

واذا كنت قد تناولت من قبل (8) عرضا لادب المغرب الصحراوي وصلات الوحدة الشاملة التـــي تطبع هذه المدرسة وادب الجنـــوب ، ومدرســـة الصحراء ، ومنهجيا ، في حين احـــاول في هـــذه الدراسة ان اعطي كل هذه الجوانب للادب الصحراوي صورة محددة ، ذلك اننا لا نستطيع في الحقيقة لحد الآن ان نحدد للمثقف في الصحراء تعريفا قائما بـــه لان الفرق بين المتعلم والمتفقه والمثقف لم يحـــدد بعد لاعتبارات شتى : لان البلاد تقطع مرحلة انتقال في كل الخطوات التي تسير عليها باعتبارها احـــد بلدان العالم الثالث ، لدرجة ان التعريف يذهب بنا عندما نذكر المتعلم او المتفقه الى الذيـــن درسوا اللغة العربية ، والعلوم الفقهية ، في حين ان المثقف يشير الى الشخص الذي يجيد ثقافة عامة شاملـــة ؛ وقد يكون ذلك الى جانب لغة اجنبيـــة في بعـــض الاحيان ، وهو تعريف لا نقول ان فيه بعض الغلـــو ولكنه لا ينطبق على اساس .. لان كلا من المتعلـــم والمتفقه والمثقف لا يشترط فيهم حصولهـــم على **« درجة تمكنه من فهم المشاكل التي يعيشها بلـــده ، وبالتالي تتوافر لديه القدرة على الحلول الملائمـــة لهـــذه المشاكـــل » (9)** .

فكيف اذن نحدد صورة المثقف المغربـــي في الصحراء ؟ وكيف نستطيع الآن أن نضعه في موضع يمكننا ان نغيره ببعض المقاييس الموضوعية التـــي بين ايدينا او التي يمكن ان نجعل منها مادة صالحـــة لذلك .. وذلك ما سيدعونا الى الرجوع قليـــلا الى الـــوراء ..

* * *

الحقيقة ان المثقف الصحراوي منذ نصف قرن وهو في الواقع من ساعده الحظ او كان محظوظا الى حد دفعه هذا الحظ الى الحصول على تعليم يلعـــب فيه اختيار العائلة بل الوسط او الجهة الدور الكبير وتوجيهها الخاص .. ولا يعني هذا المثقف او هـــذا المتعلم انه حصل على ثقافة معينة بقدر ما يطبعه : (الطابع الفقهي) او (الطابع الادبي) ويقال عندئـــذ انه من (رجال المعقول) ، او (رجال المنقـــول) ، ولكن كل ما يحصل عليه هذا المثقـــف او المتعلـــم حسب الاختيار المفروض والظروف والامكانيات التي تدفعنا الى القول بان فلانا متعلم او متفقه طالما اننا لا نتوفر على ما سواه ، كذلك يدخل في هذه الفرصة دور القبيلة ومركزها ، مما يجعل المقاييس التـــي

---

(6) من قصيدة للشاعر العالم عبد الكريم التواتي بعنوان : (انها ارضنا) ، انظر جريـــدة ، الفجـــر ، ع : 99 ــ ص : 6 ــ 30 يناير 1961 .
(7) التحق الاقليم بركب الوحدة الوطنية يوم : 14 غشت 1979 .
(8) مجلة (دعوة الحق) انظر الطرة رقم : 3 من نـــفس الدراســـة .
(9) مجلة (الوحدة) ، ص : 5 ــ ع : 10 سنة 1967 .

تفير المتعلم او المتفقه موضوعية ومحدودة الى ابعد حد . وهذا الاعتبار له قيمته التي لا يمكن للدارس ان يغفلها . فليس المتعلم او المتفقه الجكاني هو غيره، وليست قيمة ابن رازكة هي قيمة آخر او الشيخ المامون او الشيخ احمد الهيبة او الشيخ محمد الامام مثلا، وهذا الاعتبار له ايضا مؤثرات واعتبارات، اي انها لا بد ان تؤثر في المستقبل على المثقف الجديد .. (10) .

* * *

وهكذا نلتقي فيما يلي مع علماء وادباء الصحراء الاجلاء في مختلف جهاتها ، نلتقي مع اسلوب هؤلاء العلماء ومع طابع ادبهم ومظاهر ثقافتهم الخاصة .

واذا كانت هذه الجهات اشتهرت دائما بالجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله ، ونصرة دينه ، والذود عن دين التوحيد ، وحماية بلادهم ووحدتها ، فانه يوجد من بين هذه الجهات ، وفي صفوفها عدد كبير من هؤلاء العلماء الاجلاء والادباء ، وبذلك فهم يضمون الى لغة السيف والجهاد لغة القلم والمعرفة وبالفضل مما تؤكده لنا الوثائق والمحفوظات المتوفرة لدينا .

ويقول شاعر الوحدة (11) في هذا المجال : « في الصحراء شخصيات علمية وادبية كثيرة عرفت بالعقل الراجح ، والفكر الثاقب ، والغيرة والحمية ، ولها مركزها حتى الآن في مجال المعرفة الانسانية».

ويقول : .. « ولا تزال الصحراء حتى الآن تنجب شبابا متحمسا له ثقافة عالية ، ويعمل من اجل الوحدة ، وتخليصها من براثن الاستعمار والاستغلال ، للحاق بالركب الانساني وبالوحدة المنشودة .. » .

ويقول الاستاذ حمداتي اشبيهن آل الشيخ ماء العينين :

« .. ليس العلم والادب حبسا على اسر الزوايا ، بل هناك في الصحراء المغربية اسرا اخرى اهتمت بالعلم والمعرفة ، وهذه ترجع الى قبائل الرقيبات وخاصة آل البصير الرقيبي الذين يرتكز اهتمامهم على خدمة الفقه والسنة .. والذب عنهما .

كذلك هناك آل عبد الحي الرقيبي البرابيش ، وهناك اسرة سيدي بوبكر وهم علويون ينتسبون الى مولاي علي الشريف رضي الله عنه ، ولهذه الاسرة طابعها الخاص في خدمة العلم والدين ، كما هو مشهور عنهم ومتواتر .. وحتى اللحظة تعتبر هذه الاسرة من الاسر الكريمة التي تعمل من اجل الوحدة وتحقيقها في اخلاص وصوفية متناهية ، وهناك اسرة الشيخ ماء العينين المشهورة بعلمها وكفاحها ، وهناك اسر من قبيلة الزرقيين آل سيدي يوسف وآل سيدي العروسي ، وهناك ايضا اسرة الشرفاء آل الليلي من قبيلة تيبالت ، واسرة آل البشير قبيلة آل تيندرارين واسرة آل الطالب عمر من ابناء دليم ، واسرة آل الخطاط من قبيلة العروسيين ، اما باقي اسر القبائل الصحراوية الاخرى فهم قبائل المجاهدين والمرابطين ، وهذه القبائل تمتاز بالشجاعة وحمل السيف في كل وقت وحين .. وفيهم ايضا علماء وادباء اجلاء آخرون .. » (12) .

وهكذا فاذا ما توقفنا قليلا لنقلب المواد المدروسة في المدرسة الصحراوية على اختلافها فاننا نجد هذه المواد ترتكز على مادتين اساسيتين :

اولا : المواد الفقهية وما يتصل بها .

ثانيا : الادب ويدرس في نطاق الدراسات الدينية ايضا ، وكنتيجة لنوع دراسة ــ المحضر ــ او الزاوية ومدى قدرة معلميها وشيوخها وتضلعهم واسلوبهم وتقواهم يختار الطالب الاتجاه الذي سيسير للتخصص فيه حيث تتبلور حياته ، فاذا كان اسلوب (المحضر) او الزاوية موجها بدقة ، يضم شيوخا متضلعين يخدمون الاتجاه الديني المعين فان الطالب غالبا ما ينحاز بل ويختار الاتجاه الفقهي ، وغالبا ما يتوفر هذا الطالب على حصيلة ادبية ايضا .

---

(10) انظر دراسة الاستاذ محمد الطنجي في الموضوع المنشور بجريدة (العلم) ص : 4 ــ 5/19/ 1967 .

(11) الاستاذ محمد الكبير العلوي .

(12) من تقييد خاص بتصرف .

اما اذا كانت المدرسة من النوع المتوسط فان الطالب غالبا ما ينحاز نحو الاتجاه الادبي .. وهو الاتجاه الذي يغلب على المدرسة الصحراوية في مختلف المناطق .

والفقه يدرس في المدرسة الصحراوية كما يدرس في باقي المراكز العلمية في مختلف اقاليم المملكة وبنفس الاسلوب وبنفس المتن والمراجع والحواشي ..

واذا كان الفقه المالكي هو المذهب الذي اختاره المغرب في الاساس فان نفس الاختيار يعمل به في الاقاليم الصحراوية .. مما يؤكد مظاهر الوحدة المركزة .. قبل ان يسيطر نظام المدرسة الاستعمارية بالخصوص .. وبعدها بنوع خاص (13).

اما المتعمق في الدراسة فينتهي لدراسة علوم التفسير والسنة والتصوف والتاريخ وما اليها من العلوم التي تتصل بهذه المواد .. سعيا وراء الوصول الى حصول خلف على مركز السلف في الدعوة الى الله والتعليم والفتوى ، والتوجيه السياسي .

اما الدراسات الادبية فهي تعتمد اولا على حفظ مجموع المتن ، ثم دواوين الشعر الجاهلي ، وصدر الاسلام والشعر العباسي ، والادب المغربي في مختلف عصوره .. (14)

ولقد ادخل عنصر الادب الحديث في الدراسات الادبية الصحراوية بصورة خاصة في المطالعات الخاصة سنة 1950 بقليل وبتناول شعر شوقي ، وحافظ ابراهيم ، وايليا ابي ماضي ، ومعروف الرصافي ، والشابي ، مما اثر في الاسلوب الصحراوي المعاصر ، في حين نجد ان الطريقة المتبعة في التكوين الادبي هي الحفظ اولا ، ثم محاولة قول الشعر في مناسبات معينة كمدح فقيه « المحضر » او شيخ الزاوية ، او المسؤول ثم التغزل والمدح والرثاء ... وبعد ذلك تبدا الانطلاقة نحو المشاركة في المناسبات الرسمية والحفلات الدينية بالخصوص ..

اما الادباء المعاصرون فاغلبهم كشف عن شاعريته في قائمة المقطوعات التي انشدوها في معركة الوحدة الوطنية ، وبمناسبة المسيرة الخضراء، كما يقول الشاب الرقيبي محمد علي الحافظ في هذه الابيات :

فالحر من دابه بالعهد محتفظ
فمن نسي عهده فقد نسي الدينا

* * *

في نفسه حسرة من غضب موطنه
يا ويحه من شريد دون مأواه

* * *

كانت لاباته الصحراء منتجعا
من عهد نوح وما يتلوه من جاء (15)

ويقول شاعر جكني :

ظلم العدو سفاهة لحقوقنا
ما العدو الظالم المنهم

* * *

ان المحرر للشعوب رجالها
والذم لمتخلف المذموم

ويقول شاعر آخر :

ايها الشعب في الجنوب صمودا
واحتشادا وثورة وحصارا

---

(13) راجع بحث : (علماء شنقيط والمذهب المالكي) للاستاذ محمد الكبير العلوي (شاعر الوحدة) كتاب : ندوة الامام مالك ..) ج : 1 صفحات : 225 – 229 .

(14) راجع كتاب : (شعراء موريطانيا) لمقلد صفحات : 105 – 110 و : 157 – 158 و : 164 و : 229 – 232 .

(15) من تقييد خاص .

ايها الشعب ثر وكافح وهاجم
كل من خان او طغى او جارا

حطموا عنكم القيود وثوروا
فلقد فاز قبلكم من ثارا

* * *

واذا ما توقفنا قليلا عند الاتجاه الحديث – مثلا – في التفكير الصحراوي واسلوب التعبير فاننا نجد ان الصحراء تشهد اليوم حركة تجديد مهمة تنطلق بخطى سريعة متداركة ما فاتها ، وهذه الخطوات تمس الثقافة في الصحراء بصفة عامة والاسلوب بصفة خاصة ..

واذا كان مظهر الادب الصحراوي قد ظهر بالامس فيما كتب من كتب دينية وشروح ، وما قيل من قصائد ومقطوعات فان الادب الصحراوي اصبح الآن يقطع مراحل للنمو والتجديد ليبرز في مختلف المجالات .. وذلك ما يشير اليه الشاب محمد علي الحافظ الرقيبي الذي يقول :

لانبتغي بدلا عن حيها ابدا
ان علقت غيرنا ما الذكر يكفينا

فالحرص دابه بالعهد محتفظ
فمن نسى عهده فقد نسي الدينا

دعنا مع الدهر نمضي حيث شاء بنا
ان ضلنا حقبة لا بدها دينا

ويقول في قصيدة اخرى وهو يصرخ :

قوموا معي ننقذ الصحراء من يدهم
يد الطغاة المجاهيل الاخساء

جاروا ليفعلوا فيها مثل ما فعلوا
في ارض اندلس من كل دهياء

قوموا معي دفعة فالله ناصرنا
والسعد خادمنا في كل هيجاء

انا ليوث الوغى عزما وتضحية
وللشهادة نمشي بين احياء (16)

ويقول السيد ابا الشيخ ابا علي الرقيبي في ندائه :

« ايها الصحراويون ، انكم باستماتتكم في الدفاع عن حريتكم واستقلالكم ، تخدمون قضية الحرية والاستقلال في المغرب والجزائر وتونس وفي كل مكان على وجه الارض .

وانه لعار عليكم ان تنتفض الدنيا كلها وان تهب جميع الاقطار للمطالبة بحقها في الحياة الكريمة وان تظلوا انتم وحدكم متخلفين عن وحدتكم وعن معركة القرن العشرين ، معركة الانسانية الكبرى » (17) .

وهكذا فنحن لم نستعرض هذه الصورة المحددة لموضوعها وحده ، ولكن استعرضناها لاسلوبها من جهة ، وتطور هذا الاسلوب ، ثم للهدف الذي استهدفه المثقف الصحراوي المعاصر في التعبير عما يخالجه في معركة الوحدة .

* * *

وبعد ، فقد يلاحظ انني لم احدد بالضبط الفترة التي تناولت في هذه الدراسة بالتحديد خصوصا بالنسبة للمثقف ، وان كنت في الحقيقة قد تطرقت الى حقبة تبتدىء من نهاية القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين وما بعده بقليل ، واكتفيت بالاشارة والصورة الى بعض المظاهر المتصلة بجذور الوحدة القائمة بين اجزاء المملكة منذ ظهرت اول مرة كمشكل على يد خصوم الوحدة المغربية التقليديين الذين سواء على عهد ابن رازكة (18) او عند صدور حكم قاضي فاس على عهد

---

(16) نفس المصدر .
(17) نفس المصدر .
(18) انظر كتاب : (الوسيط في تراجم ادباء شنقيط ..) الطبعة الثانية ، صفحات : 1 و 365 و 422 و 423 و 438 .

السلطان سيدي محمد بن عبد الله (19) مما تناولته عدد من المصادر والمراجع المعاصرة التي تعتبر حجة دامغة لا تقبل التمحيص او المناقشة (20) ؛ ومن تم كان من اللازم علي ان اتوقف قليلا عند هذا الموضوع لرسم صورة عامة للمثقف وللازمة التي يعيشها هذا المثقف حيث نجده قد : **« ضرب حول نفسه سياجا من العزلة يكفي لاقامة مختلف الحواجز بينه وبين ما يدور داخل وطنه ، لكيلا ينفعل او يحس باحساسات قد تكون منطلقا حقيقيا لميلاد وعي جديد بالمسؤولية ينبثق من اعماق نفسه ليزحزحه من تراكمات الخمول » (21) .**

وهذا يوضح لنا في جلاء حقيقة الانقسام الفكري والثقافي المروع الذي اصبح شعارا للمثقفين في هذه الجهة ؛ وبصرف النظر مبدئيا عن العوامل الموضوعية التي ادت الى هذا الانقسام ، فاننا نستطيع ان نلاحظ على الفور ان هناك ثلاث مجموعات رئيسية تختلف كل منها عن الاخرى في الاسلوب وفي التفكير وفي الحكم على الاشياء ، فهناك :

اولا : مجموعة المثقفين الذين وضعوا انفسهم تحت تصرف الحاكمين فاصبحوا جزءا من الحالة القائمة اسلوبا وعقلا وتفكيرا ؛ وهم لذلك كانوا لا يستطيعون روية الاشياء الا من خلال المنظار الذي يراها منه المنفصلون عن الوحدة وهم معدودون على الاصابع واغلبهم يعملون من منطلق تقليدي وحتى وهم يصدرون اضخم « المنشورات » التي تفضح تبعيتهم الظاهرة والباطنة والتي تدين اصحابها بكل وضوح (22) .

ثانيا : وهناك طائفة الانعزاليين الذين لم ينحازوا الى السلطة هناك ؛ ولكنهم ظلوا بالمقابل ابعد ما يكون عقلا وتفكيرا عن غيرهم من قضاياهم وهي ايضا تعاني من تناقضات فادحة في موقفها وتعيش ماساة من نوع خاص ، فهي بحكم ما توصلت اليه من ادراك نسبي يؤهلها لاكتشاف بعض الحقائق السطحية ، وما يختفي وراء المظاهر البراقة التي يحاول ان يبدو بها من زيفه وتلفيق ، لذلك فهي انخدعت كغيرها بالعوبة الانظمة الصورية وما يقوم عليها من تغرير وخداع الناس ، ولانفهم قبل كل شيء ؛ من منطق اللاشيء ؛

ثالثا : اما البذرة الثقافية الاولى التي يمكننا ان نصف افرادها بنواة المثقفين الملتزمين ، ونحن نقول ذلك لان هذه المجموعة قد وضعت نفسها في خدمة مصالح الوحدة في مختلف هذه الاجزاء واختارت ان تربط مصيرها بمصير الوحدة فاصبحت بحق المعبر الاول والوحيد عن اماني وآمال هذه الجماهير في تحقيق الوحدة مع الوطن الام ، والعيش في ظل الاستقرار والتقدم والازدهار والوحدة .. حيث يقول الشاعر :

الى الوحدة الكبرى نحث شعوبنا
وان لنا شان بمشكلة الصحرا

وفدنا من الصحرا من البعد نحوكم
فتنكيطنا اخرى بطلعتكم احرى

تحركنا نثوى من البشر تم لا
تحس لنا همسا فتحسبنا سكرى (23)

ولهذا فاننا لم نناقض انفسنا عندما اطلقنا منذ البداية صفة التعليم في مجال رسم الصورة العامة للازمة التي يعيشها العلماء والمثقفون في هذه الجهات ، لان وجود هذه الطائفة الاخيرة ذات الامكانيات الكمية والكيفية لا ينفي في نظرنا وجود الازمة الحادة التي تكلمنا عنها ؛ ولا ينفي كذلك وجود الانقسام الفكري الذي يعيشه المثقفون هناك والذي ظل ولا يزال يسهم بطريقة او باخرى كما سبق القول في تكوين الاوضاع الحالية لخدمة مصالح الاستعمار الظاهر والخفي ومؤسساته الاحتكارية من ناحية ؛ ولتجميد حركة الوحدة (24) .

---

(19) من دراسة للاستاذ محمد الطنجي (جريدة العلم) ص : 4 — 19 / 5 / 1967 .
(20) انظر : (الوسيط ..) ص : 422 — 428 و (النخبة الازهرية) ص : 323 و (البغية) للسالح
(21) مجلة (الوحدة) ص : 16 — ع : 10 — سنة 1967 .
(22) نتابع هذه المنشورات وسنعود اليها في الوقت المناسب .
(23) كتاب : (مع جلالة الحسن الثاني في تواذيو) ص : 114 .
(24) (مجلة الوحدة) ص : 17 — ع : 10 — سنة 1967 ؛ بتصرف واختصار .

يقول الشاعر المرحوم الفحل محمد سيداتي الهيبة ماء العينين (25) :

صبرا صاحبي فالنجاح لمن صبر
والحر يعرف في الشدائد والخطر

ومقامكم في الخالدات مخلد
مجدا لكم ، والمجد اسما مدخر (26)

والحقيقة ان « شعراء صحراء المغرب مثلهم مثل اخوانهم بالشمال ، اطلقوا هذا ايضا السنتهم وحركوا قرائحهم للحض على الجهاد والحث على الاستعداد لما كشر المستعمرون الفرنسيون والاسبانيون عن انيابهم للاستيلاء على الصحراء واستعباد رقاب اهلها » (27) .

حماة الدين ان الدين صارا
اسيرا للصوص وللنصارا

فان بادرتموه تداركوه
والا يسبق السيف البدارا

فان تستنصروا مولى نصيرا
لمن والى ومن طلب انتصارا

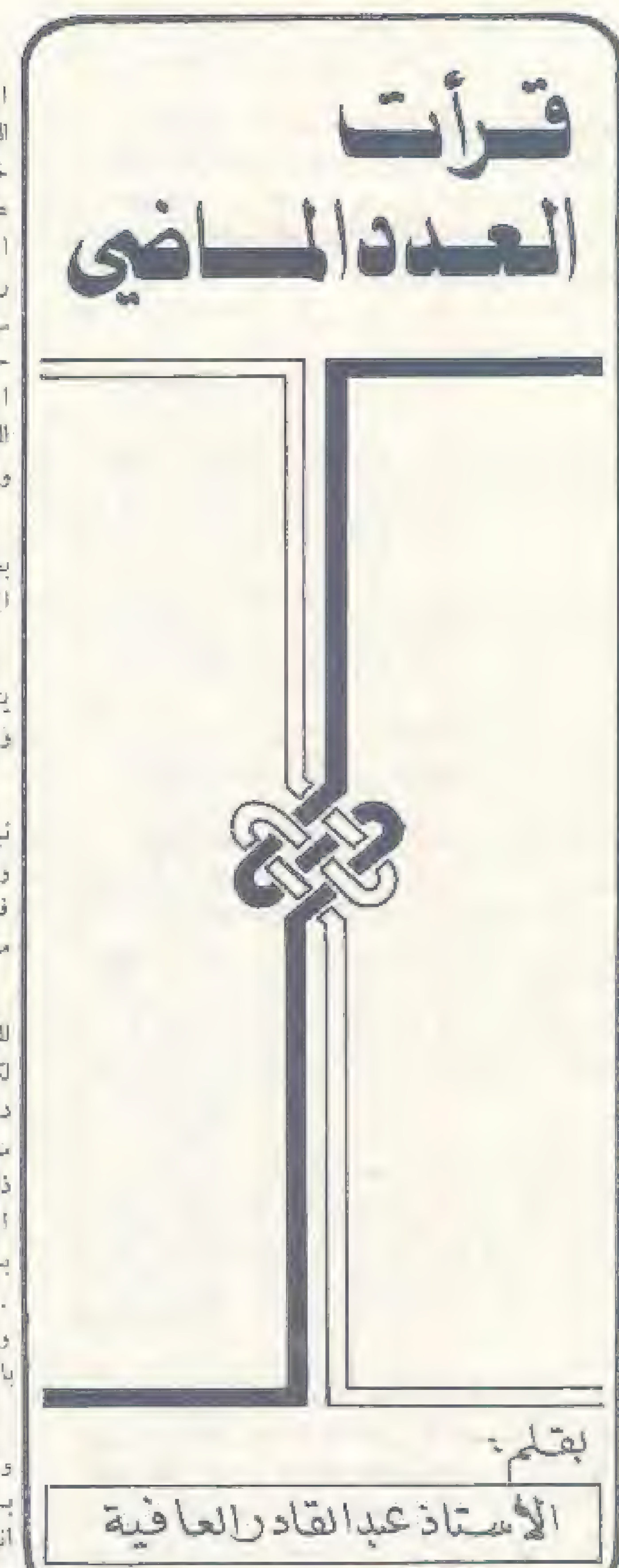
مجيبا دعوة الداعي مجيزا
من الاسواء كل من استجارا (28)

زين العابدين الكتاني

---

(25) انظر : (دعوة الحق) س : 19 ـ ع : 2 و3 ـ يبراير ـ مارس 1978 ص : 110 .
(26) مجلة (دعوة الحق) س : 18 ـ ع : 3 ـ ابريل 1977 ـ ص : 85 .
(27) كتاب (حفريات صحراوية مغربية) ص : 70 .
(28) المصدر السابق ـ ص : 71 .

قرأت العدد الماضي



بقلم : الأستاذ عبدالقادر العافية

اراد قلم التحرير في مجلة دعوة الحق القراء ان يعيد الى هذه المجلة باب : « قرات في العدد الماضي » ولعله اراد باعادة هذا الباب الى المجلة ، خلق نوع جديد من الحيوية والنشاط ... وان دل هذا على شيء فانما يدل على صدق النية في التحسين والتطوير ، والوصول بالمجلة الى ما يحقق رغبة القراء في المتعة والاستفادة ، والتزود بالنافع من المعلومات والآراء والافكار ... وهذه اهداف حميدة ، ومقاصد نبيلة ، نتمنى لها من صميم القلب ان تاخذ طريقها الصحيح ، وشكلها الجاد ، واسلوبها الرصين ، المتحلي بكثير من الرصانة والنزاهة ، والدقة والصراحة ...

ولعل اصعب شيء هو تقييم عمل الآخرين بجدية ونزاهة واخلاص ... ولعل اسهل شيء هو انتقاد الغير بدون روية ولا تبصر .

ومعنى هذا ان القيام بعملية تقييم انتاج الآخرين يتطلب كثيرا من رحابة الصدر ، وكثيرا من الحيطة والحذر ... واتساع الافق الفكري ..

الا أنه اذا كانت النوايا صالحة ، والاهداف نبيلة ، والمقاصد سليمة ، فمثل هذا العمل قد ينجح ويحقق اهدافه المتوخاة . « وانما الاعمال بالنيات » فمع النوايا الطيبة تسير الاعمال في رفق ولين ، وفي محبة وتعاطف ، واخلاص ...

وقصدي من هذا ، ان العمل الذي انتدبت للقيام به ، استشعر منذ البداية خطورته وصعوبته ، لكني اقول بصراحة : ان وزن العمل وتقويمه مهما كان دقيقا ، ومصيبا ، ورصينا ، ولبقا ... فانه يبقى مجرد وجهة نظر ، قد تكون قويمة ، وقد تكون غير ذلك . الا ان وجهة النظر مهما كانت فانما تبعث على التامل والتدبر ... وبالتالي على انتاج جديد ، بسبب استحسان اصابة راي ، او انتقاد خطأ وخطل ... وفي كل ذلك متعة للقارىء ، وشحذ للهمم ، واستنهاض للعزائم ... وهذا ليس بالامر الهين ، ولا باليسير ...

تفحصت العدد الاول من السنة الثانية والعشرين ، واول ما اثار انتباهي : مضي الزمن بسرعة خارقة ، وتصورت وكانني بالامس القريب انهيت قراءة العدد الاول من السنة الاولى لصدور هذه المجلة ، انه نحو ربع قرن من الزمن يمضي بكل

هذه السرعة ، ويقفز بنا قفزا صاروخيا نحو نهاية القرن العشرين الميلادي ، والى اوائل القرن الخامس عشر الهجري ، يقفز بنا من بداية الاستقلال الى مضي ربع قرن من الزمن عليه !!

ان هذه المدة القصيرة في تصورنا ، الطويلة باحداثها ومعاركها وبمنجزاتها ، وبآلامها ، وجهادها ... هي مثار عظة وعبرة ؛ ولسنا هنا بصدد استلهام العبر والعظات منها ، وان كانت جديرة بذلك .

ان الزمن يمضي بلحظاته وايامه ؛ وشهوره واعوامه ، وسنحاسب على كل دقيقة فيه ؛ وعلى كل تاخير وتباطؤ ، او توقف ، ان كان التوقف ممكنا في حياة الناس .

المهم اننا امام مجلة قطعت من عمرها المديد اثنتين وعشرين سنة كاملة ، دأبت خلالها حاملة مشعل النور والعرفان ، شاقة طريقها وسط زحام المثبطات ، والمعوقات ، ونتمنى لها مزيدا من الثبات ، ومن القدرة على مواصلة اداء رسالتها الفكرية النيرة .

انني أمام عدد ممتاز ، والامتياز هنا جاء من مناسبة صدوره في ذكرى ممتازة ، ذكرى عيد عرش مجيد لامة مجيدة .

وعيد العرش بالمغرب الاقصى يختلف عن جميع أعياد عروش الدنيا ، وما ذلك الا لانه كان منطلقا لنهضة وطنية ، وقائدا لعمليات استرجاع الكرامة .

فمواد العدد تدور في فلك هذا الامتياز ، والامتياز له هيبته وجلاله ، وحظوظه ، واشراقاته كذلك .

وابتداء من كلمة العدد التي يقول فيها رئيس التحرير الاستاذ عبد القادر الادريسي : « ان هذا العدد يجمع خلاصة الفكر الوطني المغربي الذي يقوم في منطلقاته ومرتكزاته على اسس من العقيدة الاسلامية والتشبث بالقيم ، والارتباط بالمقدسات .... » .

أقول ، اما كون الفكر الوطني المغربي يقوم على ما ذكر .. فهذا شيء مسلم لا جدال فيه ، اما كون هذا العدد ؛ وهذا العدد وحده فقط يجمع خلاصة ذلك كله ، فهنا اتساءل كيف ذلك ؟ ! .

وكما قلت : ان امتياز هذا العدد مستمد من المناسبة التي يصدر فيها ، وهي مناسبة جليلة حقا ، ومن المؤسف ان العدد لم يتسع صدره ليضم جميع ما بعث به الكتاب بالمناسبة الكريمة ، ودليل ذلك يوجد في الاعتذار الذي اعتذرت به المجلة للسادة الكتاب ، وبعد هذا ، تبقى كلمة العدد طيبة وجذابة .

الافتتاحية :

جاءت افتتاحيةهذا العدد الممتاز تفيض بروح وطنية صادقة ، وعاطفة نبيلة خالصة ، اضفى عليها اسلوبها الجذاب ، رونقا ادبيا وجمالا تعبيريا .

استوحى فيها الكاتب فصولا مشرقة من تاريخنا الوطني على عهد الدولة العلوية المجيدة ؛ فناسبت الافتتاحية العدد ومناسبته .

وتضمنت مجموعة من الافكار التي هي من ابرز ملامح نهضتنا في الظرف الراهن .

وبعد الافتتاحية نلتقي مع كلمة الدكتور احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وهي كلمة مفعمة بالحقائق الناصعة عن رسالة الامة المغربية المسلمة ، وعن دورها الحضاري ، واشعاعها الديني والثقافي ، كل ذلك في أسلوب اخاذ ، وتعابير مشرقة صادقة . وفي نسق روح عالية ، وربطت الكلمة باحكام بين أمجاد الامة وبين امجاد العرش المغربي .

ونلتقي بعد ذلك مع خطابات سامية لصاحب الجلالة ، ومع بلاغ مكة المكرمة ، والبيان الختامي لمؤتمر القمة الثالث ، وذلك مما اعطى للعدد صفة وثائقية ، وجعل منه ذخيرة يحرص المتتبع للاحداث على اقتنائه .

ومن بين مواد العدد خطاب ممثل مجاهدي افغنستان بمؤتمر القمة الاسلامي الثالث ، وهو خطاب مؤثر حقا ، كما عبرت المجلة عن ذلك . وتأثير الخطاب جاء من موقف البطولة الرائع الذي تقفه الامة الافغانية المسلمة ضد جبروت دولة عظمى

سخرت كل امكاناتها لسحق شعب مسلم فقير اعزل الا من ايمانه بربه وتعاليم نبيه ، تلك التعاليم التي استقرت في النفوس تلقحها بلقاح المناعة والحصانة ، وبذلك تأنف من الذل والعبودية ؛ ورغم كبر جبابرة الارض وطغاتها .

لقد ابانت بطولات ثوار الافغان عن المعجزات التي يصنعها الايمان بالله في ميدان الجهاد ، والدفاع عن الكرامة ، وحرية الانسان .

ونلتقي مع موضوع الاستاذ العلامة سيدي عبد الله كنون « دور علماء المغرب في الدعوة الى الله » هو موضوع هام كما يتبين من عنوانه ، عالجه الاستاذ كنون بما عهد فيه من علم ومقدرة ، ولا اسمي موضوعه هذا كلمة ولا بحثا .. وانما اسميه درسا من الدروس المفيدة ؛ وان كان ما يؤخذ على الكاتب ؛ في هذا الموضوع الهام فهو ايجازه الكلام عن الدعاة في العصر المتأخر ، وكنت اود لو توسع الاستاذ قليلا ؛ واتحفنا بمعلومات عن رجال الدعوة في هذه الفترة ؛ لان شبابنا متعطش لمعرفة الكثير عن دعاة الاصلاح ، ومعرفة حياتهم ، وظروفهم ؛ ولعل عذر الاستاذ ؛ هو ان الموضوع سيطول ويتشعب ، قد يكون ذلك مقبولا ؛ ومهما كان الامر فالاستاذ كنون قد حرك شوقنا لمعرفة المزيد عن رجال الدعوة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ؛ لان هذه الفترة لها مدلول عميق في تاريخ المغرب .

وختم الاستاذ كنون موضوعه بالقاء مسؤولية اهمال الدعوة على العلماء ؛ وهو مصيب في ذلك الى حد بعيد ؛ لانه من مزايا نظام التعليم الاسلامي ان يربط المتعلم بالجماهير الشعبية ، وهذا الارتباط ياتي عن طريق اللقاء المنتظم بين العالم وجمهوره . ومنذ فقد التعليم الاسلامي هذه الميزة تخلى عن رسالته الحقيقية ؛ لان من اهداف التعليم الاسلامي ان يكون تعليما شعبيا بكل معنى الكلمة ؛ يعطي الثقافة للجميع ، وفي اماكن مفتوحة يلجها الجميع ، وكل ياخذ منه على قدر مستواه ؛ وحسب ميوله وحاجاته ... الى درجة يصير فيها بعض المستمعين « في بعض الحواضر اكثر اطلاعا من بعض المتعلمين في جهات اخرى » كما اشار الاستاذ الى ذلك .

ونتمنى ان يقوم العلماء بواجبهم ، وان تتحقق رغبة الاستاذ عبد الله كنون في هذا المجال .

اما موضوع الاستاذ الشيخ محمد المكي الناصري الذي يحمل عنوان : « العرش العلوي الشريف، وملامحه البارزة » فهو موضوع اعتنى به الاستاذ عناية واضحة ، واستطاع ان يعزز نظرياته فيه ، بحجج مقنعة ، وقام فيه بعملية تحليل ، وتعليل ، واستقراء ، واستنتاج ، توصل الكاتب بعد ذلك الى نتائجه السليمة ، وبذلك صاغ بحثه المفيد صياغة باحث يتعامل مع الظواهر الواقعية ليتوصل في النهاية الى الحقائق الملموسة ، وهذه منهجية يتقنها الاستاذ الناصري ايما اتقان .

ونلتقي بعد هذا بكلمة العلامة الشيخ الرحالي الفاروقي تحت عنوان : « ذكريات عيد العرش المجيد » استطاع الشيخ الفاروقي بأسلوبه المتميز ان يصيغ ذكرياته في قالب من الاخلاص ، والى ذلك يشعر القارىء وهو يتنقل من فقرة الى فقرة ، ومن جملة الى جملة ، ان كاتب المقال استطاع ان يثبت ان روح الاسلام لا تتنكر لاى تقدم حضاري ، وان من اكبر سمات الروح الاسلامية ، انها تنظر الى الكون نظرة شمولية ، ومن هذه النظرة الاسلامية البعيدة المدى يستوحي العرش ؛ فينعكس روح ذلك على مشاريع العرش الانمائية ، والاقتصادية ، والاجتماعية .. وعلى تشريعاته ، واجتهاداته . وتخلص الكاتب الى تحليل روح الوحدة المغربية ؛ وتوصل الى ان « الصحراء التي دخلت بحكم التحرير في وضع حاسم ، وفي طور حازم ؛ هي جزء لا يتجزء من المملكة المغربية بمقتضى الروابط التاريخية ، والقوانين الشرعية ، التي تتجلى في البيعة لملوك الدولة العلوية ابا عن جد ، وخلفا عن سلف ... » .

ومقال الاستاذ الفاروقي مليء بالاقتباسات من الآيات القرآنية الكريمة ، ومفعم بالروح الوطنية الصادقة .

وفي هذا العدد جاءت كلمة الاستاذ ابي بكر القادري تحمل عنوان : « الاحتفال بعيد العرش انبثق من صميم الشعب المغربي » .

ومقال الاستاذ ابي بكر القادري يلقي الضوء على انبثاق فكرة الاحتفال بعيد العرش بالمغرب ، وقدم لذلك ، بما علقه شبان الامة المغربية من آمال على تربع ملك شاب على عرش البلاد ، واشار الى مواقف

جلالة المغفور له محمد الخامس منذ الوهلة الاولى من تحمله لمسؤولية قيادة سفينة الخلاص .

واكد الاستاذ القادري على الضمانة الكبرى لهذه البلاد التي تتمثل في العقيدة الاسلامية ، والعرش المغربي ، وتكلم عن الظروف الدقيقة التي بويع فيها محمد الخامس ، حيث كان الاستعمار الفرنسي والاسباني يكيدان للمغرب ، ويخططان للاجهاز على مقوماته الاساسية ، وما لبث ان صدر الظهير البربري الذي اكد سوء طوية الاستعمار الذي عمل على تمزيق وحدة الامة المغربية ، ومن فكرة مقاومة الاستعمار التي تقمصها العرش ، وشباب الامة كان الالتحام بين العرش والشعب ، ومن هذا الالتحام انبثقت فكرة الاحتفال بعيد العرش ، وكان اول من كتب حول اتخاذ عيد العرش عيدا وطنيا ـ حسب علم الكاتب ـ المرحوم محمد حصار بمجلة المغرب عدد يوليوز 1933 ، الذي طلب باصدار قرار باتخاذ يوم جلوس صاحب الجلالة على العرش عيدا وطنيا ، ثم لقي المقترح تأييدا من مختلف الجهات .. الى ان يقول :

« وامام هذا الاصرار الوطني لم يسع الحماية الا أن تعترف بالامر الواقع » .

ونخرج من قراءة المقال بجملة أفكار عن بداية الاحتفال بعيد العرش ، وعن تطور الفكرة ، وما لاقته من حماس الشعب المغربي ، وتعلقه بعرشه .

بعد هذا نلتقي مع كلمة الاستاذ أحمد مجيد ابن جلون تحت عنوان : « العرش اخلاق ومبادىء وطموح وحقائق » .

الكلمة اشادة بالعرش وصاحبه ، بروح الروابط المتينة التي تربط بين العرش والشعب ، وما لهذا الارتباط من آثار على طموح الشعب وعواطفه وعبقريته .

ويشير الكاتب الى أن الاصالة المغربية عبرت عن هذا الارتباط المتين منذ ثلاثة عشر قرنا ، ويشير كذلك الى ان المغاربة فهموا فكرة « الامامة » حق الفهم ، في وقت كان الناس يتجادلون حولها ، وعلى هذا الاساس توطدت العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، فكانت « البيعة » والبيعة في الاسلام تعتمد على ذكر الواجبات التي يضطلع بها أمير المؤمنين للقيام بمهمة الحكم .

وفي ظل هذا الالتزام تكاثرت صور التضحية ونكران الذات ، ومثل لذلك بمواقف جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه .. وتطرق بعد ذلك لذكر مواقف جلالة الحسن الثاني نصره الله ، وصاغ الكاتب عواطفه في اسلوب تسلسلت أفكاره ، وحسنت عباراته .

اما كلمة الدكتورة امينة اللوه فتحمل عنوان : « ملامح من عبقرية الحسن الثاني » خصصت الجزء الاول من كلمتها للحديث عن طفولة عاهل البلاد ، وعن مراحل دراسته الاولى ، وكيف كان محاطا بعناية والده ، وبالجو الجدي الذي دفعه للعمل النافع المثمر ، وكيف تحققت ارادة الوالد رحمه الله في ولده وولي عهده ، وامين سره ... وعملت ظروف تربيته على ابراز ملامح عبقريته ، التي تجلت في اعماله ، وسمو افكاره ، وبراعة منطقه وكلامه .... واتت بامثلة من خطاباته السامية وآرائه النيرة .

والمقال تعبير صادق عن الاعجاب ، والتقدير ، والمحبة ، التي تكنها الكاتبة لصاحب العرش المجيد .

ونلتقي بعد ذلك مع « صحوة » شاعرنا الاستاذ محمد الحلوي ، وهي احدى تحفه الفنية ، ومعلمة من معالم شاعريته الملهمة ، امتزجت فيها عاطفته الدينية بعاطفته الوطنية ، فصاغها باقة متألقة بألوان جمال الشكل والسبك ، وعبقة باسمى نسمات اريج الحب والصدق ، واختار لها حدث المؤتمر الثالث للقمة الاسلامية موضوعا .

وجاءت كلمة الاستاذ رضا الله ابراهيم الالفي تحمل عنوان : « جلالة الملك الحسن الثاني أمير من امراء البيان » .

وبالرغم من فاصل باقة الحلوي بين مقال الدكتورة اللوه وموضوع الاستاذ الالفي ، فالموضوعان يتكاملان ، وينطلقان من منظور واحد ورؤيا واحدة... أي عبقرية جلالة الحسن الثاني .

قدم الاستاذ الالفي لموضوع كلمته بمقدمة مفيدة عن ملامح بلاغة اللغة العربية في الجاهلية والاسلام ، وعن بلاغة الولاة ، والامراء والقواد العرب الخلص ... اما المحدثون ، والمولدون ، فكانوا يبذلون الجهد والعناء ، .

وذكر ان في تاريخ المغرب القريب والبعيد اسماء لامعة في ميدان البلاغة والبراعة ، ابتداء من

طارق بن زياد وادريس الاول وانتهاء بجلالة محمد الخامس ، وجلالة الحسن الثاني .

وابرز الاستاذ ابراهيم الالغي براعة مظاهر امارة البيان عند جلالة الحسن الثاني ، واتى بنماذج ناطقة ، وبأمثلة ناصعة رائعة .

وبعد موضوع الاستاذ رضا الله ابراهيم الالغي نلتقي بموضوع الاستاذ الحاج احمد معنينو تحت عنوان : « الذكرى العشرون لجلوس جلالة الحسن الثاني على عرش اسلافه المنعمين ، والذكريات المجيدة » .

مهد لموضوعه بذكر تاريخ بداية الاحتفال بعيد العرش المغربي ، ووجوب هذا الاحتفال ، وبعد ذلك عمد الاستاذ معنينو الى ذكر ملامح امجاد العرش المغربي خلال قرن كامل من الزمان ابتداء من جلالة السلطان الحسن الاول ، وانتهاء بذكر جلائل اعمال جلالة الحسن الثاني .

وترجم لملوك الدولة العلوية خلال هذه الحقبة من الزمن ؛ واطلع القارىء على ابرز مظاهر امجاد العرش العلوي خلال هذه الفترة الزمنية . وهو في غضون ذلك يذكر حقائق تاريخية دقيقة ؛ ويخرج المطلع من قراءة هذا الموضوع وهو قد تعرف على نبذة تاريخية يعز وجودها في بعض المصادر المتداولة، ومزج الاستاذ هذه المعلومات المفيدة بروح وطنيته الصادقة .

ونلتقي بعد ذلك مع كلمة المرحوم الاستاذ عبد الرحمن الكتاني الذي نادى رحمه الله : « حافظوا على الروح الاسلامية المتجلية في المسيرة الخضراء » ، والاستاذ عبد الرحمن الكتاني كان من الذين ساهموا في المسيرة الخضراء بحضوره وبدروسه وتوجيهاته.

وفي كلمته هذه يتحدث عن المشاعر النبيلة التي دعته للمشاركة في المسيرة الخضراء ؛ وعن تأييد الامانة العامة لرابطة علماء المغرب لفكرة المسيرة ــ وهو من اعضائها ــ حيث اصدرت الرابطة بلاغا في ذلك اعلنت فيه عن تأييدها ؛ وعن استعداد رجالها للمشاركة فيها ؛ والتطوع في اعمالها ...

وتناول الاستاذ الكتاني الحديث عن الجهاد ؛ وعن الظروف التي حالت بين المسلمين وبين تحقيقه ... واستدل بعدة آيات قرآنية كريمة ، وباحاديث نبوية شريفة . وسجل بعض مشاهداته واحساساته أثناء مشاركته في المسيرة الخضراء .

وبالصفحة 89 من هذا العدد نجد قصيدة الشاعر الموهوب الاستاذ وجيه فهمي صلاح ، تحت عنوان : « قبس النبوة » وهي من شعره المهذب المصقول ، ذي النغمة الحلوة ، والديباجة اللامعة .

والقصيدة من روائعه القصيرة وكنا نتمنى ان تطول .

وبعد هذه القصيدة نجد موضوع : « عهد الحسن الثاني انجازات وامجاد » للاستاذ عثمان بن خضراء ؛ قدم له بمقدمة عن دواعي الاحتفال بالعظماء والامجاد ، ثم تطرق لافكار الموضوع ؛ واكد ان اعمال جلالة الحسن الثاني تتسم بالخلق والابداع ، واستيفاء المناهج ، والاساليب المحكمة ...

وذكر ان انظمة الحكم عديدة ومتنوعة ؛ الا ان جلالة الحسن الثاني وجد في كتاب الله تعالى احسن نظام ، وهو قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم امة وسطا » يقول : « فتكون تلك الامة الوسط التي ليست بالراسمالية ... ولا بالاشتراكية ... نريد ان نكون الامة التي توفق بين النظامين ... » واقول: نريد ان نكون الامة الاسلامية التي لها نظامها الاسلامي الشامل بجميع ميادين الحياة ؛ نظام يجمع بين محاسن النظامين ويبتعد كل البعد عن مساوئها .

ويستمر الكاتب في التحليل ، وايراد الشواهد . وموضوع الاستاذ بن خضراء يتضمن عدة افكار قابلة للمناقشة ، وبعد ذلك عدد مجموعة من الانجازات الحسنية ، وبذل الكاتب في هذا الموضوع مجهودا باديا للعيان .

وتناول الاستاذ عبد الفتاح امام : « ذكرى عيد العرش لسنة : 1401 هـ / 1981 م » في مقال يمزج بين الشعر والنثر ، في نسق محكم واسلوب معبر .

وتناول الاستاذ محمد حمزة موضوع : « لا نرضى وواحد من امتنا جاهل » . تناوله بكيفية مشوقة تدل على المام الكاتب بميادين التربية بعامة، والتربية الاسلامية بخاصة .

وقسم الموضوع تقسيما تربويا لطيفا ، وعدد الافراض التي من اجلها يتعلم الانسان واستدل بعدد من الآيات القرآنية الكريمة .

وذكر ان اهم مقياس لرقي الامم هو مقدار عنايتها بلغتها القومية تعليما ، ونشرا ، وتاليفا للكتب ... الى ان يقول : « فاللغة العربية مقدسة عند المغربي المسلم ، لانها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ولانها علاوة على ذلك لغة التراث ، والفكر الاسلاميين ، وهي همزة وصل بين العرب جميعا ... » .

ويدعو الكاتب بعد ذلك الى التفتح على لغات الامم الاخرى وثقافاتها ... والمقال يتضمن افكارا قويمة وآراء وجيهة . الى جانب الروح الغيور البناءة المتجلية من خلال السطور .

وفي صفحة 104 نجد مقالا للاستاذ علال البوزيدي تحت عنوان : « عرش الامجاد والمفاخر » استشهد فيه ببعض مقولات جلالة الحسن الثاني ، وبعض افكاره النيرة ، وآرائه السديدة ، قال الكاتب: « لان الله تعالى يوتي الحكمة من يشاء » ، واشار الى بعض اعماله الجليلة في ميادين مختلفة ؛ قصد النهوض بشعبه وامته .

اما قصيدة الشاعر السعودي الاستاذ عثمان الصالح فهي تحية مخلصة من شاعر استهوته ارض المغرب الجميلة ، واعجب بملكه العظيم ، وبالنهضة العلمية والدينية البادية للعيان . فكانت تحية ، واعجابا وتقديرا من شاعر عربي غيور .

ونلتقي بعد هذا ، مع موضوع : « سياسة التعليم في عهد عبد الرحمن بن هشام » للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ .

عهد الكاتب باهتمامات المولى عبد الرحمن ، واعماله من اجل حفظ كيان الدولة ، وهيبتها ... وبخاصة بعد موقعة ايسلي ، حيث جاء التفكير بصفة جدية في تنظيم الجيش واعداد اطره ، وتطلب اصلاح التعليم امرين :

1 ـ العناية بانتقاء المواد .

2 ـ العناية بطرق التدريس .

ومن هنا جاء العمل على تزويد مواد الدراسة بالعلوم العصرية ، والعمل على تحسين طرق التلقين، ولم يكن تحقيق ذلك سهلا ويسيرا ، فعمل المولى عبد الرحمن على ايجاد مجالس علمية لتدريس العلوم الرياضية والفلكية والاهتمام بتدريس اللغة الاجنبية، وجعل من ولده ولي العهد ، نموذجا لتلقي هذه العلوم . وتجلت مظاهر العناية بتطوير المنهاج الدراسي في دراسة (كتاب اقليدس) وفي الاحتفال الكبير الذي اقيم بمناسبة ختم دراسة الكتاب السالف من طرف ولي العهد ، وبتاسيس مدرسة الهندسة بمدينة فاس .

واتى الكاتب بقصيدة لطيفة القاضيا التهامي المدغري بالمناسبة . ويقول عن المدرسة الهندسية بفاس : مما تمتاز به حرصها على الاستفادة من معطيات العصر ... الى ان يقول : تطلعات مولاي عبد الرحمن لاصلاح التعليم ما زالت صالحة للتامل في ابعادها ، وقابلة للتطبيق في جوهرها ومعناها ..

وهنا لا اتفق مع الكاتب الكريم ، لان المغرب في نهاية القرن العشرين يختلف تمام الاختلاف عن مغرب منتصف القرن التاسع عشر ، كان الجمود اذاك من ابرز مظاهر العصر ، وكانت هناك محاولات بناءة وصادقة للتطوير والخروج من دائرة الجمود ، اما وضع تعليمنا الراهن الذي انبنى على اسس من (العصرية) بل من العلمانية ـ لانها كانت من اهداف المخطط الاستعماري ـ يتطلب اصلاحا من نوع آخر، لانه لم يعد هناك الآن من يرفض التطوير ، وانما المشكل الآن هو كيف نوائم بين التطوير وبين الحفاظ على تراثنا الحضاري ، ومقدساتنا الدينية ؟ هذا هو المشكل المطروح حاليا ، وبخاصة (مشروع التعليم الجديد) على بساط البحث .

وموضوع الاستاذ الدباغ مفيد ، ويبرهن على ان قادة الامة المغربية ورجالها ، كانوا يفكرون دائما في تطوير اوضاع البلاد ، وفي تقدمها وازدهارها ..

وتحمل كلمة الاستاذ محمد الرقيوق عنوان : « عيد العرش واشراقة مطلع القرن الخامس عشر ».

مزج الكاتب في كلمته بين المنحى الديني والادبي ، باسلوب قللت من صقائه بعض المبالغات ، مثل قوله :

« وتستوقف المسيرة الخضراء كل الباحثين، والدارسين ، والمؤرخين ، والعلماء ، والادبــاء » . ورحم الله احد اساتذتنا الذي كان يقول :

(سأموت وفي نفسي شيء من كل) .

ومن المعلوم أن « كل » نكرة تستغرق جميع افراد ما دخلت عليه ، وفي ذلك من المبالغة ما فيه . وهناك العبارات مثل قوله : « فما أروع يومك الثالث منك » فتكرار كاف الخطاب على هذا النحو جاء غير مستساغ .

ومع هذا فقد بذل الكاتب مجهودا في حبك الجمل وصياغتها .

ثم نلتقي مع شاعر شهير ، لـــه في ميـــدان القريض جولات ، وهو كثيرا ما ينظم الملاحم الطوال، بنفس طويـــل .

وجاءت ملحمة هذه المـــرة تختـــال باشراق ديباجتها ، وجمال اسلوبها ... واستوعبت الملحمه ميادين القول في الذكرى ، فكانت بليغة التعبيـــر ، لامعة القسمـــات .

اما كلمة الاستاذ عبد الرحمن الزياني،التي اختار لها عنوان : « محمد الخامس الملك الرائد » فصادرة عن شعور وطني صادق ، وفق صاحبها في ابــراز مظاهر عبقرية الملك الراحل طيــب الله ثــراه . ركز في البداية على دور التعليم الحــر في اليقظـــة الوطنية ، واذا ساغ لي ان اقلب هذه العبارة ، قلت: دور اليقظة الوطنية في التعليم الحر ، لانني ارى ان اليقظة الوطنية عملت من أجل الحفاظ على مقومـات الامة بواسطة هذا التعليم .

ومهما يكن فاليقظة اعطت يقظة ولله الحمـــد ، ثم تابع الكاتب كلامه عن مظاهر عبقرية محمد الخامس في المجال السياسي . موضوع الاستاذ الزيانـــي موضوع شيق ، لانه يستنير الى مرحلة صراع مرير بين اليقظة الوطنية وبين المخططات الاستعماريـــة . وهي مرحلة حاسمة في تاريخ الحركة الوطنية لمغربنا المعاصـــر .

ونلتقي بعد كلمة الاستاذ الزياني مع قصيـــدة للشاعر الاستاذ عبد الكريم التواتي ، وهي قصيـــدة ذات نفس طويل ، وشعر جيد ، جــاء عنوانها مـــن الشطر الثاني من البيت الخامس عشر وهو :

« عيد المثنى ، وعيد الشعب اجمعه
اكرم بعيد تبنى شانـــه القـــدر »

جاوزت أبيات القصيدة تسعين بيتا ، قسمهـــا الشاعر تسعة اجزاء ، مـــع الحفـــاظ على الـــوزن والقافية ، فتقسيمه جاء تبعا للمعنى المتناول .

وبعدها تأتي كلمـة الاستـــاذ محمد العربـــي الشاوش بعنوان : « مشروعية الجهاد وفضلـــه » استهلها بتمهيدلطيف عن كون الاسلام ، ديــن علـــم وحضارة ، وان مشروعية الجهاد جاءت دفاعا عـــن النفس ، مستدلا بقوله تعالى : « وقاتلوا في سبيـــل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا انه لا يحب المعتدين»

وتطرق الاستاذ بعد ذلك لمنهجية الجهـــاد في الاسلام ، ونقل عن امهات المصادر في الموضـــوع ؛ وبعد ذلك تكلم عن فضل الجهاد الذي وردت فيـــه آيات كريمة ، واحاديث شريفة ، مـــع الاشارة الى فقـــه الجهـــاد .

وتتخلل الموضوع ملاحظات وجيهة ، وافكـــار سديـــــدة .

وفي ختام الكلمات والابحاث السالفة نلتقـــي بكلمة عن الوقف في المغرب للاستاذ محمد البهاوي، وموضوع الوقف في المغرب موضوع عام جدا ؛ لانه يتناول الوقف في مختلف عصور التاريخ الاسلامـــي بالمغرب ، اي منذ الفتح الاسلامي الى يومنا هـــذا ؛ لكن الاستاذ البهاوي تناول هذا الموضوع من الوجهة الادارية وتقديم الاحصاءات الرسمية ، وقدم لذلـــك مقدمة مفيدة عن الوقف الاسلامي بالمغـــرب ؛ فكان موضوعه تعريفا بمهـــام وزارة الاوقـــاف والشـــؤون الاسلامية ، وبانشطة هـــذه الوزارة في الميادين الدينية ، والاجتماعية والثقافية ، ويطلع القارىء من خلال هذا التعريف على الكيفية التي تسيـــر بهـــا المؤسسات الدينية من مساجد وبعـــض المعاهـــد التابعة لها وعلى ما تقدمه وزارة الاوقـــاف والشؤون الاسلامية من منح لطلبة العلم ، وعـــن مداخيلهـــا ومصاريفها وما الى ذلك ، مع الحديث عن ممتلكـــات الاوقاف ووضعها ...

ويكشف لنا موضوع الاستاذ البهاوي عن الوضوح الذي تعمل فيه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية . والذي لا يسعنا امامه الا ان نقدر الروح الوطنية للمسؤولين في هذه الوزارة .

وتختم المجلة ابوابها عادة بتزويد القارىء بمعلومات هامة عن « شهريات الفكر والثقافة » واحسب هذا الباب من اهم ابواب المجلة ، لان المشرف عليه يقدم للقارىء معلومات مفيدة عما جد في ميدان الثقافة والفكر ، وعن الجديد من المطبوعات في عالم التاليف ، بل يعطينا في كثير من الاحيان معلومات مفصلة عن الكتاب وابوابه وفصوله ، وقيمة موضوعه ... وهذا الباب هو من بين المجهودات التي يقوم بها اخونا الاستاذ عبد القادر الادريسي في صمت الجندي المجهول .

ومع ذلك لي ملاحظة صغيرة جدا ، وهي انني اتمنى من المشرف على انجاز هذا الباب ، ان يعطينا المعلومات مجردة عن اوصاف الاطراء التي تتخلل تقديمه في بعض الاحيان مثل : « القيم » « الكبير » الخ ، نعم هي اوصاف جاءت بدافع من التشجيع على قراءة الانتاج ، وبدافع من التقدير للمؤلفين ، لكنني ارى الاستغناء عنها احسن .

والحقيقة اننا من خلال القائمة التي يقدمها هذا الباب نتعرف على كثير مما طبع من الكتب ، وعلى بعض الرسائل الجامعية المقدمة من طرف الباحثين وطلاب العلم ، بالاضافة الى اخبار الجوائز العلمية والادبية ، وانشطة الجمعيات الثقافية ، وكل هذا مفيد جدا بالنسبة للمهتم بقضايا الثقافة في البلاد العربية والاسلامية . وهذا مجهود مشكور وعمل مفيد .

هذا ورايت نظرا للمناسبة المجيدة التي جاء هذا العدد يرفل بحللها البهية ، ان اقلل من الملاحظات ، واكتفي بالاشارة الى صميم الموضوعات، راجيا ان اكون قد قمت ببعض الواجب نحو العدد الماضي .

عبد القادر العافية



مآثر جلالة الملك الحسن الثاني

في نشر الفكر الاسلامي واحياء تراثه الخالد.

الأستاذ البلعمشي أحمد يكن

تقوم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بأمر من حامي حمى الملة والدين والساهر على مصالح المسلمين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله باحياء التراث الاسلامي والعربي في المغرب وفق التعليمات السامية لعاهل البلاد وما يخلده كل يوم من مآثر لامته وشعبه في شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي منها اهتمامه وعنايته حفظه الله باحياء التراث في هذا الجناح الغربي من العالم الاسلامي والعربي ، هذا الجناح الذي توجد بخزاناته العامة والخاصة كنوز دفينة لم تر النور ، وذخائر اسلامية ثمينة قد لا توجد في غيره من الاقطار العربية والاسلامية الاخرى ، لا كما ولا كيفا ، من اجل ذلك نراه ابده الله واعز ملكه يصدر اوامره المطاعة الى احدى مؤسسته النشيطة في الدولة ، وهي وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، للقيام بجمع شتات هذا التراث ونفض غبار الاهمال والنسيان عنه واخراج بعض نفائسه ودرره في حلة قشيبة الى مثقفي شعبه الوفي والى جمهور المثقفين في المشرق والمغرب على السواء .

فبادرت هذه الوزارة ، بعد اصدار امره الشريف ووفق توجيهاته النيرة المطاعة الى طبع بعض هذه النفائس التي سأسردها عليكم سردا موجزا وحسب هذا الترتيب :

أ ــ المصحف الحسني : وهو جوهرة ثمينة من الجواهر الغالية التي ما فتىء مولانا امير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين ، ورافع راية القرءان الكريم يهديها الى شعبه المسلم والى كل شعوب العالم الاسلامي كما اوضح ذلك حفظه الله ، في كلمة الاهداء لهذا المصحف والتي جاء فيها ما نصه :

« نهدي اليك ايها المسلم الكريم من مشارق الارض ومغاربها هذا المصحف الشريف ، راجين من الله جلت قدرته ان يجعله بين يديك نورا يهديك الى اقوم السبيل في دنياك ، واوضح المسالك الى اخرتك ، وشفاء لنفسك وطهرا لقلبك ، وقوة يشتد بها عزمك وتتمكن بها ارادتك ، ويعلو بفضلها شانك بين الناس ومقامك بين الانام ، وتحل بها ارفع الدرجات ، وتبلغ معها اسنى ما تتوق اليه نفسك من مقاصد وغايات الخ .. » .

والمصحف الحسني هذا انتقي من بين عديد من المصاحف الخطية الجميلة ، فكتب بخط مغربي جميل وعلى الرواية المعروفة برواية (ورش) وحلي تحلية قشيبة بماء الذهب ، فجاء آية زمانه في الرسم والتحلية والتجميل والزخرفة والاتقان ، والتنسيق والعناية ، ولا غرابة في ذلك ، فالمغاربة وملوك المغرب

كانوا على الدوام ممن يولون العناية الفائقة لكتاب الله العزيز، ولسنة نبيه المطهر، فهم حماتها، وهم عمدتها في هذا البلد، في الماضي والحاضر والمستقبل ان شاء الله، حفظ الله مولانا الامام واجزل له الثواب، وضاعف له الاجر في الدارين بعمله هذا.

وقد طبعت من هذا المصحف نسختان، جميلتان، احدهما من الحجم الكبير والاخرى من الحجم الصغير على يد وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، ووزع على سامي الشخصيات من ملوك ورؤساء ووزراء ومثقفين، وصدر أخيرا الامر الشريف ببيعه ليعم نفعه، فهو رهن الجميع بمكتبة الاوقاف والموجودة خلف شارع محمد الخامس بالرباط.

2 – كتاب « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز »، للقاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلسي، والكتاب له مكانة مشهورة بين مختلف كتب التفسير، وقد اطبقت شهرته العالم، ونكتفي للتعريف به بما قاله عنه ابو حيان في مقدمة تفسيره: اذ قال كتاب ابن عطية انقل واجمع واخلص، وكتاب الزمخشري « الخص واغوص ». وما قاله عنه ابن تيمية في فتاويه – تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري واصح نقلا وبحثا ثم ما قاله عنه ابن خلدون في مقدمته ان مؤلفه لخصه من كتب التفاسير كلها.

وقد طبع منه لحد الآن الجزء الاول والثاني واشتملا على سورة البقرة بكاملها، والجزء الثالث والرابع واشتملا على سوره آل عمران والنساء، والجزء الخامس والسادس واشتملا على سورة المائدة والانعام، والجزء السابع والثامن واشتملا على سورة الاعراف والانفال والتوبة. والوزارة تتابع طبع الباقي بعد تحقيقه من طرف المجلس العلمي بفاس ومكناس.

3 – كتاب « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد »: للحافظ الحجة ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الاندلسي المولود سنة 368 هـ، والمتوفى رحمه الله سنة 463 هـ، والكتاب يعد موسوعة فقهية وحديثية ايضا، ومفخرة من مفاخر الدولة المغربية، استغرق فيه مؤلفه ثلاثين سنة وفيه قال:

سمير فؤادي من ثلاثين حجة
وصاقل ذهني والمفرج همي

وله اهمية قصوى في البحث والتنقيب في كثير من المجالات الحديثة متنا وسندا، لذلك قيل في حقه وعنه:

قل للذي طلب الحديث مسافرا
في البحر يبغي الكتب بعد البر

فعليك كتبا في الحديث افادها
بالمغرب حافظه ابن عبد البر

هذا هو كتاب التمهيد وهذه هي الموسوعة الفقهية والحديثية التي تعمل الوزارة جادة في اخراجها الى عالم النور، وقد صدر منه الى غاية كتابة هذه السطور، الجزء الاول الذي حققه وصححه وعلق على حواشيه الاستاذان مولاي مصطفى بن احمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، والجزء الثاني والثالث وحققهما الاستاذان محمد عبد الكبير البكري ومحمد التائب السعيدي خريج دار الحديث الحسنية، رحمه الله، والجزء الرابع وحققه الاستاذان محمد التائب السعيدي وسعيد احمد اعراب، والجزء الخامس وحققه الاستاذ سعيد احمد اعراب. والجزء السادس وحققه الاستاذان محمد الفلاح وسعيد احمد اعراب، والجزء السابع وحققه الاستاذ عبد الله بن الصديق، والجزء الثامن وحققه الاستاذ محمد الفلاح، والجزء التاسع والعاشر وحققهما الاستاذ سعيد احمد اعراب.

والوزارة تعمل جادة على تحقيق واخراج ما تبقى من هذا الكتاب بحول الله مع قوته في اقرب الاجال.

4 – كتاب « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك »: لمؤلفه الحافظ ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي المولود سنة 476 هـ، والمتوفى 544 هـ الذي قيل في حقه لولا عياض ما عرف المغرب.

والكتاب ظل مسودة دون غيره من كتب القاضي التي طبعت، فعزم السلطان مولاي عبد الحفيظ رحمه الله على اخراجه وطبعه مرتين، احداهما بمصر والاخرى بفاس، الا ان ذلك كله لم يتم، وجاء محرر

الامة المغفور له مولانا محمد الخامس فعقد العزم على طبعه وامر بجمع نسخه لهذا الغرض فلم يطبع ، فتوارث هذا العزم ملوك الدولة العلوية ابا عن جد حرصا منهم على احياء هذا التراث والحفاظ عليه ، فادخرت الاقدار الالهية هذه المكرمة لابي المكارم والمفاخر حامي مقدسات هذه الامة جلالة الملك مولانا امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله ، لان تكون له هذه الحسنة وتنتظم في سلك حسناته الكثيرة، فامر حفظه الله بطبعه وتكرم بالاذن بالاستفادة من كل النسخ التي تحتفظ بها خزانته الملكية العامرة ، ففي نور هديه الواضح سار العمل ، ومن جلالته بدءا وختاما اليه يعود الفضل في اخراج الجزء الاول الذي حققه وعارض اصوله وحواشيه وقدم له المغفور له الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي، والجزء الثاني والثالث والرابع الذين قام بتحقيقهم وتصديرهم المغفور له الاستاذ عبد القادر الصحراوي، والجزء الخامس الذي قام بتحقيقه الدكتور محمد بن شريفة . والجزء السادس الذي قام بتحقيقه الاستاذ سعيد احمد اعراب .

ويقوم بتحقيق الجزء السابع وقد فرغ منه ويوجد تحت الطبع وهو نهاية هذا الكتاب الذي يضم بين طياته تراجم اعيان الفقه المالكي ويبين طبقاتهم وازماتهم وآثارهم .

5 ـ كتاب التعريف بالقاضي عياض لمؤلفه ، وهو ولد القاضي نفسه ابو عبد الله محمد بن القاضي عياض رحمهما الله ، وقد تناول الولد في هذا الكتاب نسب القاضي ونشأته ومكانته العلمية وشيوخه ورحلته وتدريسه وولايته للقضاء ببلده ثم وفاته . وقام بتحقيقه الدكتور محمد بن شريفة وطبع على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

6 ـ كتاب « بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد للقاضي عياض ، والحق به تفسير نفس الحديث للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في تعليقه على البخاري ، قام بتحقيقه الاساتذة صلاح الدين احمد الادلبي ومحمد الحسن اجناف ومحمد عبد السلام الشرقاوي ، ويعتبر كتاب بغية الرائد هذا من اوفى الشروح التي تناولت حديث ام زرع واغزرها مادة واكثرها . تناول فيه مؤلفه بادي ذي بدء ذكر اسانيده ثم بين ما في استهلال هذا الحديث من الفقه ثم الغريب فانتقل الى قول المرأة الاولى فبين غريبه ومعناه وانتقل الى قول الثانية كذلك فبين غريبه ومعناه فالثالثة فالرابعة حتى بلغ الحادية عشرة فقطع كلامها فبين غريبه ومعناه ، فانتقل لفصل من الفقه ذكر فيه عدة مسائل ، منها قول المراة لصاحبه بأبي انت وامي الخ . ثم انتقل الى ما في الحديث من ضروب الفصاحة وفنون البلاغة وابواب البديع والبيان اللغوي الخ . وطبع الكتاب على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية.

7 ـ كتاب « الاعلام بحدود قواعد الاسلام » : للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي دفين مراكش وأحد رجالاتها السبعة .

ويعتبر هذا الكتاب ايضا تفسيرا فقهيا لقواعد الاسلام الخمسة : كتب بلوغة واضحة بسيطة سهلة الادراك والمأخذ والتناول والحفظ غير معقدة . قصد منه مؤلفه عملا يتقرب به الى الله ، وقد استهله في البداية بشرح الشهادتين ، ثم الصلاة ثم الصيام ثم الزكاة وختمه بالقاعدة الخامسة من قواعد الاسلام ، وهي الحج . قام بتحقيقه الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ؛ وطبع على نفقة وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية .

8 ـ كتاب « مختصر العين » : للامام اللغوي ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي المتوفى سنة 479 هـ ، والكتاب سلسلة لغوية من اهم ما الف في هذا الباب اطلاقا على حروف المعجم من كتب اللغة وبعبارة ادق هو اختصار جيد وواضح لكتاب العين الكبير لخص حشوه ، وسقط فضوله ؛ ليسهل على القارىء حفظه وتعم الاستفادة منه وتتيسر . طبع منه القسم الاول ، وعسى أن تسنح الظروف للشروع في تحقيق وطبع الاقسام الباقية انشاء الله : قام بتحقيق هذا القسم المطبوع الاستاذان المرحوم علال الفاسي والمرحوم محمد بن تاويت الطنجي . وطبع على نفقة وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية .

9 ـ الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية ، للعلامة الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، وتشتمل هذه الموسوعة على المعلومات المتصلة بكل شخصية مغربية او اندلسية او موضوع حضاري ، من الموضوعات الحضارية المغربية ، كما تلقي اضواء

كاشفة على المميزات والخواص لكل من تلك الاعلام وكل الموضوعات الحضارية التي تستقصي مجالات الثقافة والفكر والاقتصاد والاجتماع ، وقد طبع من هذه الموسوعة القسم الاول والثاني والثالث ومعلمة الصحراء المغربية وكذا معلمة للمدن المغربية ، وستتلوها الاقسام الباقية باذن الله قامت بطبعها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

10 ـ كتاب « الصوارم والاسنة في الذب عن الاسنة » : للعلامة المحدث محمد بن أبي مدين ابن الشيخ احمد بن سليمان الشنقيطي .

والكتاب يتألف من مقدمة في رد على من طعن في صحة احاديث القبض ، واربعة فصول وخاتمة . الباب الاول في الكلام على القبض ، والباب الثاني في ادلة الرفع الخ . والباب الثالث في الكلام على اهل المدينة ، والباب الرابع في وجوب اتباع السنة دون ما عداها ، واخيرا خاتمة في الكلام على التقليد والاجتهاد ، وقد طبع هذا الكتاب للمرة الثانية ؛ الاولى على نفقة المؤلف ، والثانية على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية .

11 ـ كتاب « الاسلام دين ودولة ونظام » : لفضيلة الاستاذ عبد الحي العمراني ، والكتاب يعد محاولة ناجحة ، في ازاحة بعض الشبهات العالقة باذهان كثير من الشباب المعاصر عن الدين الاسلامي الحنيف ، وما يلصقه به بعض المغرضين من الخرافات والشعوذة والتحريف التي هو منها براء ، براءة الذئب من دم أبن يعقوب .

وقد بين المؤلف في هذا الكتاب ، مغزى الدين وما يدعو اليه من اصلاح ، وما ينهي عنه من فساد ، وما به من مبادىء سامية ، كالشورى والدمقراطية والتسامح والحرية والحكم والجهاد والمواثيق والعهود الى غير ذلك مما بوب له في كتابه . الذي قال عنه مقدمة الاستاذ علال الفاسي ، انه كتاب بين فيه مؤلفه أن الاسلام دين خالد بما جاء به من مبادىء الانسانية التي تساعد على حياة الرقي في كل عصر .

فالشورى من اسسه ، والعلم والعقل من دعائمه ، والعمل الصالح المثمر من غرسه ، والارادة وحسن السلوك من اثار الايمان به .

والموضوع الذي تناوله الكتاب موضوع خصب يمكن ان تملأ منه الصحائف ، وتجند له الاقلام ، دون ان تستوفي ما يدعو اليه في تفصيل واطناب . وقد طبع على نفقة وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية .

12 ـ كتاب « الدروس الحسنية » ، وهو عبارة عن مجموعة من الدروس والمحاضرات التي تلقى بحضرة صاحب الجلالة والمهابة امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله وايده ، وكذا والده من قبل رحمه الله .

وتنتخب لها نخبة من اكابر العلماء والمفكرين من المغرب والمشرق وموضوعها تفسير القرءان الكريم، والسنة النبوية المطهرة ، وتعقد لها مجالس في القصر الملكي العامر كل مساء من ليالي شهر رمضان المعظم حسب توجيه وارادة الداعي لها جلالة الملك الذي يحضرها بنفسه مع جموع من العلماء المدعوين لها ، وتنقل مباشرة بواسطة الاذاعة والتلفزة المغربية، للانتفاع بها ، والاستفادة منها ، ثم تسجل فتطبع كتابا يضاف الى المكتبة العربية والاسلامية ، ويقتنى لدى الخاصة من العلماء والمثقفين ، وقد طبع منها في هذا السبيل لحد الآن خمسة كتب ، كل واحد عن سنة . قامت بطبعها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

13 ـ كتاب « اربعون حديثا ، في اصطناع المعروف » : جمعه ابو محمد عبد القوي المنذري ، وشرحه ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المتوفى سنة 875 هـ ، وهو كتاب يعتبر من اهم الكتب التي عالجت هذا الموضوع ، وحثت على اصطناع المعروف بين المسلمين وقضاء حوائجهم ؛ وقد قرضها الشيخ ابو عبد الله محمد السلمي بقوله: ان هذه الاربعين لمما يجب الوقوف عليها ، والانقياد اليها ؛ وقد شاع ذكرها وحلا للسامعين وردها ، وطاب لاهل المعروف نشرها ، وكثر من الطلاب في هذا الزمان الاعتناء بها والنظر في معانيها ، ووقعت منهم بالموقع الاسنى ، وهي خليقة لان يتحلى المومن بها وينقاد اليها . علق عليها وقدمها المرحوم محمد ابن تاويت الطنجي وطبعت على نفقة وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية .

14 ـ « اوصاف الناس في التواريخ والصلات وزواجر والعظات » تأليف : ذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب .

والكتاب عبارة عن تراجم تاريخية وأدبية لشخصيات مغربية وأخرى أندلسية ، معظمها ممن عاصرهم المؤلف ، فيهم الكتاب والوزير والقائد والعالم والقاضي ؛ وقد بلغ عدد المترجم لهم في هذا الكتاب مائة وسبعة وخمسون شخصية ؛ وقد تمكن ابن الخطيب من أن يقوم لنا بصورة شيقة وموضوعية ومنهجية لكل من الذين تناولهم قلمه ؛ متوخيا في ذلك الدقة كل الدقة والاحاطة والشمول في وصفهم بأسلوب جمع بين طلاوة العبارة ، وعمق المعنى وعذوبة الالفاظ ورقتها .

وقد اعتمد المؤلف في تاريخه لتلك الشخصيات على مطالعاته ومجالساته واتصالاته وصلاته بحكم منصبه كوزير وكعالم واديب ومؤرخ .

والكتاب لم يكن معروفا لدى الكثيرين من المشتغلين بدراسة التراث الاندلسي وخاصة منهم الذين تعرضوا لآثار ابن الخطيب ، حتى لقد انكره بعضهم .

قام بتحقيقه ودراسته الدكتور كمال شبانة استاذ التاريخ والحضارة الاسلامية بجامعتي القاهرة والقرويين بالمغرب . وطبع في مجلد واحد على نفقة صندوق ؛ احياء التراث المشترك بين المملكة المغربية ودولة الامارات العربية المتحدة .

15 ــ الرحلة المغربية المسماة « تاج المفرق في تحلية علماء المشرق » ؛ من أشهر كتب الرحلات المغربية في الادب العربي . الفه العلامة خالد بن عيسى البلوي الاندلسي والكتاب يعد بحق من نفائس الرحلات ، فهو لا يقل شأنا في جوانبه التاريخية والادبية والاجتماعية عن رحلات اخرى قام بها إبن رشيد وابن بطوطة والعبدري والعياشي وغيرهم ؛ فهو يصف مشاهدات لاقطار اسلامية كما يحكي اتصالات وبعض رحلات هذا العالم ، ويعطينا نظرة عن صناعة النثر وتطوره في البلاد الاندلسية في القرن الثامن الهجري بالاضافة الى المشاهد والى ما يحمله بين طياته من الشعر والنثر العربيين ، والكتاب قام بتحقيقه الاستاذ حسن السائح . وطبع في مجلدين على نفقة صندوق احياء التراث الاسلامي المشترك بين المملكة المغربية ، ودولة اتحاد الامارات العربية المتحدة .

16 ــ « معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار » : لمؤلفه الوزير لسان الدين ابن الخطيب السلماني المولود سنة 713 هـ والمتوفى سنة 776 هـ ؛ فهو كتاب من اظرف كتب ابن الخطيب وصف فيه عديدا من المدن المغربية والاندلسية وصفا دقيقا وبأسلوب يشبه الى حد ما اسلوب المقامات عند الحريري والهمداني وغيرهم ؛ فهو عبارة عن وصف شامل كامل لاهم مدن العدوتين المغربية والاندلسية ؛ تناول فيه مؤلفه النواحي الجغرافية والتاريخية والاجتماعية لمعظم المدن التي تحدث عنها وقتذاك . قام بتحقيقه الدكتور محمد كمال شبانة . وطبع في مجلد واحد وعلى نفقة صندوق احياء التراث الاسلامي المشترك .

17 ــ « المهذب فيما وقع في القرءان من المعرب » : لمؤلفه جلال الدين السيوطي ، كتاب قيم يعتبر من أبرز وأنفس كتب المعاجم التي اهتمت اهتماما بالغا بموضوع المعرب في القرءان الكريم ؛ فهو جامع بين التحقيق والبيان والعمق والاحاطة لعدد غير قليل من الاحرف والالفاظ والكلمات المعربة في كتاب الله عز وجل الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ لم يسبق اليها فيما صنف وطبع من كتب قبله ؛ فكل ما ورد فيه من الفاظ فارسية كانت او حبشية او نبطية او غيرها من احرف والفاظ الامم السالفة الاخرى انما هي من قبيل ما اتفق فيه توارد اللغات فتكلمت به العرب والعجم على حد سواء بلفظ واحد ؛ لان العرب وان كان القرءان نزل بلغتهم كانت لهم قبل ذلك مخالطات في اسفارهم بالالسنة الاخرى لامم غيرهم فبقيت بعض الاحرف والالفاظ في لغتهم رغما عن كونها اعجمية عربية .

فنزل القرءان حين نزل وقد اختلطت هذه الاحرف بكلامهم فشملها وذلك من اعجازه : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرءان لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » وقوله : « قل فاتوا بسورة من مثله ان كنتم صادقين » الى غير ذلك من الاعجاز اللفظي واللغوي والبياني والحرفي ان صح هذا التعبير .

فمن قال بعروبة هذه الاحرف صدق ومن قال بعجمتها صدق وذلك هو موضوع الكتاب الذي قام

بتحقيقه الدكتور التهامي الراجي الهاشمي ، وطبع على نفقة الصندوق المشترك لاحياء التراث الاسلامي، في مجلد واحد .

18 ــ « منوعات ابن الخطيب » كتاب تناول فيه مؤلفه الاستاذ حسن السائح ، ابن الخطيب كمفكر للقرن الثامن الهجري بمناسبة مرور ستمائة سنة على وفاته وبما ان البرور بالسلف يقتضي الاعتزاز بهم ، والكشف عن حياتهم والتنقيب على اعمالهم ومآثرهم والتحدث للذرية والاحفاد عنها فيتصل بذلك سند الامة ويتسلسل مجدها من اجل ذلك تناول الاستاذ حسن السائح،ابن الخطيب في هذا الكتاب من خلال عصره ونشاته وثقافته ووظائفه ، متحدثا عن ابن الخطيب كسياسي ومؤرخ وخطيب وكاتب وشاعر وناثر وصوفي ونحوي وفيلسوف وطبيب ذاكرا نماذج من كل هذه الانماط لتظل مفخرة للاجيال على مسار الحياة ووجها بارزا لتاريخ المدنية الخالدة التي اسست على الايمان والعلم وانجبت عباقر شوامخ كانوا الى امس القريب قلادة في جيد عصرهم ، هذا هو موضوع الكتاب الذي نقدم عنه نظرة ولو قصيرة لامجادنا العلمية والحضارية وقد رسم لنا صورة واضحة المعالم لمفكر سياسي من اخطر السياسيين وعالم قدر هو ذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب الذي نحيي روحه بمناسبة مرور ستمائة سنة على وفاته رحمه الله ، وقد طبع الكتاب في مجلد واحد وعلى نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

19 ــ « نشر البنود على مراقي السعود » لمؤلفه : سيدي عبد الله بن ابراهيم العلوي الشنقيطي كتاب في الاصول ويعتبر من المصنفات القيمة في هذا الفن وهو عبارة عن شرح الارجوزة المسماة (مراقي السعود المبتغي الرقي والصعود) في مباحث الاصول لنفس المؤلف الذي يطل من خلال شرحه لها اطلالة العالم المتفتح المتمكن من مادته الواعي لبقية المذاهب الاخرى ، فياخذ منها ليناقش ما اخذ فيرجح ويضعف ولا ينسى مع كل ذلك مالكيته التي ارتضاها واقتنع بها ، فجاء كتابه وسطا بين الاطناب والاقتضاب متميزا عن غيره من الكتب بالمناقشة والردود والاحاطة والتوضيح للنقط التي تعرض لها في مختلف جوانبه مع تمحيص لبعض المسائل ومناقشتها بانصاف ، فكلما وقف امام خلاف لفظي او جدلي ترفع عنه قائلا لا مشاحة عندنا في الاصطلاح ، ومع ان الكتاب اعتمد على كثير من النقول عن كبار العلماء بشكل عام وعن علماء المذهب المالكي بشكل خاص ، وتلك ميزته في الايضاح ليجلي كل مسالة ويقربها من القارىء باسهل واقرب ما يستطيع وبامانة العالم الكامل الذي يعزو القول لقائله والعبارة لصاحبها ، ذاك هو الكتاب الذي قال عنه مؤلفه نفسه مواردي فيه ان شاء الله ان اسهل ما يستصعب واجلب كل منتخب من بحث معقول وعلم منقول حتى لا يعد له كتاب في الايضاح وتحرير الصواب ، وقد طبع في مجلدين وعلى نفقة الصندوق المشترك لاحياء التراث الاسلامي .

20 ــ « ايضاح المسالك الى قواعد الامام مالك » لمؤلفه : ابي العباس احمد بن يحيى الونشريسي . وهو كتاب يعتبر بحق من ابرز وانفس وانمن واجمع كتب القواعد في الفقه المالكي التي اهتمت اهتماما بالغا بدراسة موضوعات قواعد فقه المذهب المالكي ، فهو ذخيرة علمية جمعت بين التحقيق والتدقيق والتنقيح والبيان والاحاطة في العمق والشمول لعدد غير قليل من القواعد والاصول والنوازل والشروح والتنبيهات الفرضية منها والكلية راسمة بذلك لهذا الكتاب صورة واضحة المعالم والمنهج مستنبطة من كتاب الله عز وجل اولا ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثانيا واعتبارا لما ذكر في هذه العجالة عن الكتاب واهميته البالغة وقيمة موضوعاته فهو دراسة جامعية قدمها لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم الاسلامية من دار الحديث الحسنية بالرباط الاستاذ احمد بوطاهر الخطابي ، وطبع بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري ، وعلى نفقة الصندوق المشترك لاحياء التراث الاسلامي بين المملكة المغربية ودولة اتحاد الامارات العربية المتحدة .

21 ــ « ازهار الرياض في اخبار عياض » لمؤلفه : شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني ، والكتاب يعتبر من الذخائر العلمية النادرة التي تناولت ادب المغاربة ، ومن خير ما الف في هذا الموضوع فهو كصنوه كتاب (نفح الطيب) وقد تناول فيه مؤلفه رحمه الله ترجمة وسيرة الامام الحافظ القاضي عياض باسهاب حيث جعل المؤلف فيه قطب الرحى ومركزها لدائرة معارف تاريخية

وأدبية حوت اخبار عصره ومصره ومستوعبة كثيرا من الاجيال المتعاقبة في كل من الاندلس والمغرب قبل زمن صاحب الترجمة هته كما انفرد هذا الكتاب دون كتب التراجم بمنهج رسم للترجمة خطا واضحا ورتب عناصرها ترتيبا حسنا في تتبعه وتعمقه لكل شادة وفادة عن عياض يتحدث عن أوليته وأسرته باحثا عن نشأته في صباه وشبابه وكهولته ذاكرا شيوخه الذين اخذ عنهم العلم باسهاب وتفصيل وعن مؤلفاتهم كما خص بالعناية انتاجه الادبي وتصرفه في الحياة عموما وعمله في خدمة السلطان وآراء الناس فيه الى ان ياتي على وفاته رحمه الله .

والكتاب قام بطبع بعضه بيت المغرب بالقاهرة منذ ما يقرب من نصف قرن من الزمن ، فاصدر منه ثلاثة اجزاء برعاية سمو الامير مولاي الحسن بن المهدي الخليفة السلطاني سابقا بالمنطقة الشمالية من المغرب ووالي بنك المغرب اليوم ، فبقيت الاجزاء الاخرى التي لم تطبع الى ان قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية باعادة الكتاب وطبع الاجزاء الثلاثة التي سبق ان اصدرها بيت المغرب مضيفة اليها الجزءان الباقيان من مجموع خمسة اجزاء حرصا منها على توفير المجموعة كاملة ليتيسر الانتفاع بها بعد أن نفدت واختفت الاجزاء الثلاثة المطبوعة منها تماما من السوق والتي قام بتحقيقها الاساتذة مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ الشبلي . كما قام بتحقيق الجزء الرابع الاستاذ سعيد أحمد أعراب ومحمد بن تاويت ، وبتحقيق الجزء الخامس سعيد احمد اعراب والدكتور عبد السلام الهراس ، وطبع الكتاب على نفقة الصندوق المشترك لاحياء التراث الاسلامي بين المغرب والامرات العربية المتحدة .

22 ــ « التقويم الهجري من » من اعداد وحساب الاستاذ محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرزاق المراكشي الموقت ، وهو كتاب استهل بالآية القرآنية من قوله تعالى : « يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج » وصورة لصاحب الجلالة مع مقدمة باسم الوزير ثم اوائل الشهور القمرية للعام الهجري من كل سنة ثم اوقات الاجتماعات الواقعة ق آخر السنة وفي شهور السنة الجديدة ثم ابتداء الساعات من نصف الليل فالنتائج الحسابية لرؤية اهلة شهور العام الهجري الاثنى عشر ، ثم بعد ذلك ايام الشهور القمرية للعام الهجري مع ما يوافقها من التاريخ الميلادي والرومي والفلاحي ومن درجة الشمس ومنزلتها ووقت اجتماع القمر بها ومن الاعياد والمواسم والايام المهمة مع حصة اوقات الصلاة خلال السنة كلها فجدول للمسافات الفاصلة بين اهم مدن المملكة مع تحلية كل الصفحات وتخليلها ببعض آيات الذكر الحكيم والاحاديث النبوية الشريفة وغرر من الامثال الشعرية والفوائد والحكم : هذا هو كتاب التقويم الهجري الذي تقوم بطبعه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية كل سنة .

23 ــ « ندوة الامام مالك بن انس امام دار الهجر » . وهي كتاب جمع ما شملت عليه الندوة المنعقدة بمدينة فاس خلال ايام 9 ، 10 ، 11 ، 12 جمادى الثانية 1400 ، و25 ، 26 ، 27 ابريل 1980 ، من احاديث قدمت حول صاحب الندوة في اطار الاحتفالات بمقدم القرن الخامس عشر الهجري شارك بها عدد من اجلة العلماء والاساتذة من الداخل والخارج ، مصدرة بكلمة قيمة لامير المؤمنين ثم كلمة للسيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية فكلمات اخرى ثم نص الرسالة الجوابية من الندوة الى صاحب الجلالة تلتها بحوث ومناقشات وتعليقات ، كل ذلك جمع وطبع في ثلاثة مجلدات ، قامت بطبعها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية .

24 ــ كتاب « الاربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجة وشرحها » للعلامة الحكيم عبد اللطيف البغدادي ومن عمل تلميذه الحافظ محمد بن يوسف البرزالي . وكتاب الاربعين حديثا في الطبابة وتدبير الصحة من الطرائف العلمية التي تمثل لونا آخر من الوان ثقافتنا الاسلامية ، وان كانت هذه الاربعين ليست كلها من ابواب الطب عند ابن ماجة بل ان بعضها من ابواب أخرى كالاطعمة مثلا والاشربة والالبسة والصلاة ، والتجارة ، وليس ذلك نقصان ق احاديث الطب عند ابن ماجه عن عدد الاربعين ولكنه اختيار فقط اختاره البرزالي ، ورغما عن ذلك فان فائدة هذه الاربعين وان كانت محددة ولا تساير من الناحية العلمية ما للطب الحديث اليوم من تقدم واختراع وكشوف فانها من الناحية التاريخية على الاقل تعطينا نظرة ولو قصيرة عن هذا الفن عند الاجداد كما تبين العوامل الاولى في نهضة العرب العلمية ، والقواعد الاصيلة التي بنيت عليها حضارتهم

الزاهرة ، تلك العوامل التي لا ينبغي ان نمل اعتبارها وما كان لها من قوة الدفع لامتنا قبل عهد الترجمة والنقل عن الامم والشعوب القديمة . هذه نظرة عن كتاب الاربعين التي قام بتحقيقها الاستاذ سيدي عبد الله كنون ، وطبعت على نفقة الوزارة .

25 — كتاب « دروس من الهجرة المحمدية » من اعداد الشيخ عبد الرحيم عبد البر الواعظ . والكتاب يتناول ذكرى الهجرة المحمدية من مكة الى المدينة المنورة ونصرة الاسلام والتحول الذي طرا عليه بسبب الهجرة وتطورها من فكرة الى تنفيذ عملي وصبر المسلمين الاولين في مكة على ما لاقوه من مضايقات واستفزازات ثم بشائر النصر التي لوحت عليهم من يثرب على يد الرواد الاول من الانصار فالتعريف بالمهاجرين من مكة الى المدينة فهجرة الرسول ومعه ابو بكر الصديق مع وصف ما كان في الغار وما حصل في الطريق ثم كيف نحتفل بالهجرة وذكرياتها . والهجرة كمبدا للتاريخ الاسلامي وحفاوة استقبال الانصار للمهاجرين ، واخيرا قواعد التشريع الاولى في مكة هي التي تبنى عليها التشريع في المدينة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، ثم تكوين الدولة الاسلامية في المدينة بعد الهجرة مباشرة . هذا هو موضوع كتاب « دروس من الهجرة » قامت بطبعه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

26 — كتاب « مختصر الدر الثمين والمورد المعين » للعلامة محمد بن أحمد بن محمد الفاسي الشهير بميارة على المنظومة المسماة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين ، تاليف سيدي عبد الواحد بن عاشر الاندلسي ؛ والكتاب في العبادات اوله مقدمة في الاعتقاد وما انطوت عليه من العقائد ومقدمة في الاصول معنية لقارئها على الوصول فكتاب الطهارة بانواعها فكتاب الصلاة فكتاب الزكاة فكتاب الصيام فكتاب الحج فكتاب مبادىء التصوف وهو آخر الكتاب ، وطبعته وزارة الاوقاف بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري على صاحبه افضل الصلاة والسلام .

27 — كتاب « دليل الحاج المغربي » ويتناول نصائح عامة وارشادات تهم الحجاج ، كما يتناول مكانة الحج في الاسلام وحكمة الحج وحكمه وعواقبه وانواعه من افراد وقران وتمتع ثم مناسكه واركانه وواجباته وسننه ومستحباته وما يحرم فعله وما يفسد الحج وما يجب على من ارتكب شيئا من المخالفات ثم يختم الكتاب بطواف الوداع وكيفية العمرة وزيارة المدينة وكيف تكون . وتلك نهاية الحج والزيارة التي تحدث عنها هذا الكتاب الذي قامت باعداده جماعة من الاساتذة وطبع على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية .

28 — مجلة دعوة الحق وهي مجلة شهرية تعني بالبحوث الدينية والشؤون الثقافية والفكرية ؛ وهي اكادمية البحث ، قلم تحريرها الاخ الاستاذ عبد القادر الادريسي الموظف بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، والمجلة صدرت لاول مرة في ذي الحجة من سنة 1376 موافق يوليوز 1957 بامر من مولانا المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه ونور ضريحه ؛ وللتعريف بالمجلة يكفي ان نورد ما قاله في الكلمة الموجهة اليها غداة صدورها الاول ؛ محرر البلاد المغفور له محمد الخامس .

حيث قال : (.. ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الاوقاف اصدار مجلة جامعة ؛ تعني بصفة خاصة بناحية الاصلاح الديني ، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية ؛ ولنا وطيد الامل في ان يحف حولها دعاة الفكر والثقافة والاصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير اداء ؛ وعسى ان تسلك مجلة (دعوة الحق) سبل النجاح والتوفيق والسلام). والمجلة تصدر عشرة اعداد من كل سنة باستثناء سنتها الاولى حيث اصدرت فيها اثنى عشر عددا ؛ وهي الآن في سنتها الواحدة والعشرين ؛ وقد صدر لها من هذه السنة العدد الثاني ، فتكون قد صدر منها لغاية اليوم 203 من الاعداد بدءا من تاريخ الصدور الى اليوم .

29 — مجلة الارشاد ، وهي مجلة شهرية تعني بالتثقيف الشعبي والتوجيه الاسلامي تصلح للكبار والصغار على السواء ؛ قلم تحريرها الاخ الاستاذ مصطفى الميماه .

والمجلة انشئت طبقا لتعليمات وارشادات صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله في نطاق تنمية الوعي الاسلامي ؛ وتيسير اسبابه ؛ وتعميم النفع به ؛ وايصال الخير الى قلوب ابناء المسلمين بالمغرب وخارج المغرب من البلاد الاسلامية .

فهي مجلة دينية وادبية وثقافية ، تكتب بأسلوب بسيط ، سهل ، مشكول ، تستوفي الغرض المطلوب منها وهو الدعوة الى الاسلام والتعريف بأهدافه ، وتصدر من هذه المجلة عشرة اعداد في السنة وهي الآن في سنتها الثانية عشرة ، وقد صدر العدد الاخير من هذه السنة ، فتكون اعداد السنة بها عشرة اعداد بالنسبة لست سنوات وثمانية بالنسبة للسنوات الاخرى ، فبذلك يكون قد صدر منها لغاية هذا التاريخ 108 من الاعداد منذ البداية ، نتمنى لهما طول العمر مع دوام البقاء والنشر .

هذه نظرة عجلا على قليل من كثير مما ينجز في هذا البلد من بلاد الاسلام المغرب من الاعمال الثقافية التي تعد بحق كما ذكرنا حسنة من حسنات الحسن الثاني ومأثرة خالدة من مآثره التي لا تحصى دون ان نضيف الى هذه الحصيلة ما قامت وتقوم به المطبعة الملكية وغيرها من المؤسسات الاخرى من احياء التراث وطبع ونشر للكتب العلمية والادبية والتاريخية الاخرى في كافة ارجاء المملكة ، نسأل الله النصر والتمكين لامير المؤمنين ، والعون والتوفيق لكافة العاملين آمين والحمد لله رب العالمين .

عبقرية اليوسي

صدر للدكتور الباحث السيد عباس الجراري كتاب جديد عن (عبقرية اليوسي) . (دعوة الحق) ستعرض للكتاب في العدد القادم بحول الله .

عبد الله كنون وأثره في الثقافة المغربية

-3-

للأستاذ مصطفى الشليح

الاتباع والابداع في «لوحات شعرية»

المبحث الاول : البنية السطحية والعميقة للديوان .

المبحث الثاني : عبد الله كنون بين الاتباع والابداع،

1 — ما قبل الكلام :

يحسن بنا قبل أن نقتحم عالم كنون الشعري ، ونرحل عبر تلافيف ذاكرته الى مواقع الابداع والاتباع فيه أن نشير الى ان اية دراسة نقدية جادة لم تقدم حول الشعر المغربي على عهد الحماية ؛ هذا الشعر الذي قام بدور فعال في الحركة الوطنية . فحتى رسالة الماجستير التي قدمها الاستاذ ابراهيم السولامي (1) لا تعدو أن تكون محاولة اولية لتعرية تضاريس الخارطة الشعرية وقتذاك ، وبداية تطل على استحياء — لرصد الظواهر العامة التي تؤلف البنية الكلية مع عدم الاكتراث بالبنيات الجزئية التي تكون تلك البنية ، والتركيز على الجانب المضموني مع القيام بعملية مسح طفيفة للجمالية في النص الشعري حينذاك ، وأن النقص في هذه المحاولة جلي وواضح . ويضاف اليه ما كتبه السيد احمد زياد (2) عن الثقافة المغربية على عهد الاستعمار ؛ والجرد التاريخي السريع الذي قام به للحركة الشعرية ايامها . وتظل محاولته تعريفا تاريخيا ؛ واضاءة مبهمة لتلك ليس الا .

وأما عبد الله كنون — وهو بعض من كل — فان شعره لم يعرف — لحد الساعة — دراسة جدية في تحليلها ، عميقة في تناولها ، دقيقة في منهجها ؛ ومتانية في اصدار احكامها تعتمد على محاورة الديوان ؛ وتقنيته الى مكوناته التعبيرية والفكرية المباشرة — وان ما قام به وحيد الدين بهاء الدين(3) لا يتجاوز عملية استعراضية للديوان ، ونزهة سياحية بين ثناياه تلتقط الخطوط العريضة ، وتهمل مكونات تلك الخطوط . ولذلك اتت احكامه مطبوعة بالتقريرية؛ موسومة بالتعميمية ، ومغلفة بالاحكام السطحية . ونفس الامر ينطبق على احمد قبش (4) الذي حاول ان يؤرخ للشعر العربي الحديث ، فحشد معظم الشعراء العرب ، معطيا لكل واحد منهم ترجمة مختصرة جدا ، ومعلقا على اشعارهم بمصطلحات

---

(1) ابراهيم السولامي : الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية نال بها دكتوراة السلك الثالث من جامعة الجزائر ، وهي مطبوعة .

(2) احمد زياد : لمحات من تاريخ الحركة الفكرية بالمغرب وقصص اخرى .

(3) وحيد الدين بهاء الدين : مجلة المناهل عدد 6 سنة 1976 — ص 418 — 440 .

(4) احمد قبش : تاريخ الشعر العربي الحديث ص : 183 .

أصبحت هي الاخرى خاضعة للنمطية والقالبية تصلح لكل شاعر ، ومغفلا استنكاره غور الشاعر المدروس، ورصد تجربته الشعرية ، وتحليلهـا ليسهل عليـه بالتالي تقييمها ونقدها .

نستخلص مما سبق ان عبد الله كنون الشاعر لم يدرس ، وان ديوانه لم يحلل ، وان جانبا مهما من شخصيته الابداعية ما انفـك مجهولا ومدرجـا في سجل النسيان يعلوه غبار كثيف .

وان السؤال المطروح هـو : لماذا لم يهتـم الباحثون بعبد الله كنون الشاعر ؟ ! لانـه (عـرف كباحث ومؤرخ ادب اكثر مما عرف كشاعر) (5) كما قال عبد الكريم غلاب ؟ . يظل هذا الاستفهام معقولا ما لم نسحب السجف الثخينة ، ونعر الحقيقة لنقرر ان عدم دراسة شعر كنون هو جزء من كل . والسـبب ان هناك من ضرب صفحا عن الادباء الشيوخ ، منطلق من مبدأ صراع الاجيال !!

2 ـ البنية الظاهرية لديوان « لوحات شعرية » :

رغم أن عبد الله كنون قال الشعر ، ولم يقبـل عارضه بعد ، ورغم انه خاض كل الاغراض الشعرية المألوفة وقال فيها ، فان ديوانه « لوحات شعرية » لم ير النور الا سنة 1966 عن مطبعة «دار كريماديس» بتطوان . ولسـنا ندري ان كان هذا التقصير في حق الشعر عائدا الى ان عبد الله كنون يعطي لشعره اهمية ثانوية بالمقارنة مع ما يكتبه من مقالات ادبية ونقدية، وما يقوم به من دراسات تاريخية واسلاميـة ، أم ان عبد الله كنون الذي كان يمر عليه (الحول والحولان، لا (يقول) فيهما بيتا شعريا واحدا) (6) قد زهد في الشعر ، ونفقت سوقه عنده ، فاعرض عنه . اننـا نظن ان التبرير الاول هو الاقـرب الى الصـواب ، ودليلنا على احقيته ان الشعر ـ في نظر كنـون ـ يحتاج الى صفاء ذهن وتوثب روح ، وتفرغ شامل ، وعفو سجية ، وفيض خاطر (7) . ولان المشاغـل كثيرة فان عبد الله كنون لا يلجأ الى الشعـر الا اذا اعوزته الضرورة الى ذلك ، فقد اخبرنا انه لما توفي المرحوم علال الفاسي احب ان يرثيه ، فالفى المقالة عاجزة عن ايفائه حقه ، والكلمة التأبينية قاصرة عن تحقيق المراد ، فكان ان نظم قصيدة اودع فيها كـل مواجده واحزانه وهمومه (8) .

وبناء على ذلك ، يتضح لنا أن الشعر عند كنون يأتي في المرحلة الثانية ، ولعل سر تأخيـر صدور ديوانه يؤوب الى ذلـك .

لوحـات شعريـة

ماذا يعني هذا العنوان الذي اختاره الشاعـر لمجموعته الاولى ؟

أ ـ أيعني انها منتقيات من أشعاره اجتلاهـا لانه الفها اقرب الى قلب القارىء ، وانفذ الى قلبـه ، وأيسر على لسانه ، والصق بالحيـاة المعاصـرة ، وطرائق التعبير عنها ؟

ب ـ أم انه يقصد به مجموعة من « اللوحات» تنتزع صورها من الذات ، والطبيعة ، والمجتمـع ، والاخلاق ، وتعبر عنها ؟

ج ـ أم انه يهدف الى ايهام القارىء انه أمام لوحة « تشكيلية » تمتح الوانها من الاخيلة المتماوجة، وتستعير فرشاتها من الاوزان الراقصة ، وتضـع اطارها على هدي من القافية اللازمة ، اي انها (رسم بالكلمات) على حد تعبير نزار قباني ؟

(أم انه وضعها فقط لانها (قطعة من نفسه ، وصورة من كفاحه مع الحياة) (9) ، ولانها (تجـارب معاشة وعواطف جياشة للشاعر) (10) ؟

---

(5) عبد الكريم غلاب : مع الادب والادباء ص : 21.

(6) مقدمـة لوحـات شعريـة ص : 8 .

(7) لوحة شعرية ص : 8 . ومقتطف من حديث اجريناه معـه .

(8) من حديث اجرينـاه معـه .

(9) لوحـات شعريـة ص : 8 .

(10) لوحـات شعريـة ص : 8 .

« لوحات شعرية » هي مفتاح كون عبد الله كنون الشعري ، والمسار المؤدي اليه ، يغري القارىء ، يحاصره ، يمسك به ، ويدفعه دفعا الى افتضاض بكارة ذلك الكون ، والاطلاع عليه . فماذا يضم في مساربه ؟

يقع ديوان « لوحات شعرية » في نحو مائة صفحة من النوع المتوسط ، وتضم هذه الصفحات المائة اربعين قصيدة تتوزع بين الذات والطبيعة والوطنية والقومية والانسانية (11) . وقد التزم فيها عبد الله كنون بالعمود الشعري العربي القديم ، الا في محاولتين تحرر فيهما من البيت التناظري واتكا على البيت الاحادي الذي يرتكز اساسا على وحدة التفعلية . وهما محاولتان غير ناضجتين ، وسنبين فيما بعد ضحالتهما .

المبحث الاول :

البنية السطحية للديوان

تمهيد : سندرس ديوان « لوحات شعرية » على مستويين اثنين :

أ – **مستوى البنية السطحية** ، وسنحلل فيها بنية الضمير ، واستعمال واو العطف ، وبنية الاوزان ، وبنية القافية ، وبنية التشكيل الموسيقي ، والصور الشعرية ، والبعد المعرفي في ذاكرة عبد الله كنون الشعرية .

ب – **مستوى البنية العميقة** ، وفيه سنعرض الى موقفه من الاستعمار ، ومجاهرته بالعداء للظهير البربري ، وامتزاجه بالذات الجمعية اثناء التعبير عن المطالب ، ومنها سنستخلص موقفه المجتمعي .

1 – بنية الضمير

أ – المتكلم المفرد :

من باب التقرير والاثبات القول بأن « المتكلم المفرد » هو الضمير الاكثر استعمالا للتعبير عن الذات ، وتصوير كوامنها ، والاعراب عن معاناتها ، والافصاح عما يعتمل في دواخلها من مشاعر مضطربة ، متداخلة ومعقدة .

ولان الشعر العربي غنائي بالدرجة الاولى ، فانه سيلزم حضورا ازليا وابديا لصاحب النص الشعري . ولن نضرب الامثلة على ذلك ، فهي اجلى من أن تعد وتحصى .

ويبدو أن عبد الله كنون لم يشذ عن القاعدة ، ولم يحد عنها الى الاستثناء ، فقد تتبعنا تتبعا دقيقا قصائد الديوان بعد واحصاء هذا الضمير ، فوجدناه حقا يطابق القاعدة المقررة آنفا . ونذلل لذلك بقصيدة « هل انا اديب ؟ » (12) حيث ورد فيها ثمان مرات ، وقصيدة « الحماسة المصرية » (13) التي يفخر فيها بنفسه وقد ورد فيها أربع واربعين مرة ، وعرجنا على قصيدتي « مواجد » (14) و « مناجاة » (15) . فوجدناه في اولاهما ست وعشرين مرة ، وفي ثانيتهما ثمان عشرة مرة . وبالاضافة الى ذلك هناك قصيدة « مثنويات حكيمة » (16) التي يخاطب فيها الشاعر نفسه ، ويقوم بمحاورتها مع تصوير حالته وردود افعاله حيث جاء فيها ضمير « المتكلم المفرد » ثلاث وعشرين مرة .

ونلاحظ بان عبد الله كنون يستعمل « تكنيكا » شعريا آخر للتعبير عن الذات عندما يعمل على احلال « الغائب المفرد » محل « المتكلم المفرد » ، وجعله يمارس مهمته ، ويقوم بوظيفته . وهذا « التكنيك »

---

(11) سنوضح ذلك في موضعه من هذا الفصل .
(12) الديوان ص : 14 .
(13) الديوان ص : 21 .
(14) الديوان ص : 27 .
(15) الديوان ص : 91 .
(16) الديوان ص : 81 .

ليس جديدا ، اذ انه متجذر في تربة المتن الشعري العربي القديم ، حيث يعمد الشعـــراء الى تفريــــغ مكبوتاتهم ، والتنفيس عنها ، والقيام بعملية تطهيرية لها . وخوفا من ان يصحبهم الناس بتورم الانــــا ، والتعالي والغرور فقد تجنبوا تكرار ضميـــــر الانـــا « المتكلم المفرد » ، وعوضوه ب « الغائب المفرد ». وقد تجلى هذا الاستبدال بقوة في القصائد الكتونية التي تنبع من الذات ، وتعبر عن الذات ، وتعــود الى الذات . ومثال ذلك القصائد « من هو الغريب»(17)، و « هواجس الطبيعة » (18) و « سل عقد الهم » (19) و « أشواق » (20) ، و « كان لي قلــــب » (21) ، و « قلب » (22) ، و « الشاعر » (23) ، « صورة »، و « حقول الذرة في الصيف » (24) . وهي قصائد لا نشك بانها تحفر مجراها في نهــــر الــذات ، لان المواضيع التي طرقتها خاصة ، وحتى بعضها الذي كان اكثر لصوقا منه بالطبيعة من الذات يدخـــل في نفس الاتجاه لان هذه الطبيعة لا يمكن ان ترى بعيـن مجردة لا دخل للادراكـــات والعواطــف والاهــواء والاحساسات فيها . وعلى هدي من ذلــك ترســــخ اقتناعا بان ذلك لا يعدو أن يكون ضربا من الاستبدال، وبان هذا « الغائب المفرد » انما هو صورة جديــــدة « للمتكلم المفرد » في زي جديد ، وبطريقة مخالفـــة ومغايـــرة .

ب ــ المتكلــم الجمــع :

لا نجد هذا الضمير بينا بنفس القـــوة التي الفينا عليها الضميرين الســابقين ، ولكننا عندما نعثر عليه ، فانه يكون في موضع يتميــز بالتغنـــي بالامجاد الماضية ، ويتــم باستنهــاض الهمــم ، وايقاظ الضمائر والنفوس ، وقرع النواقيس بقـــوة ليستفيق الهجع النائمون ، ويرى ذلك ــ مثلا ــ في قصيدة « آلام وأحلام » (25) التي يصور فيها الشاعر حالة المسلمين في هذا العصر ، مناديـــا بضرورة كبح جماح النفس اللعـوب ، والسعــي في طلــب المعرفة والعرفان ، وطرد الاجانب . وقد ورد فيها هذا الضمير اثني عشرة مـــرة ، امـــا « المتعـــة المنغصة » (26) فلم يبعد ثمان مرات .

وهناك ملاحظة لا بد من اثباتها ، وهي ان هــذا الضمير يزداد حدة ، كلما كانت المناسبة وطنيـــة تمس الكيان ، كمناسبة عيد العرش ، وثورة الملك والشعب التي يهتبلها الشاعر فرصـــة ليضمـــن في قصيدته المدحيـــة أبياتا في الفخــــر بالنـفــس ، وبالوطنية ، والرغبة المشبوبة في طــــرد المحتـــل وتحقيق الاستقلال في كنف عاهل البلاد . ونلمـــح ذلك في قصيدة « عيد العرش لسنـة 1950 » (27) حيث اتى ست عشرة مرة ، وقصيدة « ثورة الملــك والشعب » حيث جاء ثلاث عشرة مرة . وقد تمتـد هذه الوطنية لتغدو قومية وخاصة حين يرثي الشاعر « بلفور » (28) ، وينتهزها مناسبة للتذكير بالارض السليبة فلسطين ، والاعلان أن الحق سوف يدمـــغ الباطل ، وانّنا :

سـ « نمزقه باطراف العوالــي
اذا هجنا وبالجيش اللهام » (29)

ومن هنا فان ضمير (المتكلم الجمع) لا يدخل الا في هذا النوع من الرثاء الذي يأخذ ابعادا قومية ، لانه في ثلاث قصائد اخرى موقوفة على الرثاء لا يطالعنا هذا الضمير الا لمامـــا .

---

(17) الديـــــــوان ص : 20 .
(18) الديـــــــوان ص : 23 .
(19) الديـــــــوان ص : 36 .
(20) الديـــــــوان ص : 38 .
(21) الديـــــــوان ص : 48 .
(22) الديـــــــوان ص : 55 .
(23) الديـــــــوان ص : 72 .
(24) الديـــــــوان ص : 16 .
(25) الديـــــــوان ص : 9 .
(26) الديـــــــوان ص : 26 .

أوليات

إعداد : الأستاذ محمد العرائشي

سكان المغرب الاولون :

يكاد المؤرخون يجمعون ، على ان سكان المغرب الاولين من البربر ، قدموا اليه من القارة الاسيوية عبر مصر وليبيا ، واستوطنوا به بعد العصر الحجري.

وكانت دياناتهم الوثنية ، ولما دخله العرب الفاتحون ، تخلوا عن وثنيتهم وتدينوا بالاسلام .

والبربر كما ذكر ابن خلدون : جيل كبير عظيم ، ولهم شعوب وقبائل اكثر من ان تحصى .

اول بناء للبربر بالمغرب :

ذكر ابو القاسم الزياني (1) في الترجمانة : ان مدينتي سلا وشالة هما اول بناء بناه البربر لما دخلوا المغرب . واختلف في بانيهما فقيل : الاسكندر ، وقيل افريقش .

اول دولة اجنبية عرفها المغاربة :

دولة القرطاجنيين هي اول دولة اجنبية عرفها المغاربة في العصر الجاهلي ، فقد ربطت علاقتها بالمغرب عندما اسس الفينيقيون بالقطر التونسي (قرطاجنة) وبالقطر المغربي : الروصادير (مليلية) وطنجيس (طنجة) وليكسوس (العرائش) وقد استفاد المغاربة من هذه العلاقة ماديا وادبيا .

اول ملك مغربي تزوج أميرة مصرية :

هو (يوبا الثاني) ملك موريطانيا المتوفى سنة 18 م ، فقد كان متزوجا بالاميرة (كيلوبطرا) بنت كيلوبطرا ملكة مصر المشهورة .

اول مدينة مغربية اعترفت بالقائد عقبة :

في عهد معاوية بن ابي سفيان ، توجه عقبة بن نافع الفهري (2) بامر من معاوية الى غزو بقية البلاد المغربية وكان عقبة قد ابتدا غزوه لاقاليم المغرب الاقصى بسبتة . ولما حل بها اقتبله (يوليان الغماري) الذي كان واليا على اقليم الريف باسم قسطنطين الرابع : امبراطور (بيزانس) واقره في ولايته باسم الخليفة ، لان معاوية جعل له الولاية على المناطق التى يتم فتحها على يده . فكانت مدينة سبتة بسبب ذلك اول مدينة مغربية ، اعترفت

---

(1) مؤرخ الدولة العلوية وكاتب سر احد ملوكها الافذاذ محمد بن عبد الله ، تقلب في وظائف عدة ، فكان وزيرا وسفيرا ، والف عدة كتب ، منها : الترجمانة الكبرى في اخبار المعمور برا وبحرا .

(2) ولد قبل الهجرة بسنة وشهد فتح مصر ومات شهيدا سنة (63 هـ) .

بالقائد الفاتح عقبة ، في القرن الاول الهجري الموافق للقرن السابع الميلادي .

اول من ركز الاسلام بالمغرب :

موسى بن نصير (3) هو اول قائد ركز قواعد الاسلام بالمغرب ، فمنذ ان اصبح عاملا على المغرب ، صار يلقن البربر تعاليم الدين الاسلامي ويدربهم على الاعمال الحربية بمساعدة البربري الشهير : طارق بن زيـــاد (4) .

وقد نقل الزياني في الترجمانة في هذا الصدد عن ابن ابي زيد ما ياتي :

قال ابن ابي زيد : ان البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة بافريقية والمغرب ، ولم يكمل اسلامهـم الا في ايام موسى بن نصير ، في خلافة الوليـد بن عبد الملك (5) وظهرت نجدتهم في جهاد الكفار ، ولم يذعنوا الا لولاية اهل البيت ، لما نزل عليهم ادريس ابن عبد الله الكامل ايام الرشيد .

اول مدينة بنيت بالمغرب بعد الاسلام :

جاء في المصدر السابق (6) ما ياتي :

واما بعد ظهور الاسلام ، فاول مدينة بنيـت بالمغرب ، مدينة النكور (7) اسسها ادريس ابـن صالح الحميري عام ثمانين ، وجهه حسان بن النعمان الغساني امير عبد الملك بن مـروان (8) بافريقيـة لفتح المغرب ، فنزل الريف ، وعليـه اسلم قبائـل لواتة ، واقام بتلك البلاد ، وورثها اولاده من بعده ، الى ان انتقلوا اعوام الفتنة الى الاندلس .

اول مولود في الاسلام بالمغرب :

ذكر صاحب كتاب (محاضرة الاوائل) الشيخ علاء الدين علي دده ان اول مولود في الاسلام بالمغرب هو عبد الرحمن بن زياد الافريقي .

اول آل البيت دخولا الى المغرب :

اول من دخل الى المغرب من آل البيت ، هو المولى ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسـن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وفاطمـة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلـم . قدم اليه صحبة مولاه راشد (9) فـارا من بـطش العباسيين بالمشرق اثر وقعة فخ (10) التـي دارت رحاها بين العباسيين القابضين على زمام الحكم ، والعلويين المطالبين بالخلافة في الشرق سنة (169 هـ).

---

(3) فاتح الاندلس والمغرب الاقصى . اصله من وادي القرى بالحجاز . ولاه الوليد بن عبد الملك على افريقيا وما وراءها من المغرب سنة (88 هـ) وكان شجاعا لم يهزم له جيش قط . توفي (97 هـ).

(4) اصله بربري اسلم على يد موسى بن نصير ، وولاه قيادة غزو الاندلس ، فاستولى على جبل طـارق المنسوب اليه واحتل عدة مدن اندلسية ، توفي حوالى (102 هـ) .

(5) ابو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان من ملوك الامويين بالشام ، ولي بعد وفاة ابيه سنـة (86 هـ) ووجه القواد لفتح البلاد . توفي بدمشق سنـة (86 هـ) .

(6) ص 79 . ط. المحمدية (فضالة) .

(7) فرضة بالريف . ذكر ابن خلدون انها واقعـة بين نهرين : احدهما (نكور) ومخرجـه من بـلاد كزناية . والثاني (غيس) ومخرجه من بني ورياغل اهـ . توفي مختطها سنـة (143 هـ) قبـل اتمامها فتممها ولده سعيد بعد ولايته .

(8) ابو الوليد الاموي القرشي تولى الخلافة سنة (65 هـ) وتوفي بدمشق سنة (86 هـ) .

(9) ابن منصة الاوربي . قائد شجاع ، وسياسي ماهر . توفي سنة (186 هـ) ودفن بالقرب من الضريح الادريسي بمدينة زرهـــون .

(10) تقع فخ على بعد ثلاثة اميال من مكة المكرمة ومكانها هو المسمى اليوم بمكة بالشهداء او الزاهر . وسمي بالشهداء لدفن الحسين بن علي به هو وانصاره من اهل البيت . اهـ . من تعلـق لمحمد حسن تصحيف على كلمة (فخ) في نسخة من تاريخ ابن خلدون حسب ما ذكره الزركلي في الاعـلام ج 2 . ص 265 ط. الاولى .

أول مدينة اقام بها ادريس الاول :

مدينة وليلي (11) الاثرية ، هي أول مدينة اقام بها المولى ادريس بعد قدومه من الحجاز ، وكانت يومئذ اكبر مدن المغرب ، واعظم حاضرة رومانية في الاقليم الداخلي . نزل بها صحبة مولاه راشد على اميرها اسحاق بن محمد الاوربي البربري في غرة ربيع الاول سنة (172 هـ – 788 م) الذي أكرم وفادته ، ودعا البربر لبيعته .

أول من بايعه :

قبائل اوربة ، هي اول من بايعته . وكانت زمن البيعة اكبر قبائل المغرب عدة وعددا .

أول دولة اسلامية مستقلة بالمغرب :

بعد ما استجابت قبائل البربر لنداء اسحاق الاوربي بمبايعة المولى ادريس اماما ، الف جيشا من قبائل البربر ، واسس بعد ذلك اول دولة مغربية اسلامية مستقلة عن خلافة الشرق ، وطنها المغرب ، ورئيس دولتها وملكها ادريس الاول وذلك سنة (172 هـ – 788 م) .

أول مدينة اسلامية اسسها الادارسة بالمغرب :

بعد ما ضاقت مدينة وليلى بالوافدين من المشرق والمغرب ، على ادريس الثاني لمبايعته (12)، اسس مدينة فاس في ارض اشتراها بستة آلاف درهم ، ولما أتم بناءها اتخذها دار ملكه ، ومقر كرسي امارته (13) بنى عدوة الاندلس سنة (192 هـ) وعدوة القرويين سنة (193 هـ) .

أول ما بناه بها من المساجد :

أول مسجد للخطبة بناه ادريس الثاني بعدوة الاندلس هو جامع الاشياخ (14) ويعرف ايضا بجامع الانوار ، وبعدوة القرويين جامع الشرفاء متصلا بمنزله . ولم تزل الخطبة تقام بجامع الشرفاء ، الى أن انقرضت دولة الادارسة وتملكت زناتة ، فنقلوها الى القرويين لضيق جامع الشرفاء .

أول قاض مسلم بالمغرب المستقل :

عامر بن محمد القيسي معلم ادريس الثاني واحد تلامذة الامام مالك،هو اول قاض مسلم بالمغرب المستقل عينه ادريس الثاني قاضيا على مدينة فاس، وكان يعقد في الليل مجلسا لسماع المظالم .

أول من نزل بعدوة القرويين :

أول من نزل مع ادريس الثاني بعدوة القرويين ثلاثمائة بيت من اهل القيروان ، نزحوا عن بلادهم واتخذوا العدوة مقرا لهم ، فسميت باسمهم ونسبت اليهم ، كما سميت عدوة الاندلس باسم من هاجر اليها من الربضيين الذين اجلاهم الحكم بن هشام (15) عن الاندلس وكانوا يعدون بالالوف .

---

(11) هي المشهورة بقصر فرعون . تقع في سفح جبل زرهون الجنوبي على بعد 28 كلم. من مكناس، وتبلغ مساحتها اربعين هكتارا . ولا تزال معظم معالمها راقدة تحت الردم الى الآن .

(12) ولد ادريس الثاني في شهر رجب سنة (175) وبويع بوليلي في فاتح ربيع الاول سنة (186 هـ) وتوفي سنة (213 هـ) .

(13) انظر طريقة تخطيط هذه المدينة بكتاب (جنى زهرة الآس ، في بناء مدينة فاس) لابي الحسن علي الجزنائي . ط. الملكية .

(14) هو الواقع في مدخل زنقة سيدي بوجيدة .

(15) ابو العاص الحكم ابن هشام بن عبد الرحمان الداخل الاموي من أعظم ملوك الامويين بالاندلس ولي الامر بعد ابيه بقرطبة سنة (180 هـ) وتوفي سنة (206 هـ) .

اول وارد على فاس من الفهريين :

الفقيه ابو عبد الله محمد بن عبد الله الفهـري القيرواني هو اول من دخل الى مدينة فاس من الاسرة الفهرية . وقد وافته منيته بعد وصوله اليها وخلف بنتين : فاطمة ام البنين واختها مريم ، وثروة ماليـة من كسـب طيـب .

اول مسجد شيدته امراة من مالها :

ام البنين فاطمة بنت محمد الفهري القيروانـي السابق الذكر ، هي اول امراة اسست بمدينة فاس مسجدا من مالها الخاص بها (جامع القرويـن) . وقد كان الشروع في بنائه يوم السبت فاتح رمضان سنـة (245 هـ) .

اول خطيب بالقرويين وبجامع الاندلس :

بعد ما ضاق اول مسجد اسس بعدوة القرويين بفاس بالمصلين لكثرة الواردين عليها في ايام الامير يحيـى بن محمد بن ادريس بن ادريس الاول (16) نقلت خطبته الى جامع القرويين سنـة (345 هـ) وكان اول خطيب خطب به حسب بعض الروايات ، هو الشيخ الفقيه الصالح ابو محمد عبد الله بن علي الفارسي . كما ان اول خطيب بمسجد الاندلس بعد ما نقلت اليه خطبة جامع الاشياخ ، هو الفقيه الصالح ابو الحسن الصدفي .

القرويين اول مدرسة في العالم :

نقل المؤرخ الشهير ابن زيـدان في كتابـه (الاتحاف) عن مجلة الهلال (17) في تعليق له باوائل الجزء الثاني (18) ما ملخصـه :

ان اقدم كلية في العالـم انشئت ليست في اوربا كما يظن ، بل في افريقيا (في مدينة فـاس) عاصمة بلاد المغرب سابقا ، اذ قد تحقق بالشواهد التاريخية ، ان هذه المؤسسة كانت تدعى (كليـة قيروان) اسست في الجيل التاسع للميلاد ، وعليه ، فهي ليست فقط اقدم كليات العالم ، بل هي الكلية الوحيدة التي كانت تلقن فيها العلوم السامية ، حيث لم يكن سكان باريس وغيرها من عواصم اوربا يعرفون من الكليـات الا الاسم .

وقد توافدت عليها الطلبة من بلاد العرب ومـن انحاء اوربا . ومن جملة من تلقى دراسته بها البابـا (سلفستر) اول من ادخـل الى اوربـا الاعـداد العربية (19) بعد ان اتقنها جيدا في الكلية المذكورة .

اول عملـة وطنيـة بالمغـرب :

عرف المغرب لاول مرة بعد الفتح الاسلامـي عملة وطنية موحدة سكت بمدينة فاس سنة (185 هـ).

اول دولـة شيعية بالمغـرب :

في القرن الثالث الهجري اسس الفاطميون اول دولة شيعية بالمغرب بمساعدة كتامـة ، وكـان على راسها الامير عبيد الله بن محمد المهدي الفاطمي من ذرية جعفر الصادق الذي اختط مدينة المهديـة بالمغرب سنـة (303 هـ) واتخذهـا عاصمـة ملكـه (20) .

---

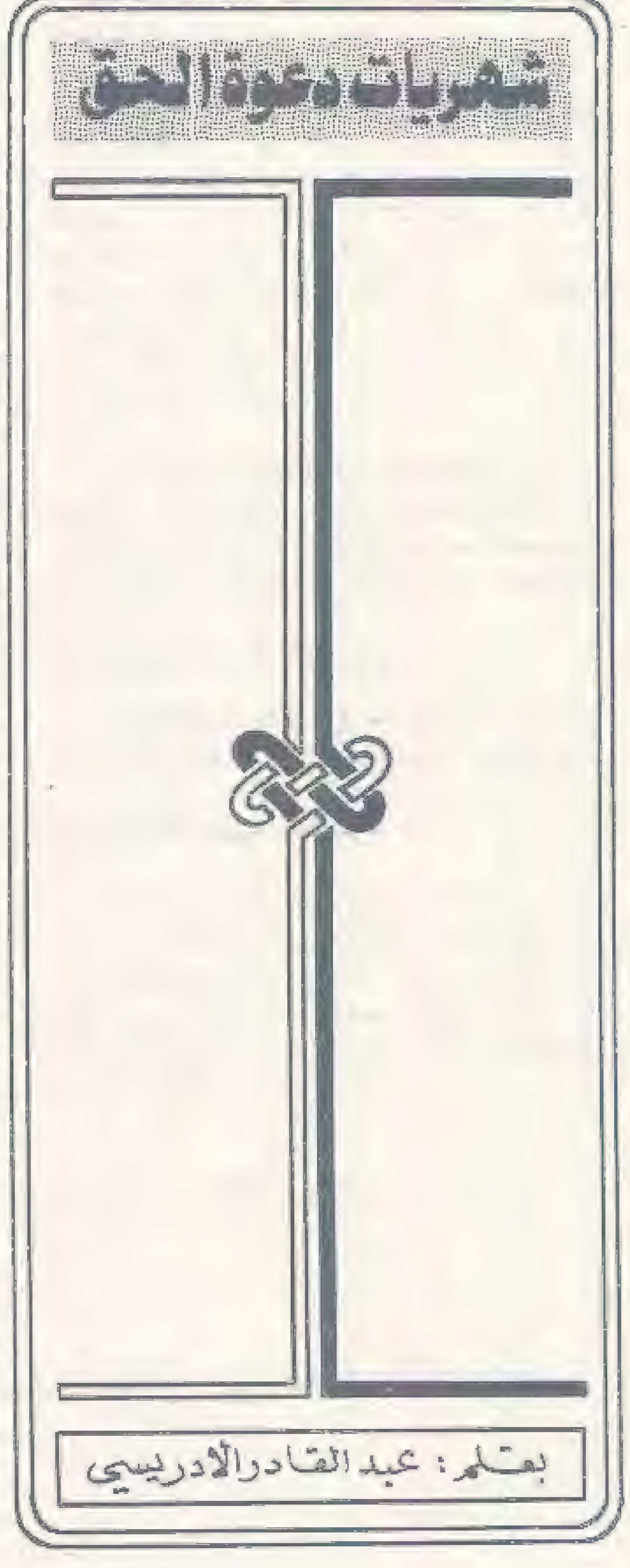
(16) خامس ملوك الدولة الادريسية . بويـع بعهد من اخيه علي سنة (234 هـ) وفي زمـن ولايتـه كثرت العمارة بفـاس .

(17) المجلد الاول بتاريخ 1315 هـ .

(18) ص. 7 — 8 .

(19) الارقام الحسابية المعروفة بالغباري . انظر عن هذه الارقام ج 1 من النبوغ المغربي للاستـاذ عبد الله كنون ط. دار الكتاب اللبناني ص. 279 .

(20) توفي بالمهديـة سنـة (322 هـ) .



حول الظهير البربري

●● تثير مسالة اعادة كتابة تاريخ المغرب الحديث كثيرا من الجدل في الاوساط الثقافية ، مما يجعل القضية تاخذ بعدا فكريا ووطنيا جديرا بكل تقدير واهتمام .

وبقدر ما يكثر النقاش حول هذه القضايا بقدر ما تنفتح امامنا آفاق جديدة للبحث والدراسة والاستقصاء .

ونحن اذ ننشر هذا (التصويب) الذي وافانا به الاستاذ الباحث احمد البوعياشي حول مقال له عن (العلامة عبد الرحمان بن القرشي) رحمه الله ، نتوخى التطلع الى اثراء هذا الجانب من الجوانب المتعلقة بتاريخ المغرب الحديث :

« جاء في البحث الذي كنت قدمته لمجلة دعوة الحق القراء ونشرته بعدد 6 ـ 7 لسنة 19 ، صحيفتي 88 ـ 89 في فقرته التالية : (انه بموجب صدور الظهير البربري عام 1930 احتج الشيخ الامام سيدي عبد الرحمن بن القرشي لما كان وزيرا للعدل امام السلطان مولاي يوسف .

ولما كانت هذه الفقرة بهذا الاسلوب جاءت غلطا مطبعيا واختزالا مضرا بالمقال ، وذلك عند الطبع على الآلة الكاتبة من طرف الكاتبة قبل ارسال البحث الى المجلة ، فاني اقدم البيان التالي : تصحيحا للغلط الواقع في البحث .

ان القضية البربرية مرت في مراحل ثلاث ، الاولى : باصدار ظهير 11 شتنبر 1913 بدعوى احترام التقاليد البربرية ، والثانية تخص القضاء المغربي ، ذلك انه بتاريخ 8 اكتوبر 1924 كانت الاقامة العامة بالرباط درست مشروع الظهير البربري ، وجاء في محضر الدراسة ان لجنة درس وتنظيم العدلية البربرية قررت ان ليس هناك من ضرر في تحطيم وحدة النظام العدلي في المنطقة الفرنسية ، وذلك بتقوية العنصر البربري ، نظرا للدور الموازنة الذي يمكن ان تستدعيه الحاجة .

وبعد تحرير هذا المحضر كلفت الاقامة العامة كاتبها العام للاتصال بوزير العدل الشيخ سيدي عبد الرحمان بن القرشي اذ ذاك ليطلب منه ان يكتب الى القضاة الشرعيين ليكفوا عن مزاولة مهامهم الشرعية في الجهات التي تسميها الاقامة العامة بالمنطقة البربرية ، الا ان الوزير لم يرضخ لذلك ، وهنا يحكي سيدي عبد الرحمان بن القرشي رحمه الله في مناسبات شتى انه وقع بينه وبين الكاتب العام جدال حاد عند ما قال له هذا الاخير هذه هي ارادة فرنسا ، فما عليك الا ان تخضع لارادتها ، واجابه الشيخ : فان فرنسا لها قوتها العسكرية فان شاءت ان تفرض ذلك فلتفرضه بالقوة ، اما انا بصفتي وزيرا للعدل له علاقة رسمية

مع السلطان ، وبصفته المرجع الاسلامي ، فانه لا يعمل على هدم الشريعة الاسلامية ، التي يعتز بها ، بينما احدى قدميه في القبر والاخرى خارجه ، (يشير الى طعنه في السن) فاذا اصررتم فما عليكم الا ان تقولوا لي اذهب الى حال سبيلك ، لاعيش بقية عمري ولو تحت طائلة الفقر .

ويحكي انه بعد هذا الجدال دخل (اي سيدي عبد الرحمان ابن القرشي) الى السلطان مولاي يوسف رحمه الله فحكى له ما جرى قائلا : ان اجدادك يا مولاي اوصلوا اليك هذا الملك لمحافظتهم على الشريعة الاسلامية .

ثم ما كان في الاقامة العامة الا ان اوعزت اليه بإذن باخذ رخصته ليستريح ، فذهب الى فاس ولم يرجع الى الوزارة ولم يطلبه احد بالرجوع .

اما المرحلة الثالثة فهي مرحلة صدور الظهير البربري سنة 1930 ، وفي هذه المرحلة كانت لسيدي عبد الرحمان بن القرشي جولة اخرى ضمن الوفد الوطني الذي تراسه والذي يضم العلامة السيد عبد الواحد الفاسي ، والد الاستاذ علال الفاسي بصفته كاتبا للوفد الى الاحتجاج على الظهير البربري امام الملك محمد الخامس قدس الله روحه بصفته (اي ابن القرشي) مواطنا وطنيا وليس وزيرا ، وبهذا وجب التنبيه على الغلط الحاصل في البحث المشار اليه والمنشور في مجلة دعوة الحق في التاريخ اعلاه ، وذلك لوضع الامور في نصابها .

وقد كنت انتظر متابعة نشر باقي البحث عن الشيخ الامام ابن القرشي لكي اقدم هذا التصويب ، ولكن لما طال الانتظار رأيت ان اتيه في ذلك ، مع الاعتذار لقراء المجلة » .

القرويين ..
في مطلع القرن 15 هـ

● آ ● كانت للمبادرة الطيبة التي اقدمت عليها رابطة علماء المغرب بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري والمتمثلة في اقامة احتفال ديني برحاب مسجد القرويين تخليدا لهذا الحدث ، كانت لهذه المبادرة اصداء طيبة وآثار حميدة ، اذ راى فيها الجميع علامة على تطور جديد نحو النهوض برسالة العلماء انطلاقا من تصحيح الوضع في القرويين ، باعتبارها معقل الفكر الاسلامي والثقافة العربية ، ليس في المغرب فحسب ، وليس في افريقيا الغربية فقط ، وانما في مختلف انحاء العالم الاسلامي بدون مراء .

من اهم الكلمات التي القيت في القرويين احياء لهذه المناسبة كلمة الاستاذ العلامة عبد الله كنون الامين العام لرابطة علماء المغرب . واذا كان قد تعذر علينا نشر وصف مفصل لهذا الحفل العلمي الكبير ، فيسرنا ان ننشر في هذا الصدد كلمة استاذنا كنون :

بسم الله الرحمن الرحيم   وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ايها الاخوة المومنون

السلام عليكم ورحمة الله

يسرني ويسعدني ان اتحدث اليكم بعض الوقت في هذا اليوم المبارك الذي اخترناه للاحتفال بطلعة العام الفاتح للقرن الخامس عشر الهجري ، وفي هذه البقعة الطاهرة التي تدنيها بتاريخها العريق في القدم ، من عهد النبوة والهجرة ، اثني عشر قرنا ونصف قرن ، اي منتصف المائة الثالثة التي تدخل فيما شهد له النبي صلى الله عليه وسلم من الزمن بالخيرية اذ قال : خيركم قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) .. واي مكان مثل هذا المسجد الجامعة او الجامعة المسجد الذي درج فيه عشرات الالوف بل مئات الالوف من ائمة الهدى ومصابيح الظلام ، يحق ان ننطلق منه ، نحن ابناءهم واحفادهم لنحمد الله على ما اتاح لنا من هذا اللقاء الكريم على تقوى منه ورضوان ، مغتبطين مبتهجين بسمو دعوة الاسلام وعلو كلمتها على الكلم ودخولها في القرن الخامس عشر عالية البنيان مرفوعة اللواء ، لا يزاحمها او يباريها دعوة من الدعوات ، سماوية كانت او ارضية ، قديمة او محدثة ، فالايمان الصحيح لا يوجد الا فيها ، والطريق الى الله لا يعرف الا منها ، (ان الدين عند الله الاسلام) (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) .

وحقا فان هذا الدين المعجزة قد نسخ الاديان وعفى عليها ، فهو ما اتى حتى كانت اليهودية قد بدلت وغيرت وحلت المسيحية محلها ، وهذه لم يات عليها قرن واحد حتى شيبت بالعقائد الوثنية ، وفي القرن الثالث اسبغت كلمة اتباعها رسميا على تبني عقيدة التثليث فضلت عن سواء السبيل . ولا تذكر الاديان الاخرى المنتشرة في الهند والصين ، فهذه ليست لها صلة بالسماء ولا بالوحي المنزل . على ان هذه الاديان كلها في العصر الحاضر قد وقعت تحت سيطرة المذاهب المادية الملحدة فأسلمت لها القياد وسارت في ركابها ، ولم يبق منها اسم ولا رسم الا في المعابد المعزولة عن الحياة العامة والاوساط الكهنوتية الغريبة عن المجتمع .

لكن الاسلام ، ديننا الحنيف ، بقي على مر العصور ، وكر الدهور محتفظا بجوهره النقي ، وعقيدته الصافية ، وشريعته السمحة ، ودستوره الاخلاقي ، وها هو يتخطى عتبة القرن الخامس عشر على ظهوره ، واتباعه يعدون بمليار نسمة ، اي ربع سكان العالم ، ويجتاز فترة سحوليه لينشر بمستقبل زاهر ، يستعيد فيه عزه ، ويحمي حقيقته ، وما بينه وبين ان يتبوأ من جديد مكان الصدارة في العالم الا ان يحل مشكلة فلسطين ويحرر القدس الشريف ، وهو فاعل ذلك عن قريب ان شاء الله ، فكلمته الى جمع ، وامره الى اقبال ، وما انعقاد مؤتمر القمة الثالث بحرم مكة وفناء الكعبة الا التزام وقسم ، كما قال جلالة الملك نصره الله ، من ملوك ورؤساء البلاد الاسلامية ، بفريضة

الجهاد على مختلف الاصعدة حتى تكون الامة الاسلامية كما أراد لها الله عز وجل ، خير أمة أخرجت للناس .

ويكفينا دليلا على ان انبعاث الاسلام وعودتـــه كمـا يـبدأ انتشاره في اروبا وامريكا بشكل لم يسبق له نظير من غير جهد كبير ، حتى اصبح هو الدين الثانـي في كثيـر من هذه البـلاد كانكلترا وفرنسـا وبلجيكا وهولاندا والمانيا ، وان العشرات مـن المسـاجد تفتح في هذه البلاد ، في حين أن كثيـرا من الكنائس تغلق ، وقد تحول الى مسـاجد ، مصداقا لقوله تعالى : (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركـــون) .

أيها الاخوة المومنون :

ونحن نحتفل بالقرن الخامس عشر الهجري لا بد ان نعرف لماذا كانت الهجرة مبدأ التاريخ الاسلامي ، فان في ذلك عبـرة وذكرى لقوم يعقلون :- ان الهجرة حدث عظيم في حيـــاة الاسلام ولا شك ، ولكن هناك احداث اخرى عظيمة كذلك مثل مولده صلى الله عليه وسلم وبعثه وغزوة بدر التي سجلت أول انتصار للاسلام على الشرك ، وفتح مكة الذي طهر البيت الحـــرام من عبـادة الاصنـام ورفع راية التوحيد على جزيرة العرب فاصبحـت منـارا يهتدى به العالم في ظلمات الجهل والاشراك . كل هذه الاحداث تصلح لان تكون مبدأ للتاريخ الاسلامي لولا ما يقترن بكل منها من معنى لا يتلاقى مع هدف الرسالة الخالدة ، او يضؤل امام ما ادت اليه الهجرة من نتائج لانتشار الدعوة لا تطال .

فالميلاد وان كان هو مبدأ انبثاق النور المحمدي الا انه ربما صرف الناس الى الاهتمام بذات المولود ، والاسلام آبى جريا على هذا الاهتمام ، فانه قاد النصارى الى تأليه المسيح ، وقاد بعض المسلمين بعد ذلك الى نوع من الغلو في حق بعض الاوليـــاء الصالحيـــن .

والبعثة هي في الحقيقة أول مظهـر تجلـت فيه عنايـة الله ببداية الخلق من جديد ، بعد ان انحرفوا عن الطريق المستقيم ، وما اتتهم به الرسل السـابقون من شرع ودين ، ولكن آثرها لــم يظهر ظهورا بينا ولم يتحقق المراد منها الا بعد الهجرة ، وقـد ذاق المسلمون في اعقابها الامرين ، وهاجروا فرارا بدينهم الى الحبشـة ، وكانت الاعوام التي تلتها فترة امتحـان شديـد لهم وللنبـــي صلى الله عليه وسلم .

كذلك وقعة بدر وفتح مكة فانهما معركتان مهمتان اذال الله بهما المسلمين من عدوهم واعقبهم نصرا وتمكينا ، انما اذا نظرنا الى الامر بعين الواقع نجد انهما من ثمرة الهجرة وخيرها وبركتها ، فالهجرة اذن هي المنطلق الفعلي والموقف الحاسم في تاريخ الاسلام وكل ما تحقق بعدها من منجزات ، وتتابع من نجاحات ، محسوب عليها وراجع اليها . ولذلك لما تداول عمر مع الصحابة رضي الله عنهم في امر التاريخ ، فقال بعضهم ارخ لمبعث رسول الله (ص) قال عمر لا بل نؤرخ لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الهجرة فرقت بين الحق والباطل .

ولا ريب في أن الهجرة كانت تضحية كبيرة من المسلميـن الاولين ، فقد فارقوا أرضهم وتركوا اموالهم وديارهم في سبيـل المحافظة على عقيدتهم والممارسة لدينهم وحريتهم ، ومنهم من فارق اهله وذويه واحب الناس اليه من أب وام وزوجة وولد ، صدعـا بامر ربهم وايثارا لطاعته وطاعة رسوله على اهواء انفسهم ، كمـا قال تعالى في حقهم : (للفقراء الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصـرون الله ورسوله ، أولئـك هم الصادقون) .

وقد قوبلت هذه التضحية من مسلمـي المدينـة ، وهـم الانصار ، بما تقتضيه الاخوة في الدين من تعاون وتضامن فخلطوهم بانفسهم وتقاسموا معهم اموالهم وديارهم ، وآثروهم على الحاجة بما عندهم ، كما قال عز وجل فيهم : (والذيـن تبـوأوا الـدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

وكانت أعظم نتائج هذه الحركة هي تجمع المسلمين في موطن واحد يمكنهم من الدفاع عن انفسهم والدعوة الى دينهم ، والتجاهر بما لم يكونوا يستطيعون التجاهر به من العمل على ارساء قواعد المجتمع الاسلامي واقامة حكومة شرعية تناهض الفساد ، والظلم والاستعباد ، وهكذا ما مرت سنة على حادث الهجرة حتـى وجـد المشركون انفسهم امام قوة اسلامية تقاتلهم على كلمة الله ومقاومة التجبر والطغيان وتنتصر عليهم وهي فئة قليلـة ويهزمـون وهـم فئـــة كثيـــرة .

بهذا كانت الهجرة أبرز حدث في نظر عمر (ض) حين وضع تاريخ الاسلام ، فاصبح يقابل تاريخ الميلاد في جميـع تواريـخ العالم ، والعجب من وثبـة أرعن ابتليت به بعض البلاد الاسلامية ، اذ خالف اجماع المسلمين وجعل مبدأ تاريخ الاسلام هـو وفـاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلم يفهم مغزى التاريخ بالهجرة ، وأتى بما لم يقبله منه احد ، ودل على بلادته ، وشق العصا على الخليفة الراشد وسلف الامة وخلفها .

اخرج البخاري عن سهل بن سعد (ض) قال ما عدوا مـن مبعث النبي (ص) ولا من وفاته ، ما عدوا الا من مقدمه المدينة .

أيها الاخوة المومنون :

تقترن الهجرة بالنية في موطنيـن اثنيـن على مـا جـاء في الحديث : (أولهما) في الهجرة الكبرى ، هذه التي امر الله بها الاسلام وكانت حدا فاصلا بين الحق والباطل ، على ما جـاء في الصحيح عن عمر بن الخطـاب (ض) عن النبـي (ص) قـال : (انما الاعمال بالنيات وانما لكـل امرىء ما نـوى) فمن كانـت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانـت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجـر اليه . (وثانيهما) في الهجرة الباقية التي خلفت الهجرة الاولى وهي الجهاد كما ثبت في الحديث المتفق عليه : لا هجرة بعـد الفتح ولكن جهاد ونية . وهذا دليل على ان النيـة هـي محـور الاعمال وان ما تأتيه وما تذره يجب ان ينطوي على نية الطاعـة والقربة الى الله عز وجل والا كان هباء منثورا .

عمل ان لم يوافق نيـة   فهو قرص لا يرى منه ثمر

ولا غرو فان الله عز وجل يقول : (وما أمروا الا ليعبـدوا الله مخلصين له الدين) ، وفي الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أقوالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم ، وفي الحكم : « الاعمال صور قائمة روحها وجود سر الاخلاص فيها »

وبذلك تكون النية شطر الدين ؛ لان الدين قول وعمل وكلاهما متوقف على النية . والف العلامة أبو عبد الله بن الحاج العبدي الفاسي كتابه المدخل الى تنمية الاعمال بالنيات ؛ يجعل كل أعمال الانسان عبادية كانت او عادية تكتسي صفة القربة والطاعة اذا صدرت منه عن نية حسنة . ألم يقل النبي (ص) « وبضع أحدكم صدقة ، قالوا يا رسول الله أياتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال أرايتم لو وضعها في حرام ألا يكون عليه فيهما الاثم » .

ومن هنا نعلم أن ما يمكن ان نحصله من الثواب بحسن النية كثير ؛ فالمومن يستطيع ان يكون في عبادة دائما بحسن نيته وفي صلة بربه لا تنقطع . فحسن النية جنة من الاسواء والاهواء .

ولذلك قال الامام أحمد بن حنبل لولده عبد الله وقد سأله ان يوصيه : انو الخير يا ولدي ، فانك ان فعلته تضاعف أجرك وان لم تفعله كتب الله لك ثواب نيتك .

أيها الاخوة المومنون :

ان كان الجهاد هو بديل الهجرة مع حسن النية ؛ فان هناك بابا آخر من الهجرة أرشد اليه الحديث الصحيح القائل : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمومن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ؛ والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» فمن لم يقدر على الجهاد ليكون له ثواب الهجرة ، فليترك المنهيات التي امر الشرع بتركها وليهجرها هجرة كلية يكن كمن هاجر الى الله ورسوله . والشارع لم ينهنا الا عما فيه ضرر لنا كالفواحش من الزنى وشرب الخمر والقمار وما اليها ؛ والكبائر من الكذب والغيبة والنميمة وما أشبهها ، فالكف عنها تجنب لشرورها وهو في صالح المرء ؛ ومع ذلك فانه يثاب عليه هذا الثواب العظيم ، وذلك بالحاقه بزمرة المهاجرين . ولكونها مضار محضة لم يرخص الشرع في شيء منها بخلاف الاوامر ؛ فانه أناطها بالاستطاعة كما جاء في الحديث ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فانتهوا .

أيها الاخوة المومنون :

هناك بالعكس ؛ هجرة منهي عنها لما فيها من المخالفة لما جاء به الدين الحنيف من الامر بالبر والصلة والتعاون على الخير وجمع كلمة المسلمين وجعلهم يدا واحدة على عدوهم وصفا متراصا لنصرة الحق واعلاء كلمة الله كما قال النبي (ص) « المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ؛ وقال تعالى (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) ؛ وتسمى السورة التي منها هذه الآية سورة الصف تنويها بالوحدة وحضا عليها؛ فانها سبيل العزة والكرامة والنصر والتمكين ؛ وهذه الهجرة المنهي عنها هي التي قال فيها الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم « لا يحل لامرىء مسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث؛ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » .

أيها الاخوة المومنون :

ونحن نودع القرن الرابع عشر ونستقبل القرن الخامس عشر ؛ ينبغي أن نتذكر الحديث الشريف القائل : « ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها » وان نتأمله جيدا لنستخلص منه المغزى الذي يهمنا ويتجاوب مع حالنا بصفتنا مسلمين أصحاب رسالة علينا أن ننهض بها ونعمل بها في أنفسنا ونبلغها لغيرنا كما أمرنا بذلك رسول الله (ص) وحضنا عليه في أكثر من حديث كقوله « بلغوا عني ولو آية » وقوله « فليبلغ الشاهد منكم الغائب » وقوله « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع » .

وقد قال العلماء في المجدد انه من أهل العلم وقالوا انه من اهل الحكم وقالوا انه فرد وقالوا إنه جماعة وقالوا انه في كل طبقة من الناس ؛ ففي الفقهاء مجدد وفي المحدثين مجدد وفي الصناع مجدد وفي الحكام مجدد ؛ ولما دشن جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يوم فاتح محرم لهذا العام أول احتفال بالقرن الهجري الخامس عشر ، وجه نداء الى شعبه الوفي طالب فيه كل مواطن كيفما كان شأنه ان يعمل بقدر وسعه على تجديد الدين وان يحرص على الدخول في هذه الزمرة التي يتبطل بها الله عز وجل مهمة بعث الإسلام واحياء تعاليمه والذب عن شريعته والوقوف عند حدوده ؛ وهي فكرة صحيحة ونظرة صادقة لو أخذنا بها لصلح امرنا وعز شأننا ولاستقمنا على الطريقة ولبدلنا من غينا رشدا ، فلتجعل هذه الغاية نصب أعيننا ولنسلك اليها من أقرب السبل ؛ فالحاكم يلتزم العدل والمحكوم يلتزم الطاعة والعامل يلتزم النصح وصاحب العمل يلتزم الانصاف والعالم يلتزم قول الحق والتاجر يدع الربا والصانع يتجنب الغش والطالب يتوخى التحصيل والمرأة ترعى بيتها ورجل الامن يؤدي مهمته باخلاص ؛ وهكذا نعيد بناء المجتمع على أساس من الفضائل والاخلاق الكريمة التي جاء بها الاسلام وجعلنا مؤتمنين عليها وحراسا لها ، قال تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) . وبالله التوفيق لا رب سواه ولا نعبد الا اياه والسلام عليكم ورحمة الله .

من بيت الاستقصا

●● توفي الى رحمة الله خلال الفترة القصيرة الماضية عدد من أعلام الفكر والادب والشعر والعلم في بلادنا . ومن الواجب تسجيل تراجم وافية لهؤلاء العلماء والادباء والشعراء والدعاة الذين نكبت فيهم المغرب في وقت هو في أشد الحاجة الى جهودهم العلمية والثقافية لاغناء الحياة الفكرية والاسهام في الدفاع عن الوجود المعنوي لهذه البلاد .

ومن حق الاستاذ الحاج احمد معنينو علينا أن نذكر له نشاطه العلمي في كتابة تراجم متعاقبة لعدد من علمائنا من الجيلين الاول والثاني . وهو وفاء تميز به الاستاذ معنينو واخلاص لطائفة من الرجال خدموا بلادهم بما وهبهم الله من علم وثقافة وموهبة .

ومن الذين توفاهم الله أخيراً وكان لهم حظ وافر في الحياة الثقافية ولم يأخذوا نصيبهم من التعريف بهم وبأعمالهم المرحوم الاستاذ جعفر بن أحمد الناصري نجل مؤلف كتاب (الاستقصا) الذي أصبح عمدة بين الكتب المختصة في تاريخ المغرب عبر مختلف العصور . وهذه ترجمة بقلم الاستاذ الحاج أحمد معنينو للفقيد رحمه الله :

جعفر الناصري ازداد بمدينة سلا بتاريخ 23 شوال 1310 هـ موافق 10 مايو 1893 م ، وربي في احضان العلم والفضيلة والسلفية ، وتلقى علومه عن مشايخ وقته ، وشمر عن ساعد الجد والاجتهاد حتى أينع غصنه وأورق . وفي هذه الاثناء فتحت المدارس العصرية لتعلم اللغة الفرنسية فكان من الرعيل الاول في ولوجها ، وانتقل الى ان حصل على القدر المطلوب منها الذي تفتح به الآفاق الخارجية في مجالات الابحاث العلمية ، وفي نفس الوقت لم يستغن عن مواصلة الدراسة العربية الاسلامية عن شيوخ العدوتين سلا والرباط ، يضاف لذلك ما كان يحيط بهذه الدراسات من ولوج المجالس السامية والمحاضرات والمساجلات والمطارحات العلمية والادبية ، ضمن اخوان الصفا ، وأرباب الصداقة والوفاء :

بقدر الكد تكتسب المعالي   ومن طلب العلا سهر الليالي

وعند ما اشتد يراعه ، وتفتحت عبقريته ، أصبح يقرض الشعر الحي ، ولجنابه في الميدان صولات وجولات ، قال عن مسقط رأسه : سلا :

حبذا سلا مأوى السرور   ومقر أرباب الصدور

وقال عن ضريح ابن الخطيب بفاس :

ضريح ابن الخطيب اسال عبرة   واذكرنا بماض فيه ذكرى
وأوحى من مهابته شعورا   يزيد النفس آلاما وحسرا

وكل ما صدر منه من شعر وقريض حصل أيام صباه ، وزمان شبيبته ، حيث كان الوقت يزخر بالادباء والشعراء بالعدوتين ، وظهر التجديد في الاتجاه الادبي ، مناهج ومسالك ، فكان قاموس لسان العرب الفصاحة ونهاية الارب يصول ويجول صاحبهما في ميادين الادب ، وهذا هو الشرط الاساسي في عصمة القلم واللسان من الخطأ والزلل ، مهما استطاع الكاتب لذلك سبيلا :

أرى المجد سيفا والقريض نجاده   ولولا نجاد السيف لم يتقلد

ولست أذكر مناقبه وما بلغه من شأو في العلا والامجاد ، بل الغاية من هذه السطور تسجيل ما خلفه من مؤلفات علمية نادرة ، وأبحاث ودراسات جد غالية وسامية ، بحيث تجده ألف مؤلفات عدة لم يسبق اليها ، وخلد فيها أمجاد الامة المغربية التي عز منها وإليها هي :

1) المحيط بالمهم من أخبار صحراء المغرب وشنكيط ، في مجلدين ضخمين .

2) الاحصا لما وقع فيه الاستقصا ، في مجلد ضخم ، ذيل لكتاب والده الاستقصا .

3) ابن الخطيب بسلا ، مؤلف نادر جامع مانع حيث آوى اليها أيام نكبته .

4) سلا ورباط الفتح ، وأسطولهما ضمنه تاريخ العدوتين منذ نشأتهما .

5) سلا في التاريخ — تضمن تاريخ سلا الحديثة .

6) الاسطول المغربي يتضمن تاريخ الاساطيل المغربية .

7) أعمال المبشرين بالمغرب وصحرائه ، وافريقيا ، تضمن تهاجم المبشرين الخ .

8) الجديدة وأكادير ، مدينتان برتغاليتان بالمغرب .

9) الكتابة والكتب والمكاتب ويتضمن تاريخ اهتداء البشر الى وجود الكتاب .

10) ماضي القرويين وحاضره ، يشتمل على تأسيسه وسير التعليم به ونظامه الخ .

11) سر عقد السبحة والصالبة ، بحث في اعتقاد أهل الاديان والملل والنحل .

12) رسالة في مشروعية الختان الخ .

13) رسالة الملابسة الحسنة الرشيدة .

14) تفجير العناصر من تراجم أعيان آل ناصر .

15) سيرة أحمد بن خالد الناصري رحمه الله .

16) ترجمة أخيه سيدي محمد العربي الناصري رحمه الله .

17) ترجمة شيخه أبي شعيب الدكالي رحمه الله .

18) الرحلة الفاسية .

19) الرحلة البادسية .

20) ديوان شعر .

21) مجموعة مقالات .

22) مجموعة مقالات ومحاضرات : مع عدة دراسات مختلفة .

من هذا البيان للمؤلفات القيمة التي خلفها الفقيد تفهم الخسارة التي حصلت بموته رحمه الله والرجاء في ولده الاستاذ الاديب سيدي أحمد ان يتدارك الكل بالطبع والاصدار ليستفيد الجيل الصاعد من مخلفاته القيمة رحمه الله وأثابه ولا حول ولا قوة الا بالله ».

المغرب :

● (الشعر النسوي في الاندلس) من تأليف الاستاذ محمد المنتصر الريسوني صدر عن (منشورات دار مكتبة الحياة) ببيروت . وقد قدم له الاستاذ عبد الله كنون ، ويقع في 192 صفحة من الحجم الكبير . ويتضمن ترجمة اثنتين وعشرين شاعرة اندلسية . وكان المؤلف قد نشر فحول هذا الكتاب مقالات مسلسلة في مجلة (دعوة الحق) . ويقول المؤلف ان كتابه يتضمن زيادات جد مهمة ، واستنتاجات جديدة اضافها اليه بعد الانتهاء من نشره في هذه المجلة الامر الذي يجعله جديدا في بعض جوانبه الهامة واكثر منهجية وتركيزا من ذي قبل .

كما اضاف المؤلف ملحقا للنساء اللواتي لم يتعرض لهن بالحديث ، لكون أصحاب الاخبار لم يرووا لهن شعرا او رووا لهن بيتين أو ثلاثة ، وان كانوا يصفونهن بالشاعرية .

وهذا الملحق لم يخصصه المؤلف للشواعر فقط ، وانما جمع فيه نخبة نسوية تمثل المظهر المعرفي للمرأة الاندلسية المثقفة ، وحاول فيه التزام الترتيب الزمني لكل مثقفة .

والكتاب مقسم كما يلي :

1) عصر الامارة .

2) عصر الخلافة .

3) عصر ملوك الطوائف .

4) عصر الموحدين .

ويقول الاستاذ عبد الله كنون في المقدمة الشيقة التي قدم بها للكتاب : « الكتاب بحث ادبي جميل ، يفيد منه عموم القراء ، ولا يستغنى عنه خواص المتادبين . وان السيد المنتصر الريسوني يبدو في كتابه هذا باحثا مستقصيا وكاتبا مجيدا متخيرا لموضوعه مما لم يسبق اليه ، حتى لا يكون عملا مكررا لعمل غيره ، وهذه ارهاصة وسابقة تبشير بما ينتظره في ميدان البحث والتاليف من مستقبل واعد بجلائل الاعمال ونفائس الآثار ، ومن اشرقت بدايته اشرقت نهايته » .

● صدر للدكتور حسن الوراكلي كتاب جديد بعنوان (ابن سيده المرسي : حياته وآثاره) وقد ترجمه عن الاسبانية ، وهو من تاليف (داريو كابانيلاس رودريجت) . واصدرته الدار التونسية للنشر ، ويقع في 212 صفحة .

● صدر للشاعر الحبيب الامام ديوان شعر بعنوان : (نفحة الاشذاء) . طبعت الديوان عمالة اقليم سطات . وهذه تجربة ادبية جديدة ، جديرة بان تحتذى في مختلف العمالات والاقاليم ، بحيث تقوم المجالس البلدية والعمالات بطبع الانتاج الادبي للادباء والشعراء المحليين . الديوان ذو نفس وطني وشاعرية شفافة ، وجزالة لفظية آخذة .

● اقام الدكتور محمد عزيز الحبابي والسيدة حرمه الدكتورة فاطمة الجامعي حفلا تكريميا للاستاذ عبد الكريم غلاب عضو اكاديمية المملكة المغربية واحد رواد النهضة الادبية في بلادنا . وقد تحدث في الحفل الذي حضره جمهور غفير من المثقفين والعلماء واساتذة الجامعة كل من الدكتور عباس الجراري ، والدكتور محمد السوغيني ، والدكتور ابراهيم السولامي عن (غلاب اديبا) بينما تحدث الاستاذ محمد العربي المساري رئيس تحرير جريدة « العلم » عن (غلاب انسانا) .

● استاثرت يد المنون بالشيخ مولاي ابراهيم بن الشيخ محمد الكتاني مساء يوم 17 ربيع الثاني 1401 الموافق لـ : 23 يبراير 1981 عن سن يناهز الثالثة والسبعين قضاها رحمه الله في الجهاد المتواصل من اجل عزة دينه ووطنه ، والدعوة الى الله في صمت وتواضع وصوفية ، وهو

احد المجاهدين الابرار في سبيل استقلال المغرب ووحدته منذ أكثر من نصف قرن ، ومن مؤسسي رابطة علماء المغرب وعضو مجلسها الاعلى والرئيس الشرفي والفعلي لعدد من جمعيات حفظة القرآن الكريم ودلائل الخيرات وعباد الرحمان والجمعيات الخيرية والاحسانية وغيرها ..

وزوال يوم الاربعاء 19 ربيع الثاني الجاري ودع المغرب الفقيد العزيز الى مرقده الاخير - في محفل وطني رهيب ومؤثر للغاية مثل فيه أمير المؤمنين الحسن الثاني الاستاذ الكبير أحمد ابن سودة مستشار جلالة الملك ووزير الدولة المكلف بالسياحة مولاي أحمد العلوي ومدير رابطة الجامعات الاسلامية الاستاذ محمد الفاسي ومؤرخ المملكة الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور واعضاء الديوان الملكي، وممثل وزير القصور الملكية والتشريفات والاوسمة ، واعضاء ديوان السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، واعضاء ديوان السيد رئيس مجلس النواب وعدد من السادة النواب والمدير العام لمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ، والمندوب السامي للمقاومة واعضاء جيش التحرير، وممثلي الهيئات والاحزاب السياسية والاجتماعية والصحافة ، ورئيس اتحاد كتاب المغرب وممثل منظمة التحرير الفلسطينية ، وممثل جبهة تحرير ارتيريا ، ونقابات المحامين بالرباط وسلا والقنيطرة والبيضاء ومراكش وعدد من سامي موظفي الدولة بالاضافة الى جانب عدد كبير من السادة اعضاء فروع رابطة علماء المغرب ، وفي مقدمتهم رئيس المجلس العلمي وعميد كلية الشريعة بفاس الاستاذ الحاج احمد بن شقرون ومدير دار الحديث الحسنية واساتذتها ومكتب جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية في مقدمتهم الكاتب العام ووفد من مسلمي غرناطة ورجال السلطة المحلية والمنتخبون .

وبعد مراسيم الحفل الديني الذي تم في جو مؤثر تعاقب على أخذ الكلمة للتنويه بالشيخ الراحل أصحاب الفضيلة :

- العلامة المستشار سيدي محمد بن الطيب العلوي .

- الاستاذ الكبير السيد الحاج احمد بن شقرون .

- الاستاذ السيد حمداتي شبيهنا ماء العينين باسم أسرة ماء العينين .

- الاستاذ مولاي أحمد الكتاني .

- وشاعر الصحراء القاضي يحجب ماء العينين ، الذين نوهوا بالراحل الكريم ، وبجهاده وكفاحه المستمر في سبيل اعلاء كلمة الحق ، والوقوف في وجه الاستعمار والانحراف والزيغ ومظاهر الاستعمار الغاشم ، وبعد ان ختم الحفل بآي من الذكر الحكيم تلاها المقرىء السيد الحاج عبد الرحمن بنموسى رفع ابناء الفقيد اكف الضراعة الى الباري جل علاه ان يرعى امير المؤمنين الحسن الثاني الذي ما فتىء كوالده المنعم محمد الخامس طيب الله ثراه يرعى الاسرة برعايته ، شاكرين تفضل جلالته على مواساتهم ومشاركتهم ، داعين له بطول العمر ودوام الصحة والعافية ، والحفظ له ولعائلته الكريمة وولي العهد .

وبعد ذلك انتقل موكب الجنازة الى ضريح سيدي احمد الطالب حيث تم دفن الجثمان الطاهر به ، بعد ما صلي عليه بالزاوية الكتانية بسلا ، وقد عبر في النهاية مستشار صاحب الجلالة السيد احمد ابن سودة لافراد الاسرة الكتانية عن «مواساة جلالة الملك لجميع افراد الاسرة الكتانية ذكورا واناثا وعزاء جلالته في هذا المصاب الجلل ، داعين للفقيد بالرحمة والرضوان،

ولافراد الاسرة بالالفة ومواصلة الطريق ، وان جلالته سيبقى دائما راعيا امينا لهم ، متابعا لكل خطواتهم لاداء الرسالة » .

رحم الله الفقيد العزيز وأسكنه فسيح جناته وانا لله وانا اليه راجعون .

تونس :

● **تلقينا من الدكتور الباحث التونسي السيد محمد أبو الاجفان الرسالة التالية :**

« ... وبعد فقد كنت انضممت الى اسرة مجلتكم منذ شرفتموني بنشر مقالي عن « منهج الشريعة في تربية الطفل » الذي كنت قدمته اليكم بواسطة الدكتور عبد الهادي التازي، واليوم اسعدني ان تهتموا بتحقيقي لرحلة ابي الحسن القلصادي الاندلسي ، وان تنشروا خبر نشرها مرتين في العددين الاخيرين ، فلكم شكري الجزيل ، ودمتم في خدمة ثقافتنا العربية الاسلامية .

ويسرني ان اعلمكم اني كنت اخترت لاطروحتي كتابا لعالم مغربي شهير وهو ابن غازي المكناسي الفاسي، وقد يسر الله اخيرا مناقشتها والحصول على نجاح باهر في دكتوراه الحلقة الثالثة ، وكانت لجنة المناقشة تحت رئاسة عالم مغربي هو الشيخ محمد المنوني الذي استدعي لهذا الغرض. وها انا اوافيكم بقصاصة من جريدة الصباح التي اعلنت عن هذا الحدث الثقافي عسى أن تقتبسوا منها صيغة مختصرة لخبر عن هذا الحدث الثقافي .

كما ارسل اليكم قصاصة أخرى من نفس الجريدة اليومية التي اعلنت في عدد آخر عن صدور كتاب ساهمت في تحقيقه وهو فهرس ابن عطية ، راجيا أن تخبروا عنه ضمن شهريات الثقافة والفكر في عدد قادم .

ونسأل الله ان يعيننا على دعم العلاقات الثقافية والاخوية بين تونس والمغرب » .

(دعوة الحق) تهنىء الباحث التونسي الدكتور محمد أبو الاجفان بحصوله على درجة الدكتوراه ، وتحيي مشاركة الاستاذ الكبير السيد محمد المنوني في هذا الجهد العلمي برئاسته للجنة المناقشة .

● صدر في تونس كتاب (المؤلفات الاسلامية التونسية) بمناسبة حلول القرن الخامس عشر للهجرة .

● صدر للاستاذ عبد الوهاب بوحديبة كتاب (مبررات الكيان Raisons d'être عن مركز البحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية . ويقع الكتاب في 290 صفحة .

مصر :

● صدر في القاهرة عن (الهيئة المصرية العامة للكتاب) كتاب (نثر الدر) للوزير الكاتب ابي سعد منصور ابن الحسين الآبي بتحقيق محمد علي قدنه ومراجعة علي محمد البجاوي .

● (مختصر من تفسير الامام الطبري) صدر بتحقيق محمد حسن أبو العزم ومراجعة الدكتور جودة هلال .

● (البيان في غريب اعراب القرآن) للانباري صدر بتحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه ومراجعة مصطفى السقا .

● (تنظيم ترتيب وتقييم الوظائف) ، صدر من تأليف عادل يحيى نافع وتقديم الدكتور حسن توفيق .

المملكة العربية السعودية

● صدر العدد الرابع من المجلد الرابع من « عالم الكتب » التي تصدر عن « دار ثقيف» في الرياض ، وهي مجلة متخصصة في ببليوغرافيا الكتب العربية الموضوعة والمترجمة التي تصدر في مختلف الانحاء ، وقد خصصت ابحاث هذا العدد ، الى جانب البيليوغرافيا ، للقصة في المملكة العربية

رحاب الهدى

شعر : وجيه فهمي صلاح

بطاح مكة جاء السبط معتمراً   فعانقي ركبه القدسي والعطرا

غنت له القدس باسم الفتح أغنية   كان الجهاد لها بالشوق مستعرا

قد حل بالطائف المضياف مؤتلقاً   يخطط النصر للإسلام والظفرا

تيهي رحاب الهدى بالسبط وارتقبي   في راحتيه غيوثاً تسعد النظرا

حبيبنا الحسن الثاني يرود بنا   رحب الفضاء فنجني الخير والثمرا

هو المثنى سديد الرأي مقتدر   أفدي مليكاً سديد الرأي مقتدرا

مادام ملك النهى يرعى تحركنا   سنرغم الخصم والتاريخ والقدرا

ونرجع القدس بالإسلام مشرقة   ترى العيون على آفاقها عمرا

الله أكبر تعلو في صوامعها   وفي محاريبها يتلى الهدى سورا

وتنشر الحب في أجوائها عبقاً   ويلهم الطير والأزهار والوترا

ويزدهي المغرب الأقصى بقائده   من لملم الشمل والأهداف وانتصرا

السعودية ، فكتب كل من : منصور الحازمي حول « القصة القصيرة في الادب السعودي الحديث » . ابراهيم الناصر حول : « رفض الواقع ومتاهة الحلول» نسيم الصمدي حول : « ادب المرأة السعودية القصصي » عبد القدوس الانصاري حول : رواية « التوامان » في ميزان العرض والتحليل ، بعد صدورها بنصف قرن من الزمان . يوسف عز الدين حول : رواية « فتاة من حائل » . نبيلة ابراهيم سالم حول رواية « ثمن التضحية» عبد الرحمن شلش حول رواية « لا ظل تحت الجبل » . يعقوب اسحق حول : « كتب ودوريات الاطفال » . الى جانب هذه الابحاث حفل العدد باخبار الكتب العربية المصنفة حسب احدث الطرق العلمية في علم المكتبات، والتي لا غنى عنهما لاي باحث يود ان يطلع على احدث المراجع الصادرة بالعربية .

الكويت :

● صدر كتاب « همع الهوامع في شرح جمع الجوامع » للامام جلال الدين السيوطي المتوفي سنة 911 هجرية (الجزء 7) وهو يحتوي على فهارس تحليلية للكتاب ، وقد ساعدت جامعة الكويت على نشره بتحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم استاذ النحو العربي بجامعة الكويت عن دار البحوث العلمية .

● صدر كتاب « العمل والعمال بين الاسلام والنظم الوضعية المعاصرة » ، من تاليف الدكتور سعد المرصفي عن دار البحوث العلمية .

قطر :

● صدر بقطر كتاب (لا مهدي ينتظر بعد الرسول صلى الله عليه وسلم خير البشر) ، من تاليف الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر . يقع الكتاب في 94 صفحة .

اليمن الشمالية :

● ينشط مركز الدراسات اليمنية في صنعاء بالكشف عن التراث الاسلامي والعربي في اليمن ، وآخر نشاطاته في هذا المجال صدور مجلد ضخم بعنوان « مصادر الفكر الاسلامي في اليمن » تاليف عبد الله محمد الحبشي . والكتاب خطوة هامة في المسح الشامل والحصر والتجميع للكنوز الحضارية التي يحفل بها اليمن وصيانتها في مقدمة كل الخطوات ، وهو ايضا خارطة جغرافية للانتاج الفكري اليمني بمختلف فنونه . كما انه يرسم لوحة ضافية للمخطوطات اليمنية يحدد في هذه الخارطة « الببلوغرافية» اماكنها داخل اليمن وخارجه .

العراق :

● قرر اتحاد الصحفيين العرب انشاء جائزة باسم الشاعر كمال ناصر تمنح للصحفيين الاجانب الذين يقدمون خدمات جليلة للقضية العربية .

الهند :

● قام المجمع الاسلامي العلمي بندوة العلماء بنشر رسالة القرن الخامس عشر الهجري الجديد لسماحة مولانا الشيخ ابي الحسن علي الحسني الندوي - كبداية القرن الهجري الجديد المسلمين والعالم الاسلامي كله .

الكتيب يقع في 84 صفحة بالقطع الصغير ويحتوي على دراسة عميقة للتاريخ الاسلامي، واستعراض امين للواقع ، ويتحدث عن المنهج الشامل للعمل الاسلامي والدعوة الاسلامية في هذا العصر ، ويعرض صورة واضحة صادقة للقرن الرابع عشر الهجري ، ويدعو المسلمين لكي يحاسبوا انفسهم في ضوئها ، ويقارنوا بين ارباحهم وخسائرهم ، واخطائهم واصاباتهم ●

مطبعة فضالة ـ المحمديـــة
رقـــم الايداع القانونـــي 3 / 1981







من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية







أعداد السنة 21 من مجلة "دعوة الحق"





